المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا

الجزء الأول



ترجمة وتقديم

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

1551

الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1551
- الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا (الجزء الأول)
- عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

مختارات باللغة الروسية

لمجموعة من حكايات شعبية أفريقية

(الجزء الأول)

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27354524 – 27354526 **Fax:** 27354554

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com

الخرافة والحكايات الشعبية
فى أفريقيا

(الجزء الأول)

ترجمة وتقديم:

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا(ج١)
ترجمة وتقديم: عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى،
ط ١- القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٤٦٤ ص ، ٢٤ سم
١- الأدب الشعبى- أفريقيا.
٢- القصص الشعبية- أفريقيا.
(أ) العنوان ٣٩٨,٢

رقم الإيداع ٧٢٥١/ ٢٠١٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977- 704- 005- 1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

(القسم الثانى)

الحكايات الشعبية حول الحيوانات

مقدمة المترجم



الحكايات الشعبية هى وليدة للمجتمعات الإنسانية ونتاج لثقافاتها المختلفة يثمره إبداع شعوب العالم. ويضم هذا الكتاب بين جنباته عددا كبيرا من المختارات للخرافات والحكايات الشعبية السائدة لدى مجتمعات وشعوب أفريقيا وقبائلها، والتى تعكس تصورات تلك الشعوب حول شتى مظاهر الحياة والموت، وحول خلق العالم وأصل الكون. وعلى الرغم من تفرد الثقافات السائدة لهذه الشعوب، فإنها تمثل حلقة وطيدة الصلة بتطور الثقافة البشرية وفنون الفلكلور بوجه عام، ولا تنفصم عن التراث الإنسانى وجوهر فلسفته فى مراحله المختلفة، وفى نظرة هذا التراث إلى العالم الخارجى وتفسيره له. وتنقسم هذه المختارات من الحكايات الشعبية الأفريقية إلى أربعة أقسام رئيسية:

أولا – الحكايات الشعبية والخرافات السائدة حول أصل البشر والحيوانات، والظواهر الطبيعية والنجوم المتلألئة فى السماء، وحول الموت والفناء، وعن منابع النار وغيرها من الخيرات والمنافع، وحول أصل الحرف المختلفة، والحياة الاجتماعية والمعايير الأخلاقية.

ثانيا – الحكايات الشعبية حول الحيوانات، الخبيث منها والمخادع، وأيضا الحكايات التى تفسر سلوك كل منها، وتوضح السمات الخاصة بكل حيوان.

ثالثا – الحكايات الشعبية التى تدور حول السحر والمعجزات.

رابعا – الحكايات التى تدور حول مجالات الحياة والعيش فى الأزمنة الغابرة، والأمثلة الشعبية القديمة.

ويضم الجزء الأول، الذى نضعه بين يدى القارئ، القسمين الأول والثانى من تلك الحكايات. وقد نُقلت هذه الحكايات عن عدد كبير من اللغات الأفريقية المتنوعة. وذلك على ألسنة شعوب وقبائل أفريقيا الممتدة أسفل منطقة الصحراء، وحتى جنوب القارة السمراء.

إن النصوص الفلكلورية التى تتضمنها الأقسام السابقة لا ينبغى النظر إليها بإعتبارها موضوعات مختلفة ومنفصلة عن بعضها بعضًا. والحكايات الشعبية الواردة فى القسم الأول والثانى تتشابه فى الكثير والكثير منها. فهناك الأبطال المشتركون والمواضيع المتماثلة. وكل موضوع يبدو لنا كما لو أنه استمرار للموضوع الآخر. وترتبط الحكايات حول السحر والمعجزات فى ملامحها الوراثية بالخرافات والتصورات، التى تشكل القاعدة الرمزية للمعجزة فى فن الحكاية حول السحر. وكثيرا ما تعرض الخرافة نفسها كنموذج مختصر لتلك الحكاية أو غيرها حول الحيوانات والحياة اليومية، حيث يتم التركيز على الأخلاق والتعاليم التى يتسم بها سلوك الشخصية.

إن غياب مثل هذا الفصل الحاسم، هو ما يميز الفلكلور الأفريقى مثله فى ذلك مثل الفلكلور القديم. ويفسر ذلك الأمر بأن هناك بعض الفنون الشفهية للإبداع الشعبى لدى الشعوب الأفريقية لم تتشكل بعد بصورة نهائية، وتتبلور فى أشكال عتيقة من فنون الفلكلور العالمى، لتمنح الفرصة بمادتها الرائعة لدراسة نشوء واتجاهات تطور الإبداع الشفهى. كما أن قِدم الفلكلور الأفريقى يعد أحد ملامحه المميزة.

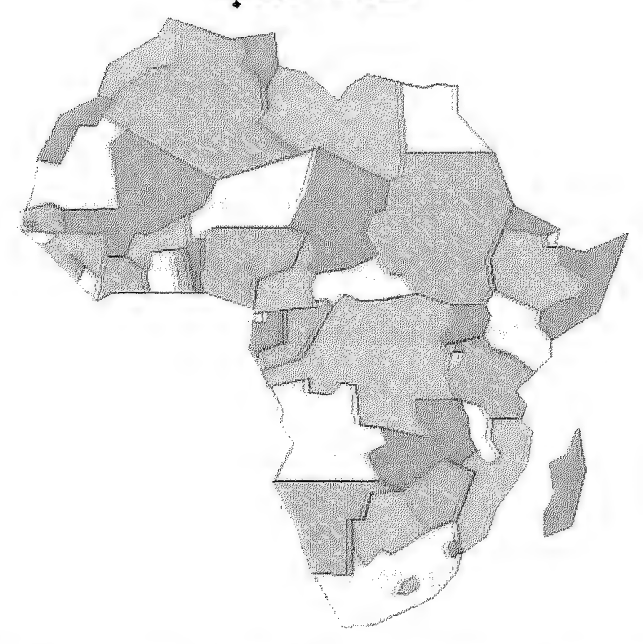
وينبغي الإشارة إلى أنه طبقا لتقسيم الفنون المتبعة لدى الأفارقة أنفسهم، فإن نصوص القسم الأول من مختارات كتابنا هذا (وبعض النصوص من القسم الثانى، والتى احتفظت بملامحها الخرافية بدرجة كبيرة) تقف فى مواجهة نصوص القسم الثانى والثالث والرابع، وذلك كروايات "حقيقية"، مما يتأكد فى اشتقاق أسماء المصطلحات الأفريقية المستخدمة لتعريف الفنون الفلكلورية.

لقد تأثرت الخرافات والحكايات الشعبية الأفريقية فى مسيرتها الزمنية الطويلة بالعديد من العوامل الخارجية. وتأتى فى مقدمة تلك التأثيرات الحركات التبشيرية المسيحية الوافدة إلى القارة، ومن بعدها المد الإسلامى وانتشار الدين الإسلامى لدى الكثير من شعوبها، وذلك بما حملته تلك العوامل من تغييرات فى عقائد الشعوب والقبائل، وفى نظرتها للعالم الخارجى. وانعكس هذا الأمر بالطبع على أبطال وأحداث الحكايات الشعبية. فمن أولئك الأبطال والشخصيات من تبدلت ملامحه، ومنهم من أخذ فى الزوال والاختفاء، وظهرت شخصيات أخرى جديدة اكتسبت سمات تخلط بين القديم والجديد. ولكن على الرغم من تلك التأثيرات الضخمة التى تعرضت لها، فإن الحكايات الشعبية ظلت تحمل فى جوهرها العديد والكثير من العناصر الأصيلة النابعة من طبيعة وبيئة المجتمعات الأفريقية المتفردة.

لقد تعرضت القارة السمراء عبر قرون طويلة لأبشع أنواع النهب والتدمير والاستغلال من قبل الأوروبيين والمستكشفين المغامرين، الذين لم يروا فيها سوى مصدر غنى للثروات المادية والبشرية، وغنيمة قاموا بتقسيمها فيما بينهم بأنصبة متفاوتة طبقا لقدرة وجبروت كل جماعة ودولة فى أوروبا. وساعدهم فى القيام بهذا الأمر تفوقهم على شعوب القارة الأفريقية. ووصلت ذروة الاضطهاد إلى استعباد تلك الشعوب بمعنى الكلمة، وازدهار تجارة الرق لقرون طويلة بعد اكتشاف القارة الأمريكية، وحاجتها إلى العبيد والعمالة.

وعلى الرغم من زوال الاستعمار المباشر للقارة، فإنها ما زالت تتعــرض حتى الآن للاستعمار والاستغلال المباشر وغير المباشر فى شتى صـــوره. لكــن الشعوب الأفريقية هى الأخرى ما زالت تمتلك مقومات الحياة والاستمرار رغم كل ما تعرضت إليه من محن. فهى مثلها مثل غاباتها الرائعة وأحراشها الساحرة، مهما اقتلعت منها تعود للنماء والاخضرار. والحكايات الشعبية الأفريقية التى ما زالــت تتناقلها الشعوب هى أبلغ دليل على حيوية هذه الشعوب وأصالتها وقــدرتها علــى البقاء رغم كل مظاهر التخلف التى فرضت عليها. وتظل الحكايات الشعبية للقارة السمراء محتفظة بروعتها ونضارتها وتنوعها المدهش مثلها فى ذلك مثل الطبيعة البديعة للقارة الجميلة الفتية.

مقدمة الكتاب



يمثل الكتاب الحالى مجموعة مختارات من الحكايات الشعبية الأفريقية (الفلكلور الشعبى الأفريقى)، وذلك بهدف تعريف القارئ على الموضوعات المتنوعة للحكايات الشعبية والخرافية، والتى استقرت منذ زمن بعيد لدى مختلف الشعوب القاطنة للقارة الأفريقية جنوب الصحراء. وتنقسم هذه المختارات من الحكايات إلى الأقسام التالية:

أولا ــ الأساطير والخرافات السائدة حول أصل البشر والحيوانات، والظواهر الطبيعية.

ثانيا ــ الحكايات الشعبية حول الحيوانات.

ثالثا ــ الحكايات الشعبية حول السحر والمعجزات.

رابعا ــ الحكايات حول أوجه الحياة فى الأزمنة القديمة.

إن الشعوب التى تسكن أفريقيا جنوب الصحراء، قد مرت عبر طريق تاريخي متنوع، مما انعكس بالطبع على مستوى تطور مجتمعاتها وحياتها الاجتماعية وثقافاتها. وعند النظر إلى الإبداع الشفهى والشعرى لمختلف الشعوب الأفريقية؛ وفى مقدمتها الحكايات التقليدية الخرافية والدينية؛ فسوف نراه يعكس بصورة غير مباشرة الخصائص المميزة لمختلف مستويات التطور الاجتماعى والاقتصادى لتلك الشعوب. وهكذا، لو أن هناك شعوبا فى ظل ظروف تاريخية معينة (على سبيل المثال تلك الشعوب الأكثر تخلفا مثل البوشمن فى أفريقيا الجنوبية) قد احتفظت بدرجة كبيرة بالتصورات الخرافية العتيقة التى تطابق مراحل المجتمع البدائى فى تطوره (على سبيل المثال النظرة إلى العالم الخارجى)، فإن بعض الشعوب الأخرى لديها تصورات متأخرة نسبيا مميزة للمستوى الاجتماعى والاقتصادى الأكثر تطورا، والذى تشكل فى عصر النهضة بالقرون الوسطى عبر مسيرة الحضارات الأفريقية وفى فترات لاحقة لها. فعلى وجه الخصوص نجد لدى شعوب البانتا (الشعوب الناطقة بلغة البانتا التى تسكن القسم الأوسط والجنوبى للقارة الأفريقية)، واليوروبا (أحد الشعوب التى تسكن المناطق الجنوبية الغربية من نيجيريا وبعض مناطق بنين وتوجو والكاميرون) فى غرب أفريقيا، والهوس (أحد الشعوب التى تنتشر على نطاق واسع فى شمال نيجيريا وكذلك فى النيجر والكاميرون والتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى وغيرها من البلدان)، والإيدو وبعض الشعوب الأخرى، قد لوحظ لديها مجموعات معقدة من الخرافات والحكايات الشعبية وعدد كبير من الأرباب والربات، وأشباه الآلهة والأرواح التى ترتبط بهذه أو تلك المنطقة من الطبيعة، وبالحياة والثقافة الإنسانية.

إن الشخصية المحورية الأفريقية؛ مثلها مثل جميع الميثولوجيا البدائية؛ تتمثل فى ملامح السلف الأول، والخالق، ومُعلم الناس الأوائل، الذى يطلق عليه فى علم المسميات اسم "البطل الثقافى".

وتظهر هذه الشخصية فى أقدم أشكالها فى صورة الحيــوان البطــل الــذى يطابق فى الميثالوجيا مختلف الشعوب وحيواناتها التى تعيش معها. وترتبط مثــل هذه المعالجة بإحدى أقدم التصورات الخرافية حول العالم الخارجي.

وهكذا، وعلى سبيل المثال نجد أن الشخصية المحورية لدى البوشمن هــى الحاج، أو زائر الأماكن المقدسة، الذى يدعى تساجن- السيد (انظر الحكايات رقــم ١٠، ١١). وقد اكتسب تساجن تلك الملامح التى تعبر عن النظرة للعالم الخارجى بدرجة كبيرة، والصلات الخرافية التى تربطه مع الحيوانات الأخرى.

وعلى الأرجح فقد ظهــرت النظــرة الخارجيــة للعــالم "Totemism" فــى مجتمعات الأنساب المبكرة، وذلك على أرضية اقتصاد الصيد والجمع البدائى.

ومع ظهور الوعى بنسب الدمّ فى مرحلة ازدهار عصر السيادة الأبوية، فإن النظرة الخارجية للعالم "Totemism"؛ بإعتبارها أول أشكال الوعى بالنــسَب فــى المجتمع الإنسانى؛ من خلال نقل علاقات النسب الاجتماعية إلى عالم الحيوان، قد أخذت فى الأفول تدريجيا. وتبدلت التصورات الخارجية حول العــالم، واختلطــت بالتصورات المتصلة بعبادة الحرف، والكاهن والوســيط بــين البــشر والأرواح، وعبادة الأرواح الحارسة، وعبادة رب القبيلة.

وهناك الكثير من بقايا التصورات حول العالم الخارجى تلاحــظ بــدرجات متفاوتة فى الخرافات والحكايات الشعبية لدى جميع الــشعوب الأفريقيــة تقريبــا. فبالإضافة إلى موضوعات تلك الحكايات مثل الحكايات حــول الحربــاء والفيــل والظبى، نجد التصورات حول العالم الخارجى وقد تعرضت للكثير من التعديل، أو نلحظ بقاياها التى ما زالت باقية بداخلها.

كما نجد طبقة موغلة فى القدم للميثولوجيا الأفريقية تتشكل من التــصورات الخرافية للعصر الأمومى. وتنتمى إليها تلك النماذج الخرافية النسائية القديمة مثل: العجوز- نزامبى، وعجائز الماء أو سيدات الماء اللاتى تمنحن المياه للبطل الــذى

يلبى شروطا معينة لهن، وسيدة الشجرة الخرافية التى تمنح ثمارها عند تلبية شروط محددة.

وعلى الرغم من أن التقاليد المرتبطة بالعلاقات الأمومية قد ظلت قائمة لدى الشعوب الأفريقية فى صورة نماذج متصلة أو منفصلة بدرجة أو بأخرى، وكثيرا ما تتمثل فى التصورات الغامضة، فإن التصورات النامية والمتأصلة من تربة العلاقات الأبوية، صارت تحتل مكانة كبيرة فى الميثولوجيا الأفريقية.

ويعود هذا الأمر قبل كل شيء إلى عبادة الأسلاف السائدة فى أفريقيا، وذلك مواكبة مع تطور نظام السيادة الأبوى، وتدعيم الروابط القبلية والصلات بين القبائل، وترسيخ عبادة الأسلاف.

لقد أثرت عبادة الأسلاف تأثيرا كبيرا للغاية على ميثولوجيا الشعوب الأفريقية. ويتجلى هذا الأمر بوضوح فى موضوعات الحكايات الشعبية ونماذج الخرافات السائدة. فنجد جميع الشخصيات الخرافية تقريبا – وبخاصة عندما يدور الحديث حول النماذج المتطورة الكاملة بدرجة كبيرة – تجسد فى جوهرها ملامح الأسلاف بدرجة أو بأخرى، بالإضافة إلى تلك الشخصيات التى تعد من حيث نشأتها خالقة لأول الأسلاف.

وهناك دور كبير فى ميثولوجيا الشعوب الأفريقية تلعبه الشخصيات التى تعرضها الميثولوجيا باعتبارها آلهة الظواهر السماوية والطبيعية، وذلك مثل "إله البرق" ليزا، الموجود لدى الشعوب التى تسكن المنطقة العليا والوسطى لنهر زامبيز فى زامبيا، والحوض الجنوبى لنهر الكونغو.

إن آلهة البرق والرعد قد لقيت انتشارا واسعا فى ارتباطها بعبادة الأسلاف. وقد مهد هذا التقارب والتفاعل بينهما إلى التوافق والتلاصق المعروفين فى علاقتها بالمطر: السلف هو خالق المطر، و "خالق البرق" هو "سيد" المطر. وكان الأسلاف من البشر يعدون الوسيط بين البشر و"خالق البرق"، أو الأسلاف الأوائل الذين

يمنحون المطر. ولهذا كانوا يطلبون المطر من الأسلاف، ويقومون بتقديم الأضاحى (القرابين) الخاصة بذلك الطقس، كما كان لديهم طائفة تمثل كهنة المطر.

إن الفقدان المعروف لبعض الشخصيات المنفصلة للأسلاف الخالقين، ونظرية مركزية الأرض لديهم، وبالتالى تسلسل بعض تلك التصورات الدائرة حول الآلهة "السماوية"، يعد جانبا واحدا فقط من العملية الواحدة للتغلغل المشترك بين تلك التصورات. وتفسير سيادة هذا الجانب تحديدا فى تطور المعتقدات الخرافية، إنما يكمن فى الفقدان التدريجى عبر الزمن لأهمية تلك التصورات حول الأسلاف، وذلك بسبب الدعاية التبشيرية لقرون من الزمن حول إله "السماء"، والتى أتت ثمارها المتمثلة فى ذلك الفقدان. وجرى خرق التطور الداخلى للتصورات الخرافية والمنظومة الرمزية للميثولوجيا الأفريقية مع وصول الأوروبيين وجيوشهم الطليعية من المبشرين، الذين نشطوا فى الدعاية للدين المسيحى (كذلك يمكن المقارنة بتأثير الإسلام على فلكلور تلك الشعوب مثل شعوب الهاوس، والصومال، والسواحيل).

أما القبائل التى احتلت مكانة أعلى نسبيا فى التطور التاريخى، فقد تشكلت لديها عبادة الآلهة المشتركة للقبيلة، وتبلورت عناصرها المختلفة قبل زمن طويل من تشكل ذلك النموذج المعقد. وتنتمى إليها التصورات حول نظرة الأسلاف للعالم الخارجي، والأبطال، والخالقين، وآلهة "السماء" و"البرق".

إن الحكايات الشعبية حول الحيوانات تحتل مكانة كبيرة فى فلكلور الشعوب الأفريقية، وذلك مقارنة بالحكايات الأخرى حول السحر والحياة اليومية. كما أنها تظهر فى صورة أكثر كمالا. وقد تشكلت باعتبارها فنًا متميز بخصائصه وموضوعاته وأبطاله الرئيسيين. إن فن الحكايات الشعبية حول الحيوانات يعد واحدا من أكثر الفنون شعبية فى الفلكلور الأفريقى.

يتبلور الشكل التقليدى لهذا الفن من خلال سلسلة من الموضوعات الخرافية التى تتحد جميعها تحت لواء بطل عام من الحيوانات. وتتحدث تلك الحكايات حول

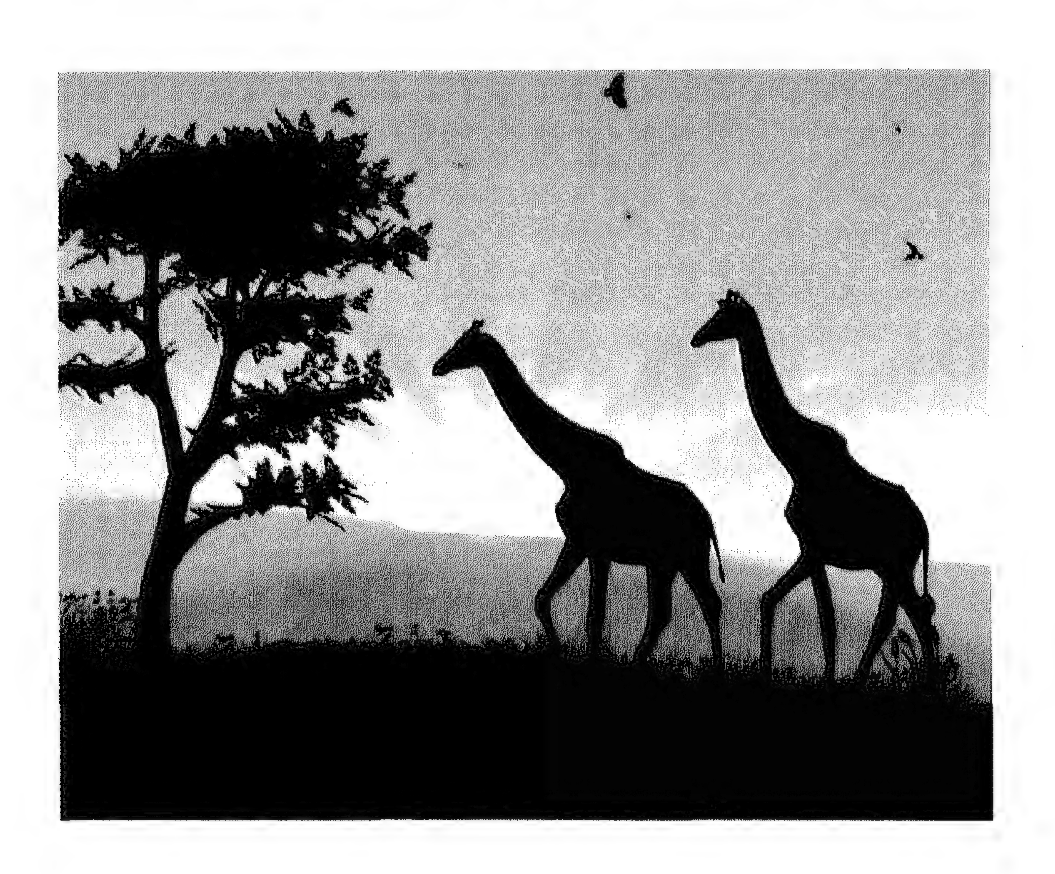
مختلف المغامرات والأفعال التى يقوم بها هذا البطل، وينجح دائما فى الخروج من مختلف المواقف والمحن منتصرا فى النهاية، وذلك بفضل مهارته وفطنته.

تعود الحكايات حول الحيوانات إلى أقدم أشكال فن السرد. ويمنحنا الفلكلور الأفريقى العديد من نماذج النصوص القديمة لحكايات الحيوانات، والتى نجدها جزئيا لدى بعض القبائل الأفريقية البدائية مثل البوشمن (أفريقيا الجنوبية) والهادابى (شرق أفريقيا شرقا من بحيرة إياسى) التى تعود بأصلها وطبيعة ثقافتها- مثلها مثل البوشمن- إلى مجموعة شعوب الكويس، وكذلك لدى بعض القبائل الأخرى. وقد احتفظت الحكايات القديمة حول الحيوانات بصلتها الوثيقة مع التصورات الخرافية، ويمكن تسمية هذا النوع بالحكايات الشعبية للحيوانات.

لكن الحكايات الأفريقية حول الحيوانات لم تصل إلى ذلك التحديد "الخرافى" لخصائص الأبطال. وقد جرى وصف الطابع العام لشخصيات هذا الفن بدرجة كافية من الوضوح، لكن مختلف الحيوانات كان يمكنها أن تصبح الوسيط المحدد الذى يحمل نفس ملامح الفلكلور لدى مختلف الشعوب الأفريقية.

(القسم الأول)

الخرافات والحكايات الشعبية
حول أصل البشر والحيوانات، والظواهر الطبيعية

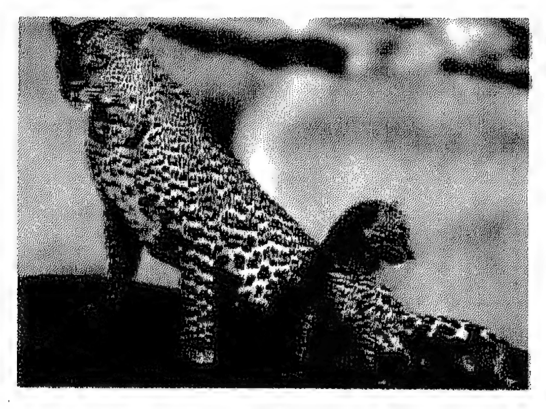


كيف ظهرت الحكايات الشعبية عند الناس؟

كان الفأر يستطيع التسلل إلى كافة الأماكن. فكان بوسعه الذهاب إلى بيوت الأغنياء والفقراء على حد سواء. وكانت عيناه اللامعتان شاهدتين على الكثير والكثير من الأسرار والخبايا. كما كان الفأر يستطيع الولوج إلى أى مخبأ مهما كان مؤمَّنا وحصينا. وذات مرة قرر الفأر أن ينسج الأساطير والحكايات حول كل ما رآه وعايشه فى زمنه. وكان يضع كل حكاية منها فى ثوب براق، تارة باللون الأسود أو الأبيض، وتارة أخرى يصبغها باللون الأحمر أو الأزرق. وهكذا، استقرت الحكايات فى بيت الفأر الذى لم يكن لديه أبناء، بل فقط تلك الحكايات التى حلت محلهم فى بيته.

* * *

ذات مرة فى أحد الأزمنة البعيدة عاشت عنزة وفهدة بإحدى المدن. وفى أحد الأيام وضعت العنزة بنتا، ووضعت الفهدة ابنا.



وفى ذلك الوقت كان الجوع يسود البلاد، فاقترحت الفهدة على العنزة:

– هيا بنا نقتل أبناءنا ونأكلهم.

فكرت العنزة فى نفسها: "إن لم أوافق فسوف تقتل الفهدة ابنتى انتقاما منى". وردت العنزة قائلة:

- حسنا.



أسرعت العنزة إلى بيتها، وقامت بإخفاء ابنتها الصغيرة فى مكان آمن، ثم قامت مسرعة بجمع أغراضها وبيعها مقابل قطعة من اللحم المقدد. وقامت بإعداد اللحم وحملته إلى الفهدة قائلة:

- ها هى ابنتى، فكلى حتى تشبعى.

عندئذ قامت الفهدة بقتل ابنها، وأعدت من لحمه طعاما.

فى العام التالى ضرب الجوع البلاد مرة أخرى. وفى ذلك الوقت وضعت العنزة مولودها، وكذلك وضعت الفهدة. وكما حدث فى العام السابق جاءت الفهدة إلى العنزة تعرض عليها قتل الأبناء وأكلهم. فردت العنزة عليها:

- حسنا.

أسرعت العنزة إلى بيتها حيث قامت بإخفاء ابنتها الثانية فى نفس الحجرة الصغيرة التى أخفت بها ابنتها الأولى، ثم سارت تمر بالبيوت حتى جمعت منها خمس قطع من اللحم المقدد. وقامت بإعداد اللحم وحملته إلى الفهدة وأطعمتها حتى شبعت.

مرت سنوات أخرى وقابلت الفهدة العنزة ذات مرة، فدعتها إلى زيارتها بالبيت.

ذهبت العنزة إلى بيت الفهدة، ورأت على الطاولة وعاءً ضخما مملوءًا . وكانت هناك ثلاثٍ ملاعق فوق الطاولة. فاعترت الدهشة العنزة وقالت تسأل الفهدة:

- إننا اثنتان فقط! فلمن هذه الملعقة الثالثة؟

ضحكت الفهدة وفتحت باب الحجرة الداخلية، ثم نادت بصوت عال:

- تعالى هنا أيتها الابنة لتأكلى معنا.

دخلت ابنتها وأكلوا معا، ثم قالت الفهدة:

- عندما وضعت ابنا كنا فى شدة الجوع، فقمت بقتله والتهامه. وبعد ذلك عرفت أنكِ أنقذتِ ابنتك، فقررت أن أفعل مثلك فى المرة التالية. وهكذا احتفظت بابنتى على قيد الحياة.

مرت عدة سنوات وأصبحت ابنتا العنزة والفهدة بالغتين. وذات يوم ذهبت الفهدة بابنتها إلى البيت المشترك، ثم ذهبت إلى العنزة وقالت لها:

- ابعثى بإحدى بناتك إلى البيت المشترك للحيوانات حتى تسلى ابنتى التى تعانى هناك من الوحدة بمفردها.

وافقت العنزة، ولكنها قبل أن ترسل ابنتها قامت بالتالى.

كان لدى العنزة عدد من صغار الجديان العبيد. وكان لونهم أبيض. أما العنزة نفسها فكانت سوداء اللون هى وبناتها فقامت العنزة بمسح جسم ابنتها السوداء بالطباشير، ثم صبغت أحد الجديان العبيد باللون الأسود. وبعد ذلك أرسلت الاثنتين معا إلى البيت المشترك. وعندما شاهدتهم الفهدة ظنت أن الجدى هو ابنة العنزة. وانتظرت حتى حلول الظلام، وعندما رقد الجميع للنوم، تسللت الفهدة بحذر

ودخلت إلى الحجرة وقتلت الجدى، ثم أعدت لحمه وأعطته لابنتها تأكله، وهى تظن أن اللحم لابنة العنزة ! وفى اليوم التالى ذهبت الفهدة مرة أخرى إلى العنزة وطلبت منها قائلة:

- ارسلى ابنتك الصغرى إلى البيت المشترك كى يلهوا ثلاثتهم معا.

وافقت العنزة، لكنها قبل أن ترسل ابنتها الصغرى إلى هناك قامت بتلقينها الوسيلة لخداع الفهدة.

ودخلت ابنة العنزة الثانية إلى البيت المشترك. وعندما شاهدت ابنة الفهدة أخرجت زجاجة من النبيذ وأعطتها لها قائلة:

- لقد أرسلت أمى هذه الهدية إليك فاشربيها.

شربت ابنة الفهدة النبيذ، وراحت فى سبات عميق. عندئذ قامت العنزتان الأختان بحمل ابنة الفهدة، ووضعاها بالفراش المخصص لإحداهما.

تسللت الفهدة فى ظلمات الليل إلى حيث ناموا، وقتلت ابنتها التى لم تميزها فى الظلام بدلا من ابنة العنزة. وفكرت فى نفسها بسعادة: "هأنا قد تدبرت أمر بنات العنزة وانتهيت منهن".

فى الصباح التالى خرجت الفهدة مبكرا للغاية إلى الغابة لتجمع عصير النخيل، وذلك من أجل الاحتفال مع ابنتها بموت بنات العنزة. فى ذلك الوقت هربت ابنتا العنزة من البيت المشترك. فأسرعت إحداهن إلى الأم، أما الأخرى فذهبت فى حذر خلف الفهدة. كانت الفهدة حينذاك قد تسلقت أعلى النخلة، فصاحت عليها ابنة العنزة بصوت عال من ركن مجاور تختبئ به:

- لقد أردت قتلى أنا وشقيقتى! لكنك فى الليلة الماضية قتلت عبدنا الجدى، وفى هذه الليلة قتلت ابنتك أيتها الحمقاء!

سمعت الفهدة ذلك الصوت المألوف لديها، فقفزت من فوق النخلة واستعدت للهجوم على ابنة العنزة. لكن الأخيرة ركضت إلى مفترق الطـرق، ثـم انطلقـت مسرعة للأمام. توقفت الفهدة حائرة عند المفترق وهى لا تعرف الطريـق الـذى سلكته ابنة العنزة. وبعد أن تريثت لبعض الوقت، انطلقت فى طريق مختلف تماما عن طريق العنزة الصغيرة، فلم تدركها بالطبع.

فى ذلك الحين كانت العنزة الصغيرة قد ابتعدت بالقـدر الكـافى، وفجـأة شاهدت امراة من الكهنة. كان خصرها مربوطا بسلة كبيرة من الخـوص. وبـدا الإنهاك الشديد على المرأة كما لو أنها قطعت دربا طويلا. وطلبت العنزة منها:

- أتسمحين لى أن أساعدك فى حمل السلة؟

وافقت المرأة على طلب العنزة الصغيرة.

عندما وصلا إلى البيت كان التعب قد حل على المرأة وأصـاب المـرض رأسها، فعرضت عليها العنزة قائلة:

- اسمحى لى بإحضار الماء والحطب ريثما تستريحين لبعض الوقت.

فرحت المرأة كثيرا، ودخلت إلى البيت واستلقت للراحة. وقامـت العنـزة مسرعة بجلب الحطب والماء، وذهبت إلى القسم الثانى من البيت حيث يقع المعبد. وهناك شاهدت سلة أخرى بها تعويذة سحرية، فحملتها وقامت بمسحها.

وفى اليوم التالى قالت المرأة:

- هل يمكنك إحضار السلة التى أحتفظ بها فى معبد الكهنة؟

ردت العنزة:

- هل تعرفين ما الذى جرى فى الليلة الماضية؟ لقد اسـتخدمت تعويـذتك السحرية.

فرت العنزة هاربة من البيت. وثارت المرأة من الغـضب. فقفـزت مـن الفراش، وركضت خلف العنزة. وقفزت العنزة فى أثناء ركضها عبر باب البيـت الذى كان يعيش بداخله فأر. وكان الباب هشا فتحطم. وهربت جميع الحكايات إلى الخارج. ومنذ ذلك الحين والحكايات لم تعد، بل تفرقت وانتشرت فى كافة أرجـاء العالم.

١ـ أصل البشر:

لقد خُلق أول البشر فى العالم من الثرى. فكان أول الخلق رجل وامرأتـــه. ونبت بعدهم من الأرض رجل آخر وزوجته. ثم هبط من الـــسماء علـــى الأرض زوج ثالث من الناس. وكان بصحبتهم بقرة وعنزة وخروف. وفيما بعد أطلق على نسل الهابطين من السماء اسم قبيلة الأرواح. وكانوا فى غاية الغنى والثراء. وقـــد قام الهابطون من السحاب ببناء قريتهم فى "نزاوا"[١]. ويستطيع الزائر لهذا المكان أن يرى بعينيه آثار أولئك الأوائل الهابطين من السماء، والتى ظلت منقوشة علـــى جدران الكهوف. كما يمكنه أيضا مشاهدة آثار البقرة والعنزة والخـــروف الـــذين هبطوا معهم على الأرض.



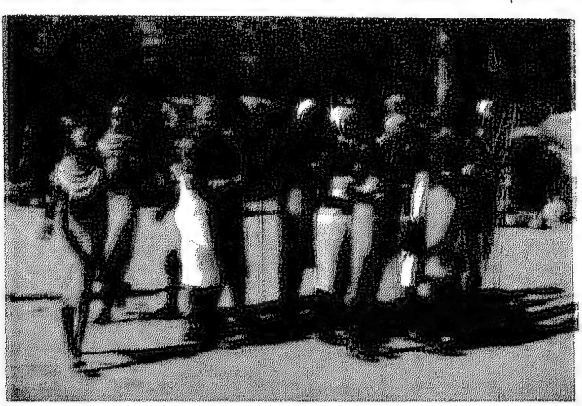
بعض أفراد قبيلة الماساى.

أما الذين نبتوا من الثرى فقد أنجبوا أولادا وبناتا. بعد ذلـــك تـــزوج ابـــن الهابطين من السماء بابنة المخلوقين من الأرض. ونال الزوجان حـــصتهما مـــن الماشية، ثم تزوج ابن المخلوقين من الأرض بابنة الهابطين من الـــسماء. وأخـــذ الزوجان بدورهم نصيبا من الماشية.

---

(١) نزاوا ــ منطقة تقع فى غرب غانا يوجد بها عدد من الكهوف القديمة.

تعاقب النسل من الأزواج جيلا بعد الآخر، حتى تكاثر الناس فى المعمورة. وأصبح الطعام شحيحا، وساد الجوع بين الناس. واضطر بعضهم للنزوح من موطنهم إلى أماكن أخرى فى أرجاء الغابة الفسيحة، حيث أقاموا فيها قراهم الجديدة. وصار بعضهم يسمون بالماساى، والآخرون بالكيكويو(١).



صورة لبعض نساء قبيلة الماساى.

---

(١) الماساى والكيكويو هى أسماء لقبائل تعيش فى وسط أفريقيا. ويعنى اسم قبيلة الماسى بالعربية "القبيلة المرقطة". يعتقد أغلب أفراد قبيلة الماساى أن الإله «إنكارى» يعيش على فوهة جبل كلمنجارو البركانية، وأنه قد نزل من السماء وأنزل الأبقار معه ووهبها لأفراد هذه القبيلة، لذا يمكن فهم العلاقة الوثيقة بين أفراد قبيلة الماساى والأبقار باعتبارها نوعًا من الاعتقادات الدينية. ويمكن تصنيف الذكور فى القبيلة إلى ثلاث فئات، وهى الأولاد والمحاربون والمسنون. وتتمتع فئة المسنين بتقدير من أفراد القبيلة لخبراتهم الطويلة فى الحياة وحكمتهم، أما النساء فيحظين بمكانة المسنين الاجتماعية نفسها. ويتميز زعيم القبيلة عن غيره بارتداء قبعة من لباد الأسد (كما فى كينيا) أو وضع قناع ريش النعام الأسود على الوجه (كما فى تنزانيا) للدلالة على مكانته الاجتماعية وشجاعته ونفوذه. وتتميز نساء هذه القبيلة بالحلى المصنوعة من الخرز على شكل حلقات بيضاء توضع على الرقبة. أما غالبية قبيلة الكيكويو فهى تسكن كينيا مشكلة أكبر القبائل بها وأكثرها عددا، وهى تمثل نحو ٢٠% من السكان هناك. (المترجم)

٢ـ الأساطير حول أونكلونكول: [١]

لقد خرج أونكلونكول من بطن الأرض، وهو الذى ظهر من الثرى وأخرج منه كل الشعوب. لقد خرج أونكلونكول جنبا إلى جنب الشمس والقمر، وقام بوضع كل منهما فى السماء قائلا: "فلتظهر الشمس نهارا وليظهر القمر ليلا".

عندما خرج أونكلونكول من بطن الأرض خلق البشر من السود والبيض، كما خلق قطعان المواشى والماعز والأغنام، وأيضا الكلاب والطيور التى تعيش فوق الأشجار، لقد خلق كل شىء.

بعث أونكلونكول بالحِرباء إلى الناس وقال: "اذهبى أيتها الحرباء إلى البشر وأخبريهم بأن عليهم ألا يموتوا". وهكذا، انطلقت الحرباء فى طريقها. لكنها سارت ببطء شديد، ثم توقفت عندما شاهدت شجيرة مثمرة، وصارت تأكل منها.

---

(١) أونكلونكول هو المنبت الأسطورى لشعب الزولو. وأونكلونكول هو واضع التقاليد والقواعد، ومعلم الأجيال الأولى. كما يرتبط باسمه أصل الموت. وفى النص المترجم كثيرا ما يستخدم الفلكلور الأفريقى المفهوم الخرافى الشائع التالى: يدخل الموت إلى العالم، حيث يصل نبأ الموت قبل نبأ الخلود وذلك بسبب بطء الرسول حامل الخبر.

وقبيلة الزولو هى أحد الشعوب الرئيسية الناطقة بلغة البانتا فى قارة أفريقيا. ويعيش نحو سبعة ملايين نسمة من قبيلة الزولو فى إقليم كوازولو – ناتال الواقع فى جمهورية جنوب أفريقيا. وتعد قبيلة الزولو أكبر الجماعات اللغوية فى جنوب أفريقيا. ويعيش أغلبها فى المناطق الحضرية. وقد عاشت هذه القبيلة فى فترة التفرقة العنصرية فى كوازولو أى (بلاد الزولو) وهى الوطن القومى الذى خصصته لهم حكومة جنوب أفريقيا العنصرية السابقة. تشتهر قبيلة الزولو بحرفها اليدوية، بخاصة تزيين الأقمشة بالخرز الملون. وتستخدم قبيلة الزولو الخرز فى مراسلاتها، فالرسالة الملصق عليها الخرز الأحمر ترمز إلى الحب وفى بعض الأحيان إلى الغضب، وتدل حبوب الخرز الأسود على الصعاب والمشاكل، ويقصد بالخرز الأبيض والأزرق السماوى الحب الصادق، وباللون البنى الانزعاج، أما اللون الأخضر فيرمز إلى السلام. (المترجم)



حينئذ بعث أونكلونكول بالعظاءة (السحلية) أينتولا فى أثر الحرباء. وقال للعظاءة: "اذهبى إلى البشر وأخبريهم بأن عليهم أن يموتوا، عليهم أن يموتوا جميعا، البيض منهم والسود سواء، ولا بد أن يلحق الموت كذلك بالماشية والماعز والكلاب والضوارى، وكل من ينبض بالحياة عليه أن يموت".

وعندما انطلقت العظاءة كانت الحرباء قد تقدمت فى طريقها، ولكن العظاءة مضت تركض بسرعة كبيرة لأن أونكلونكول قد قال لها: "أسرعى بقدر ما تستطيعين". واستطاعت العظاءة أن تسبق الحرباء وتصل قبلها، وهتفت قائلة: "الموت محتم على الناس، ينبغى الموت على جميع الناس وعلى الحيوانات التى تحيا فوق الأرض".

لقد خلق أونكلونكول المرأة البيضاء والرجل الأبيض وهتف بهما: "ينبغى على الرجل الزواج من المرأة". ومن زواجهما خرج النسل الأبيض، ثم قال للمرأة السوداء والرجل الأسود: "عليك أيها الرجل الأسود أن تتخذ من هذه المرأة زوجة لك"، ومن زواجهما خرج النسل الأسود. وقال أيضا: "فليحيا النسل الأبيض بين الماء، فى البحر". ومنحهم الملابس.

كما قال أونكلونكول: "فليكن لدى النسل الأبيض بنادق". وقال كذلك: "وليكن لدى النسل الأسود رماح". وقال: "فليضع البيض على أجسادهم ثيابا". وقال أيضا: "اما السود فعليهم ارتداء الجلود". وقال: "على النساء المتزوجات أن يضعن على

أجسادهن جلود الثيران". وقال أيضا: "أما الرجال فعليهم أن يضعوا جلود الطرائد والأغنام". وقال: "على النساء المتزوجات أن يضعن أغطية الرأس الحمراء". ثم قال: "أما الرجال المتزوجون فعليهم وضع الأطواق فوق رءوسهم".

هتف أونكلونكول قائلا: "هذا هو الماء، فليشرب الناس من الماء؛ وهذه هى النار فليعد الناس طعامهم عليها". وقال: "ينبغى على النساء عزق الأرض". ثم قال: "وعلى الرجال بناء البيوت وقطع الأشجار من أجل غرس النباتات". وقال: "على الرجال أخذ المعاول وإضافة أذرع طويلة إليها وإعطاؤها للنساء، حتى يستطعن عزق الأرض بها". وقال: "عندما تخرج النساء لعزق الأرض، فعليهن حمل البذور معهن، كى يغرسنها فتنبت منها النباتات". وقال أونكلونكول: "على النساء أن يقمن بطحن الحبوب لإعداد الجعة". وقال: "وعلى النساء كذلك جمع الحطب والأغصان، ثم قال: "على النساء إعداد الطعام". وقال أونكلونكول: "وعلى الرجال ضرب النساء المتكاسلات واللاتى لا يخضعن للنظام". وقال: "يمنح الخاطب المواشى إلى والد العروس مهرا لها".

قال أونكلونكول: "إذا مات الإنسان فينبغى على أخيه الأصغر الزواج من نسائه حتى لا يصبح بوسعهن الزواج من أحد ينتمى إلى قبيلة أخرى"، وفى سبيل الحفاظ على الناس ينبغى الحفاظ على المواشى- حينئذ سوف يستطيع الناس توريث ماشيتهم وتجنب التعرض إلى الجوع".

وإذا كان الأبناء الذين يرثون مواشى الأب ما زالوا فى عمر صغير، فعلى الذين ترك لهم المتوفى ماشيته، أن يأخذوا ميراث الأب. وعندما يكبر الأبناء عليهم المطالبة بميراث أبيهم قائلين: ''أعيدوا لنا ماشية والدنا التى ورثناها عنه عندما كنا صغارا بعد''. كما عليهم القول: ''أخبرونا إن كان هناك أحد ما قد أخذ من ماشيتنا كى نطالبه بإعادتها إلينا، ونذهب معه إلى الزعيم ونقول: إنهم يأكلون من ماشية والدنا''".

كما قال أونكلونكول: "عندما يموت الإنسان فهو يتحول إلى روح. وينبغى التضحية بالماشية فى سبيل أرواح أجدادنا".

٣ـ كيف ظهر الإنسان؟

يحكى أن أندريان أنهارى هو أصل كل شيء. أما أندريا مانيترا فهى زوجته الكبرى، ورازان آهارى هى زوجته الصغرى. وقد كانت الزوجة الصغرى محرمة عليه، أما الكبرى فهى التى أنجبت له الأبناء. وأطلقوا على الابن الأكبر اسم دزاومانيرا وعلى الأصغر اسم راموس. كان دزاومانيرا صبيا ذكيا ومطيعا وحسن السلوك، أما راموس فقد كان متهورا يركض ويلهو هنا وهناك فى شتى أرجاء السماء. وعندما رأى راموس الزوجة الصغرى رازان آهارى تعيش بمفردها أراد أن يتخذها زوجة له. ولكنها رفضت، فألح راموس فى طلبه ومضى يحاول إقناعها. وغضبت رازان آهارى وقصت لوالده كل شيء. فغضب أندريان آهارى غضبا شديدا وأمر راموس بالمثول أمامه. وعندما حضر راموس لم يقل له والده شيئا، بل صنع حفرة فى السماء وطرد من خلالها إلى الأرض ابنه المتهور الأحمق غير الجدير به.



عندما وجد راموس نفسه على الأرض قام بقطع الأشجار وبناء بيت له، ثم أخذ فى تنسيق حديقة له وغرس بها العديد من الأشجار. كان كل شيء جيدا، ولكن لم يكن لديه زوجة، مما جعله يشعر بالتعاسة.

كانت أمه أندريا مانيترا ترق لحاله، وعندما غادر والده أندريان آهارى البيت، قامت أمه بإرسال الابن الأكبر دزاومانيرا ليطمئن على أحوال الأخ الأصغر. فقام دزاومانيرا بفتح كوة فى السماء، وشاهد من خلالها أخاه الأصغر يتسكع فى حقله حزينا بمفرده. فعاد إلى أمه وحكى لها أن راموس يعيش فى حالة سيئة للغاية. وقال لها:

- إنه يمتلك حقلا رائعا، وهناك بركة ونهر يجرى من حوله، ولديه العديد من الأغراض السحرية. لكن الحزن يغمره لأنه يعيش وحيدا.

صاحت الأم: "آه، فلنذهب ونتوسل لأبيك كى يغفر له".

لكن الوالد لم يوافق على عودة راموس إلى السماء، وأرسل دزاومانيرا يخبره أن يصنع تماثيل طينية. فقام راموس بنحت تمثالين لحيوانين. وأعطى الوالد لدزاومانيرا عصاتين كى يلمس بهما راموس التمثالين. وعندما فعل راموس ذلك تحول التمثالان إلى رجل وامرأة. وتزوج الرجل من المرأة وأنجب عددا من الأطفال. واتخذ راموس زوجة له من إحدى البنات التى أنجبتهن الزوجة. ويقولون إن الوزاهى[1] قد جاءت من ابنه الأكبر، الذى أطلق عليه هو الآخر اسم راموس مثل اسم أبيه.

وقد تم صنع الكثير من التماثيل والحيوانات المتنوعة، وبعد أن تحولوا إلى بشر قاموا باستيطان كافة أرجاء المعمورة.

إلا أن راموس أصابه المرض وطلب من والده غصنا خشبيا يستعمله صنارة. فمنحه والده صنارة الحياة، لكنه طلب إعادتها إليه بعد مرور ثلاثة عشر عاما بالإضافة إلى دفع مقابلها. غير أن راموس قام بنزع لحاء الحياة منها قبل أن يعيدها، ولم يدفع مقابلها أى شيء. فثار أندريان آهارى ثورة عارمة وقرر إبادة جميع البشر لأنهم سرقوا غصن الحياة. لكن أندريا مانيترا طلبت منه بإلحاح ألا

---

(١) وزاهى ("البيض من الناس") – المقصود بهم الأوروبيون.

يبيد البشر. كما يحكون أن الوزاهى يصنعون من ذلك اللحاء الذى سرقه راموس دواء يشفى أمراض البشر. وقد عرف أفراد قبيلة أنتايمور من الوزاهى صنارة الحياة - فلم يكن لديهم حتى ذلك الوقت دواء يضاهيها[(١)].

---

(١) وفى نهاية الحكاية أضاف الراوى قائلا: "لقد وصل العرب إلى أنتايمور منذ الأوقات البعيدة، وقاموا بتعليم الأنتايمور العديد من الأشياء: الحروف الأبجدية، والتنبؤ، وإعداد الدواء وغيرها، ولهذا، فإننى لا أعرف إن كانت هذه الحكاية تعود إلى أنتايمور أم أنها تعود إلى العرب، وهم من قام بنقلها عنهم".

٤ـ خلق العالم:

لقد سمعنا من الكبار أن الرب قد خلق العالم، وخلــق دوروبـــا[١]، والفيلـــة والثعبان. وعاشوا جميعا جنبا إلى جنب.



فى أحد الأيام سأل دوروبا الثعبان:

– لماذا فى كل مرة أشعر بحكة فى جسدى عندما تصلنى رائحتك، فـــأقوم بحك جسمى حتى تنزف الدماء منه؟

أجاب الثعبان قائلا:

– عفوا أيها الوالد إنى لا أنفث رائحتى نحوك متعمدا.

لم يجب دوروبا بشىء. وفى نفس هذا المساء قام بقتل الثعبان بعد أن ضربه بالعصى فوق رأسه.

---

(١) دوروبا– اسم يطلق على كل من يقوم بالصيد باعتباره نمطاً مميزًا لحياتهم الاقتــصادية، ويقولـــون عنهم: يولد الدوروبا ويموت صيادا. (المترجم)

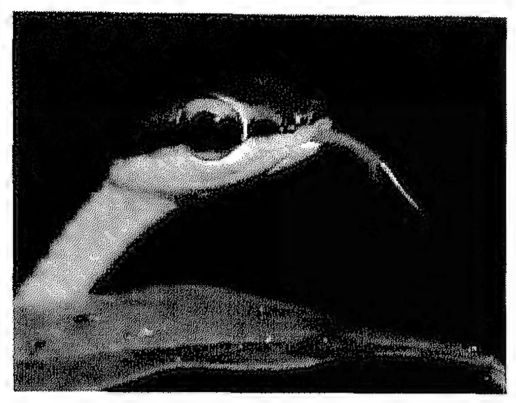
وفى الصباح سألت الفيلة دوروبا:

- أين ذهب الثعبان؟

أجاب دوروبا قائلا:

- لست أدرى.

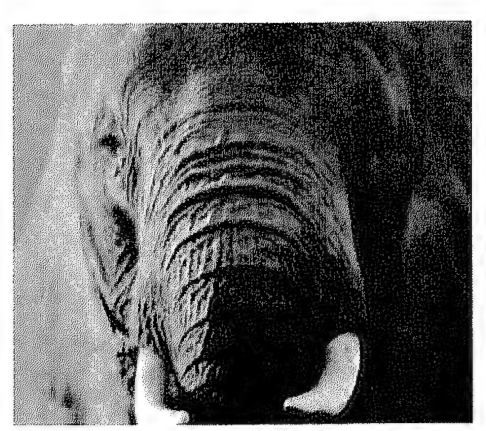
لكن الفيلة أدركت أن دوروبا قتل الثعبان.



فى المساء انهمر المطر غزيرا، واستطاع دوروبا السباحة فى البركة التى كونتها مياه الأمطار. وظل باقيا فى هذه البركة للعديد من الأيام، وخلال تلك الفترة أنجبت الفيلة فيلا صغيرا. وشيئا فشيئا أخذت مياه البرك تجف عدا واحدة منها، كانت الفيلة الأم تذهب إليها للشرب، فبعد أن كانت الفيلة تأكل العشب تذهب للغطس فى مياه البركة وتعكرها. وعندما جاء دوروبا إلى هذه البركة كانت مياهها قد اتسخت وتعكرت، فلم يستطع الاغتسال والسباحة فيها. لهذا، قام دوروبا ذات مرة بصنع سهم صرع به الفيلة.

عندئذ قرر الفيل الصغير قائلا:

- دوروبا سيئ، ففى البداية قتل الثعبان، والآن قتل أمى، وأنا لا أريد البقاء معه بعد ذلك. سوف أرحل ولن أعيش معه.



ورحل الفيل الصغير إلى مكان آخر حيث قابل الماساى هناك. فسأله الماساى:

- من أين جئت؟

- لقد جئت من هناك حيث يعيش دوروبا، فى تلك الغابة الواقعة هناك. إن دوروبا سيئ، فقد قتل الثعبان وقتل أمى.

فسأله الماساى: هل حقا ما تقوله؟

رد الفيل الصغير: نعم.

- إذا، فلنذهب إلى دوروبا، إننى أريد النظر إليه.

وذهبا معا إلى الغابة حيث يعيش دوروبا، ووجدا هناك أن الرب قد أدار كوخه حتى صار هذا الكوخ يواجه السماء مباشرة.

بعد ذلك سمعا حديث الرب إلى دوروبا:

- أريد رؤيتك غدا فى الصباح. فلا بد لى أن أخبرك بشىء ما.

استمع الماساى إلى تلك الكلمات، وفى الصباح ذهب بنفسه إلى الرب وقال:

- هأنا قد جئت.

فأمره الرب أن يحمل بلطة ويقوم ببناء حظيرة كبيرة للماشية خلال ثلاثة أيام، ثم قال الرب: "وبعد ذلك تذهب إلى الغابة وتبحث عن طريدة صغيرة لأحد

الحيوانات، وتذهب بها إلى القرية وتقتلها، ولا تقرب لحمها، بل اربط جثتها إلى الجلد، ثم احضر الحطب واشعل نارا بالقرب من الكوخ، وضع اللحم فوق النار. بعد ذلك، اختبئ بالكوخ، ولا تصيبك الدهشة عندما تسمع بالخارج هرجا ومرجا وضوضاء كالرعد".

فعل الماساى كل شيء حرفيا كما أمره الرب. فوجد في الغابة طريدة صغيرة قام بقتلها، وربط جثتها بالجلد. ثم أشعل الحطب ووضع فوق ناره لحم الطريدة واختبأ بالكوخ.

فى ذلك الوقت أنزل الرب من السماء شريطا طويلا من الجلد امتد ليصل فوق اللحم تماما. وعلى الفور مضت الماشية تهبط فوق قطعة الجلد. وكثرت أعدادها حتى فاضت بها الحظيرة وتكدست هناك، حتى حطمت الحيوانات من فرط ازدحامها الكوخ الذى اختبأ به الماساى.

صار الماساى يصرخ من الخوف، واستطاع الخروج إلى الخارج بالكاد. وهناك رأى قطعة الجلد الممتدة من السماء وقد انقطعت وتوقف هبوط الماشية إلى الأرض. وقال الرب:

- أتكفيك هذه الماشية؟ فلن أمنحك مثل هذه الهدية أكثر من ذلك.

ومنذ ذلك الوقت أصبح الماساى يرعى ماشيته. أما دوروبا فلم يحصل على ماشية، ومنذ ذلك الحين وهو يسعى للحصول على طعامه من خلال اصطياد الطرائد والفرائس.

وفى أيامنا هذه عندما يرى الماساى ماشية تقع فى أراضى البانتا[١]، فإنهم يعتبرون أنها ماشية مسروقة منهم أو عثر عليها البانتا بالصدفة. فيقولون حينذاك:

- هذه ماشيتنا، هيا نأخذها، فالرب قد منحنا كل الماشية فى الأوقات الماضية.

---

(١) البانتا- مصطلح لغوى يعنى مجموعة (عائلة) لغوية كبيرة لسكان الجزء الأوسط والجنوبى للقارة الأفريقية. ومما يميز تلك اللغات هو تصنيف الأسماء الموصوعة طبقا لمجموعات محددة (مسنوبات) تحمل دلالة شكلية - بداية. وبفضل هذه البدايات تتغير معانى الكلمات وتكوين الأعداد الفردية والجماعية. وهكذا، فإن أسماء الشعوب والقبائل تحمل بدايات ama,(awa,ova,a)a,ba,aba .

٥ـ مولونجو[١] وشعبه:

يحكى أنه فى قديم الزمان كانت الوحوش فقط هى وزعيمها مولونجو هم الذين يعيشون على الأرض. وذات مرة ذهبت الحرباء لصيد الأسماك، ورأت اثنين من الكائنات الحية قد وقعا فى شباكها. لم تعرف الحرباء أنهما كانا من البشر، واعترتها دهشة كبيرة. فحكت عما رأته لمولونجو الذى قال لها:

– هيا بنا نذهب وننظر لما سوف يفعلونه.

فى ذلك الوقت استطاع البشر أن يحرروا أنفسهم من الشباك، وقاموا بإشعال النار. فاحترقت الغابة واضطرت الوحوش إلى الهرب للنجاة بحياتها. وركض البشر من خلفهم ومضوا يقتلون شعب مولونجو. واستمر هذا الحال للعديد من الأيام. وأخيرا قرر مولونجو الرحيل عن الأرض، لكنه لم يستطع الوصول إلى السماء عبر الأشجار، فهتف مناديا على العنكبوت. وقام العنكبوت بغزل خيوطه التى امتدت حتى عنان السماء، ثم هبط عبرها إلى الأرض ثانية. وقال لمولونجو:

– لقد نجحت فى الوصول إلى السماء، والآن يمكنك تسلق خيوطى إلى أعلى.



صعد مولونجو متسلقا خيوط العنكبوت حتى وصل إلى السماء، وهكذا استطاع النجاة من البشر.

---

(١) مولونجو– هو السلف الأول لدى شعوب شرق أفريقيا. وفى المعتقدات الدينية يحظى اسم مولونجو بالتبجيل والاحترام مزاحما لأسماء الآلهة فى الديانات القديمة. (المترجم)

٦ـ كيف صعد خويان[١] إلى السماء؟



عندما خلق خويان السماء والأرض صعد وارتفع إلى السماء. وقد قام بهذا الأمر على النحو التالى: قام خويان بدق وتد بعد الآخر فى السماء، وصعد فوقها تدريجيا، وما إن وطأ بقدمه الوتد الأعلى حتى نزع الوتد السفلى. وهكذا استطاع الصعود إلى السماء بعد أن خلع من ورائه جميع الأوتاد. وقد فعل هذا حتى لا يتمكن الناس من الصعود خلفه إلى السماء.

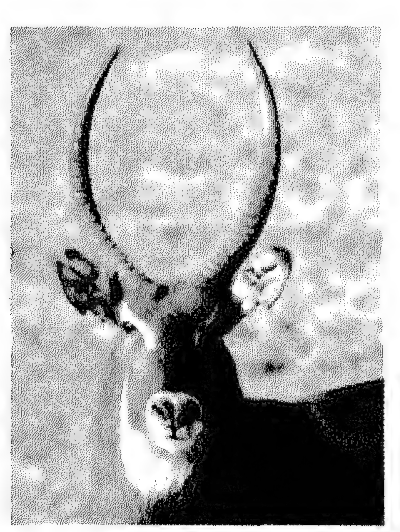
---

(١) خويان- هو الرب الأعظم فى معتقدات شعوب البانتا الجنوبية، فهو أول الأسلاف أو "الإنسان الأول". (المترجم)

٧ـ لماذا يعيش الرب فى السماء؟

عندما خلق نيامبى[١] جميع الكائنات الحية كان يعيش مع زوجته ناسيليلا[٢] على الأرض. وخلق نيامبى الحيوانات والطيور والأسماك، وكائنا حيا فقط لا يشبه غيره من سائر المخلوقات، وأطلقوا عليه اسم كامونو. وكان كل ما يفعله نيامبى يقلده كامونو فيه على الفور. فعندما كان نيامبى يعمل فى الغابة يذهب كامونو إلى الغابة مثله؛ وعندما يقوم نيامبى بطرق الحديد يقوم كامونو بطرق الحديد هو الآخر، حتى إن نيامبى صار يخشى كامونو بعض الشىء.

وذات مرة صنع كامونو حربة وصرع بها ظبيا. وبعد ذلك صار يقتل الوحوش كثيرا.



ثار غضب نيامبى على كامونو لما فعله. وفى أحد الأيام نادى عليه وقال له:

---

١٠ نيامبى– اسم وثيق الصلة بالآلهة، ويطلق كذلك على زعيم القبيلة. (المترجم)

١١ ناسيليلا– شخصية مقدسة فى المعتقدات الدينية، يقوم الناس بتحيتها عندما يشاهدون القمر ليلا. (المترجم)

- أيها الإنسان، إنك تسلك مسلكا سيئا للغاية، إن الوحوش إخوة لك، فلا تقم بقتلها.

وقام نيامبى بطرد كامونو إلى قرية أخرى، ولكن الأخير عاد بعد مرور بعض الوقت. وحينئذ قرر نيامبى السماح له بالبقاء، بل ومنحه حقلا كى يقوم كامونو بزراعته.

وذات مرة فى المساء هام قطيع من الجاموس فى حقل كامونو الذى قام بقتلهم برمحه على الفور. ووصل الظبى إلى حقل كامونو.

وبعد مرور بعض الوقت مات كلب كامونو، وبعد ذلك تحطم القدر الفخارى لديه، وأخيرا مات طفل كامونو. عندئذ ذهب إلى نيامبى يقص عليه ما حل به من بؤس. وهناك شاهد فجأة كلبه وقدره الفخارى وطفله، فطلب كامونو من نيامبى قائلا:

- أعطنى العقار الشافى كى يعود إلى مرة أخرى الكلب والقدر والطفل.

ولكن نيامبى لم يعطه شيئا. فقد كان نيامبى منزعجا للغاية لمقدم كامونو. ونادى على مستشاريه الكبار قائلا:

- ما الذى يمكننا فعله الآن؟ لقد أصبح كامونو يعرف الطريق إلى هنا جيدا.

وحاول نيامبى الاختباء من كامونو عدة مرات. ففى البداية انتقل إلى جزيرة فى وسط النهر، ولكن كامونو صنع طوافة من الأغصان وسبح بها حول الجزيرة.

عندئذ قام نيامبى ببناء جبل هائل، وصار يعيش فوق قمته. ولكن كامونو استطاع أن يجد سبيلا له يقوده إلى هناك. وهكذا لم ينجح نيامبى فى التخلص من الإنسان.

كان البشر فى أثناء ذلك الوقت قد انتشروا واستوطنوا كافة بقاع الأرض. وفى نهاية الأمر اضطر نيامبى لإرسال طيوره للبحث عن مكان لمدينة الإله ليتوما. ولكن الطيور لم تعثر على موقع فارغ بالأرض. حينئذ توجه نيامبى إلى المنجم الذى قال له:

- إن حياتك تعتمد على العنكبوت.

نادى نيامبى على العنكبوت الذى مضى يبحث عن مسكن للرب فى السماء. وبعد ذلك قام العنكبوت بغزل خيط طويل تسلقه نيامبى حتى وصل للسماء، ثم أخذ بنصيحة المنجم وفقأ عينى العنكبوت حتى لا يعرف أحد بعد ذلك الطريق إلى السماء أبدا.

وعندما صار نيامبى يقطن السماء نادى كامونو على الناس وقال لهم:

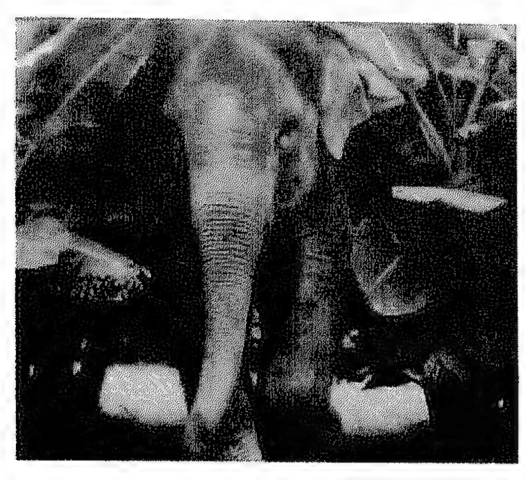
- هيا بنا نشيد برجا عاليا يصل بنا إلى السماء عند نيامبى.

وبدأ الناس يجمعون الأشجار ويكومون الأخشاب فوق بعضها بعضًا حتى صارت أقرب فأقرب للسماء. ولكن البرج صار عاليا وثقيلا للغاية حتى تحطم وتهاوى. وهكذا لم يستطع كامونو الوصول إلى بيت نيامبى الجديد قط. وفى المقابل كان كامونو فى كل صباح وعند شروق الشمس يقوم بإلقاء التحية قائلا:

- ها قد وصل مليكنا.

وصار جميع الناس عندما يتوجهون إلى الشمس يقومون بالتصفيق لها وتحيتها. وعندما يولد الهلال فى السماء يقومون بتحية ناسيليلا زوجة نيامبى.

٨ـ الفيل والإنسان الأول:



ذات مرة وصل الإنسان من الصحراء. وكان وحيدا وحزينا. فقام الفيل الذى قابله فى الطريق بحمله فوق ظهره، وظل يطوف به فى كل مكان للعديد من السنوات، وعرفه على الغابة والسافانا، وعلى جميع الوحوش التى تعيش هناك. وكان الإنسان يأكل طعامه من العسل البرى وثمار الغابة التى كان الفيل يحضرها له. وعلم الفيل الإنسان أسرار الصيد، وجعل منه صيادا عظيما. ثم حمل الفيل الرجل إلى بلاد الأفيال حيث شاهدا هناك امرأة جالسة على الأرض، فأنزل الفيل الإنسان أمام المرأة، وقام بخلع بعض الأشجار كى يبنى أول زوج من البشر كوخا لهم ويعيشوا به. أقام الرجل والمرأة معا، وفى البداية كانا يعيشان على الصيد فقط. وقد أنجبا العديد من الأبناء، وعمروا الصحراء بالناس. وهكذا، ظهرت قبيلة ياو[١].

---

(١) ياو– قبيلة يقيم أفرادها على الأراضى الواقعة بين أنهار لودجيندا وروفوما ولوشيرين فى موزمبيق، وعلى الشاطئ الجنوبى لبحيرة نياس فى مالاوى والمنطقة الجنوبية لتنزانيا، ويبلغ تعدادهم نحو مليون نسمة. وتنتمى لغة ياو إلى المجموعة الشرقية من عائلة بانتا اللغوية.

٩- كيف انفصل الرب عن البشر؟

في قديم الزمان كان فولباري[١] يعيش مع البشر متجاورين بصورة مباشرة. وكان فولباري يقيم على الأرض الأم التي كانت تسمى "أساسي إيا". وحيث إن المساحة التي عاشوا بها كانت صغيرة للغاية، أصبح الناس يزعجون الرب فولباري الذي لم يعجبه هذا الحال، فانفصل عنهم وصعد إلى هناك حيث يعيش الآن. وأصبح بوسع الناس اللهو كما شاءوا، ولكن لم يعد بوسعهم الوصول إليه.

لقد أزعجوه مرات عديدة. وقد كانت هناك عجوز تطهو طعامها أمام الكوخ الذي يعيش به. وكانت طوال الوقت تصيب فولباري بالجروح وهي تدق الطعام بالدقاقة. كان هذا الأمر يسبب الألم له، وفي النهاية اضطر للصعود أكثر فأكثر كي لا تصل إليه. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الدخان المتصاعد من المواقد التي يعدون فيها الطعام فوق النار يصل إلى عينيه ويؤلمها، مما اضطره للابتعاد أكثر فأكثر. كما يحكون أيضا أن فولباري عندما كان قريبا من الناس كانوا يمسحون به أصابعهم المتسخة. وهذا الأمر بالطبع أزعجه كثيرا. ومما زاد الطين بلة وجعل فولباري أو فاي- كما يطلق عليه أفراد قبيلة كاسين- للابتعاد نهائيا عن البشر. وقد جرى هذا على النحو التالي: قامت إحدى العجائز في أثناء طهيها الطعام بقطع جزء من فولباري وإضافته للطعام كي يصبح مذاقه جيدا. ولهذا كله، صعد فايَ إلى أعلى.

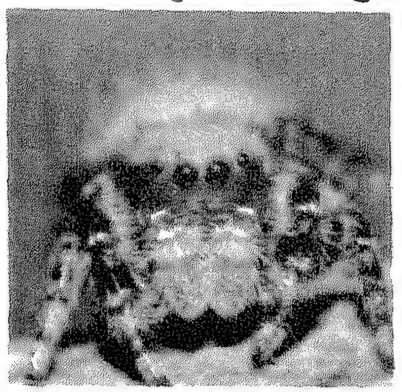
وعندما استقر في موقعه الجديد، عاش فولباري على نحو طيب للغاية مع مقربيه من الحيوانات. وبدا كما لو أن الأمر يمضي بصورة حسنة، حتى جاء ذات مرة العنكبوت أنانسي الذي كان كبير الحراس لدى فولباري، وطلب منه كوز ذرة. وافق فولباري على طلبه، لكن الفضول دفعه لمعرفة ما سوف يفعله أنانسي بكوز ذرة واحد. فقال له أنانسي:

---

(١) فولباري هو الرب الذي يزاحمه البشر على الأرض دائما.

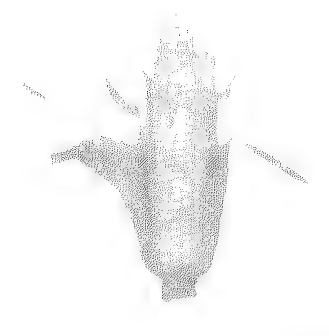
- أيها الرب، إننى سوف أقايض هذا الكوز بمئة من العبيد وأجلبهم إليك.

ضحك فولبارى لدى سماعه هذا الرد.



لكن أنانسى كان يعرف جيدا ما يعنيه بقوله. ومضى فى طريقه. وعندما هبط على الأرض سأل عن الطريق الذى يخرج به من أرض شعب كراتشى[1] إلى شعب إيبيندى. وأشار إليه أحد نحو الطريق الذى يؤدى به إلى هناك. وفى نفس هذا المساء وصل أنانسى إلى أرض تارياس. وهناك سأل الزعيم عن المكان الذى يمكنه التوقف به، فقادوه إلى أحد الأكواخ. وعندما حل الظلام وجاء وقت النوم، حمل كوز الذرة وسأل الزعيم عن مكان آمن يمكنه أن يضعه به، كى يظل سليما على حاله. وقال أنانسى:

إن كوز الذرة هذا ملك لفولبارى. وقد أرسله معى إلى الإيبيندى، وينبغى علىّ أن أنقله إليه سليما كاملا.



(١) كراتشى- شعب يسكن المناطق الجنوبية الشرقية لغانا والمناطق الجنوبية لتوجو.

حينئذ أشاروا له إلى مكان جيد فوق السطح، وذهب الجميع للنوم. وفى الليل صعد أنانسى إلى هناك، وأعطى حبات الذرة إلى الدجاج الذى أكلها. وعندما أشرق الصباح ذهب مطالبا بكوز الذرة الذى اتضح أن الدجاج قد التهمه! وعندها أخذ أنانسى يصرخ ويهلل حتى هدأ شعب سكان تارياس من روعه، وأعطوه سلة كبيرة مملوءة بأكواز الذرة. وانطلق من جديد فى طريقه. وبعد فترة وجيزة مكث للراحة عند أبوتشينى بعد أن أصابه التعب من حمل السلة الكبيرة.

وفى الطريق ظهر له رجل يحمل بيديه دجاجة حية كان ذاهبا بها إلى حقله. فألقى أنانسى بالتحية عليه، وسرعان ما تصادق الاثنان. وأخبره أنانسى أن الدجاجة تروق له كثيرا، حتى إنه مستعدا لمبادلتها بسلة الذرة بأكملها، وبالطبع كان هذا العرض مغريا لصاحب الدجاجة الذى وافق على الفور. وانطلق أنانسى مواصلا طريقه بعد أن حصل على الدجاجة.



وفى المساء وصل إلى شعب كباندى. وذهب إلى الزعيم ملقيا عليه التحية، وطلب منه قضاء الليل لديه. فقدموا له على الرحب والسعة فرآشا ينام عليه. كان أنانسى منهكا للغاية وسرعان ما ذهب إلى النوم. ولكنه قبل أن ينام عرض دجاجته أمام الجميع موضحا لهم أن هذه الدجاجة ملك لفولبارى، وينبغى عليه أن يحملها إلى الإيبيندى.

حينئذ، اشتروا لأنانسى عشة آمنة يمكنه أن يضع دجاجته بها، ثـم ذهـب الجميع للنوم.

لكن أنانسى لم ينم. وما إن سمع شخير الجميع يتعالى، حتى نهض وحمـل دجاجته وخرج بها من القرية حيث قام بالتضحية بها. وألقى بالدجاجة بين أغصان إحدى الأشجار، ثم حمل بعض الدم والريش وعاد إلى القرية. وهناك قام بتلطـيخ كوخ الزعيم بدم الدجاجة وريشها وذهب للنوم.

وعندما بزغ ضوء النهار، نهض أنانسى وصار يصرخ مهللا بأن دجاجـة فولبارى قد ضاعت، وسوف يفقد وظيفته قائدًا للجرس، وأن ما فعلته قرية كباندى من عمل شرير سوف يُلحق بها البؤس والشقاء.

خرج الجميع على صوت الصراخ والضوضاء. وكانت خيوط النهار قد غطت الأرض فى ذلك الوقت، وساد الهرج والمرج بين الناس عندما عرفـوا سـبب هـذه الضوضاء. وهنا، أشار أنانسى فجأة إلى الدم والريش اللذين يلطخان كوخ الزعيم.

عندئذ أسقط فى يد الجميع ولم يعد بوسعهم الاعتراض، فذلك الريش يعود إلى دجاجة أنانسى بالطبع، وفى نفس الوقت عثر أحد الصبية على الدجاجة بين الأغصان. وصار واضحا للجميع أن زعيمهم هو الذى قام بهذه الجريمة التى يفزع المرء لمجرد التفكير بها. ولذلك، قاموا مجتمعين وفرادى بالتوسل إلى أنانسى كى يغفر لهم، ويفعل ما بوسعه لمنع الشقاء عنهم، والذى سوف يحل عليهم بالحتم والضرورة.

وأخيرا قال أنانسى إن فولبارى ربما يغفر لهم لو أنهم أعطوه نعجة يحملها إلى الإيبيندى بدلا من الدجاجة.



فهتف الناس قائلين:

– نعجة واحدة ! خذ ما تشاء من النعاج على أن تمنع عنا حلول الشقاء.

أخذ أنانسى عشر نعاج وانطلق فى طريقه، حتى وصل بنعاجه إلى أراضى الإيبيندى دون أن تحدث له أية مغامرات أخرى. غير أن التعب حل بـه، فجلس للراحة قبل أن يصل إلى القرية، وأطلق النعاج للرعى. وفى أثناء جلسة أنانسى اقترب منه حشد من الناس الحزانى يبكون فقيدا لهم. كانوا يسيرون حاملين جثمان المتوفى. وعندما ألقى أنانسى بالتحية عليهم وسأل عما يجرى، أجابوه أن شابا قد مات، وأنهم ذاهبون لدفنه بالقرية.

سأل أنانسى عن المسافة إلى القرية، فأجابوه بأنها بعيدة. عندئذ أخبرهم أن جثمان المتوفى سوف يفسد فى أثناء الطريق الطويل، فوافقوا على كلامه. وعرض عليهم أخذ الجثمان مقابل منحهم النعاج العشرة. وقد بدا هذا الأمر غير معقول ولكنهم رأوه مناسبا. وسرعان ما وافقوا على طلبه، ومضوا فى طريقهم بالنعاج تاركين جثة المتوفى لأنانسى.

انتظر أنانسى حتى حلول الظلام، ثم اتجه نحو المدينة حاملا الجثة معه. ووصل إلى منزل زعيم الإيبيندى، وألقى التحية على الملك العظيم، ثم طلب منه مكانا للراحة، وأضاف أنانسى قائلا:

– لقد رافقنى إلى هنا ابن فولبارى، وهو الابن الأثير لديه، وعلى الرغم من أننى معروف باعتبارى رئيسًا للحراس لدى فولبارى؛ فإننى مجرد عبد لهذا الفتى، وهو الآن مستغرق فى النوم بعد أن حل بـه التعب، وأود العثور على كوخ كى أضعه به.

كان هذا خبرا رائعا لشعب الإيبيندى، فقاموا على وجه السرعة بإعداد الكوخ المطلوب للابن المحبب لفولبارى.

قام أنانسى بوضع الجثة فى الكوخ وغطاها بقطعة من القماش كى يبدو الأمر كما لو أن الفتى نائما. وبعد ذلك خرج أنانسى من الكوخ حيث وضعوا له الطعام. وأكل حتى شبع، ثم طلب طعاما لابن فولبارى. وحمل أنانسى الطعام إلى الكوخ والتهمه بنهم، ثم خرج من الكوخ بالأوانى فارغة.

وعرض شعب الإيبيندى على أنانسى أن يقيموا لهم الألعاب والرقصات، فهم لا يحظون كثيرا بتشريف ابن فولبارى لزيارتهم. فوافق أنانسى على عرضهم، ولكنه قال:

- إن هذا الفتى ينام نوما عميقا فى العادة، لذلك لن يزعجه أو يوقظه شىء، ومهما صرخت به أو حتى ضربته فلن يستيقظ، حتى إنى اضطر كل صباح أن أهزه بشدة كى يصحو من نومه.

وهكذا، أقيمت الألعاب والرقصات، وساد المرح واللهو بين الجميع.

وعندما طلع النهار نهض أنانسى وقال إن الوقت قد حان كى يتأهب للرحيل مع ابن فولبارى، وطلب من بعض أطفال الزعيم الذهاب إلى ابن فولبارى وإيقاظه. وقال أنانسى:

إن لم يستيقظ الفتى فعليكم ضربه بشدة حتى يصحو.

وفعل الأطفال كما قال لهم، ولكن ابن فولبارى لم يستيقظ رغم ما فعلوا به. وصاح أنانسى: "اضربوا أقوى فأقوى". لكن ابن فولبارى لم يستيقظ قط.

عندئذ قال أنانسى إنه سوف يذهب بنفسه كى يوقظه. وذهب إلى الكوخ وأخذ يدفع ابن فولبارى بيده. ثم صار يهزه بعنف. وبدا عليه الفزع والخوف فجأة. فقد كان الفتى ميتا! هرع الجميع مهرولين إلى الفناء على صوت صرخات أنانسى، وهناك سمعوا الخبر المشئوم: لقد ضرب أبناء الزعيم الابن المحبوب لفولبارى حتى الموت.

تملك الهلع والرعب الجميع. ووصل الزعيم بنفسه كى يتأكد مما جرى، ويشاهد بعينه ما حدث. وعرض قتل أطفاله فى المقابل، ثم عرض قتل نفسه أو القيام بأى شيء يطلب منه كنوع من الترضية. ولكن أنانسى رفض كل هذه العروض وقال إنه لا يمكنه التفكير بشيء اليوم، حيث إن الكارثة فادحة والمصيبة كبيرة. وليقوموا بدفن الفتى البائس وبعد ذلك قد يصل أنانسى إلى فكرة ما يمكنها إرضاء فولبارى.

قام الناس بدفن المتوفى. وفى هذا اليوم لم ينطق أحد من الإيبيندى بكلمة واحدة، حيث إن الرعب قد ألجم ألسنتهم. وفى المساء طلب أنانسى الزعيم وقال له:

- سوف أعود إلى فولبارى وأحكى له عن مصرع ابنه. لكنى سوف ألقى بالذنب على نفسى، وبهذه الوسيلة أجنبك غضبه. غير أنك مقابل هذا الأمر عليك منحى مائة من الشبان الصغار، كى يذهبوا معى كشهود على موت الفتى.

وعندما سمع الناس بهذا العرض غمرتهم الفرحة، وقاموا باختيار أفضل مئة شاب وتجهيزهم بكل ما يحتاجونه فى رحلتهم الطويلة إلى مسكن فولبارى.

وفى الصباح التالى نهض أنانسى مع الشبان، وانطلق معهم عائدا إلى كرانتشى، ومن هناك صعد معهم لأعلى إلى مسكن فولبارى.

رأى فولبارى أن أنانسى قادم بمصاحبة حشد من الشباب، فخرج للترحيب به. وقص أنانسى عليه كل ما جرى وكل ما فعل وما حدث، وأنه استطاع الحصول على مائة من العبيد الصغار الرائعين مقابل كوز الذرة الذى منحه له فولبارى. وكان فولبارى سعيدا حتى إنه قام بتنصيب أنانسى فى منصب القائد العسكرى العام، وبدل اسمه من أنيانكون إلى أنانسى، وظل يحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا.

لكن الغرور تملك من أنانسى، وصار يتفاخر بفطنته وذكائه. ومضى بعيدا فى غروره حتى قال ذات مرة:

- إنى أكثر حكمة من فولبارى نفسه.

وعندما عرف فولبارى بما قاله أنانسى تملك الغضب منه لغرور أنانسى. وفى اليوم التالى طلب فولبارى حضور قائده العسكرى، وأمره بالذهاب وإحضار "شىء ما". ولم يقم بتحديد هذا الشىء بدقة، واضطر أنانسى بنفسه التفكير حول هذا "الشىء ما" الذى يريده فولبارى.

وظل طوال اليوم يفكر فى هذا الأمر. وفى المساء ضحك فولبارى منه قائلا:

- عليك أن تحضر لى "شىء ما"، ألست تتفاخر بنفسك فى كل مكان بأنك ند لى؟ عليك الآن إثبات هذا الأمر على أرض الواقع.

هكذا، نهض أنانسى فى اليوم التالى، وانطلق فى طريقه يبحث عن "شىء ما". وسرعان ما واتته الفكرة. فجلس على جانب الطريق مناديا على جميع الطيور. وأخذ من كل منها أجمل ريشة بها، ثم أطلقها ثانية، وصنع من الريش كسوة رائعة الجمال، ثم عاد بعد ذلك إلى مدينة فولبارى. وهناك قام بتغطية نفسه بهذه الكسوة، وصعد فوق شجرة قائمة أمام بيت فولبارى.

سرعان ما خرج فولبارى، فشاهد الطائر ذا الهيئة الرائعة. لم يكن قد رأى شيئا مماثلا من قبل، لذلك نادى على الجميع وسألهم عن هوية هذا الطائر البديع. ولكن أحدا لم يستطع الرد على سؤاله، بما فيهم الفيل الذى يعرف عن كل شىء موجود فى شتى الأرجاء البعيدة. واقترح أحدهم قائلا إن أنانسى ربما هو الذى يعرف هوية هذا الشىء. ولكن فولبارى قال إن للأسف قد بعث به فى مهمة خاصة. وعندما سأله من حوله عن هذه المهمة ضحك فولبارى قائلا:

- لقد أصاب الغرور أنانسى بدرجة فاقت الحدود، وسمعت عن قوله إنه أكثر حكمة منى. لذلك أمرته أن يحضر لى "شىء ما".

وأراد الجميع أن يعرفوا طبيعة هذا "الشيء ما"، وشرح لهم فولباري أن أنانسي لم يحزر أن "الشيء ما" الذي يقصده ويريد الحصول عليه لن يخرج عن: الشمس، أو القمر، أو الظلام.

وهنا ضحك الجميع مقهقهين، فقد وقع أنانسي أمام لغز يصعب حله، وذلك بفضل فطنة فولباري العالية. وسمع أنانسي- المتخفي في كسوة الريش الرائعة- كل ما قيل وما يحتاج لمعرفته، فهبط من فوق الشجرة واختبأ أسفلها. وهناك خلع الكسوة عنه وانطلق بعيدا. لم يعرف أحد مقصده الذي ذهب إليه، لكنه استطاع العثور على الشمس والقمر والظلام بمكره.

ويعتقد البعض أن الثعبان هو الذي أعطاهم له، والبعض الآخر لا يؤمن بذلك. وأيا كان الأمر فقد استطاع العثور عليهم، ووضعهم في جواله وقفل عائدا بسرعة إلى فولباري. وفي نهاية اليوم وصل إلى بيت سيده. فقام فولباري بتحيته ثم سأله: هل أحضرت لي " شيء ما " ؟ فقال أنانسي: نعم. وأخرج الظلام من الجوال. وعلى الفور ساد الظلام المكان تماما، حتى لم يعد بالوسع رؤية أي شيء، ثم قام بعد ذلك بإخراج الشمس من جواله، فأصاب العمى كل من نظر إلى أنانسي في تلك اللحظة، أما الذين نظروا بالكاد إلى طرف الشمس فقد أصاب العمى منهم عينا واحدة. واحتفظ بنظرهم أولئك المحظوظون الذين كانت أعينهم مغلقة في تلك اللحظة.



وهكذا، كان هذا ما جرى. وظهر العمى بين الناس في العالم بسبب أن فولباري أراد الحصول على "شيء ما".

١٠ـ جوينو تساتسوى، البابون وتساجن:

في يوم من الأيام ذهب جوينو تساتسوى لإحضار العصى لوالده حتى يمكنه أن يرمى بها الجالسين على كعوبهم. وفى الأدغال قابل عددا من البابون. واقترب أحد البابون العجائز من جوينو تساتسوى، وسأله عما يفعله فى هذا المكان. فحكى له جوينو تساتسوى إنه قد جاء لإحضار العصى لأبيه حتى يمكنه أن يرمى بها الجالسين على كعوبهم. هتف البابون صائحا:

– هاه، استمعوا لما يقوله هذا الطفل!

وقفز أحد البابون مجيبا النداء:

– سوف أذهب لسماع ما يقوله هذا الطفل.

واقترب منه سائلا:

– ما الذى يقوله هذا الطفل؟

كرر جوينو تساتسوى:

– ينبغى على إحضار العصى لأبى، حتى يمكنه أن يرمى بها الناس الجالسين على كعوبهم.

قال البابون بعد أن سمعه:

– هيا أخبروا ذلك العجوز هناك كى يقترب ويستمع لما يقوله هذا الطفل.

وصاح البابون الثانى مناديا:

– هاه، هيا اقترب واستمع لما يقوله هذا الطفل.

هتف الآخر مجيبا:

- هأنا قادم.

واقترب منه سائلا:

- ما الذى يقوله هذا الطفل؟

أجابوا عليه قائلين:

- يقول هذا الطفل إن عليه إحضار العصى لوالده، حتى يمكنه أن يرمى بها الجالسين على كعوبهم.

فهتف لدى سماعه ما قيل:

- هيا أخبروا هذا العجوز هناك كى يقترب ويستمع لما يقوله هذا الطفل.

حينئذ أجاب البابون الآخر:

- أنت أيها السائر هناك فى الأمام! احضر واستمع لما يقوله هذا الطفل.

فرد الآخر:

- هأنا قادم.

واقترب منهم سائلا:

- حسنا، ما الذى يقوله هذا الطفل؟

أجابوه:

إنه يريد الحصول على عصى لوالده، كى يمكنه أن يرمى بها الناس الجالسين على كعوبهم.

صاح البابون قائلا:

- إننا نحن المقصودون بالجالسين! هيا أخبروا هذا العجوز هناك حتى يأتى ويستمع لما يقوله هذا الطفل.

نادوا على العجوز:

-هيا اقترب واستمع لما يقوله هذا الطفل.

فرد عليهم:

- هأنا قادم.

واقترب منهم قائلا:

- حسنا، ما الذى يقوله هذا الطفل؟

أجابوه:

- يريد هذا الطفل، كما يقول، الحصول على عصى لوالده حتى يمكنه أن يرمى بها الناس الجالسين على كعوبهم.

عندئذ صاح البابون قائلا:

- أوه! أنه يقصدنا نحن! هيا اذهبوا بسرعة وأخبروا ذلك العجوز هناك كى يأتى ويستمع لما يقوله هذا الطفل.

فنادى عليه أحدهم:

- أنت أيها السائر هناك فى الأمام! هيا تعالى واستمع لما يقوله هذا الطفل.

رد السائر:

- هأنا قادم.

اقترب منهم وسأل:

- ما الذى يقوله هذا الطفل؟

ردوا عليه:

- هذا الطفل يريد الحصول على عصى لأبيه، حتى يمكنه أن يضرب بهـا الناس الجالسين على كعوبهم.

كان ذلك البابون عجوزا وحكيما مجربا، فهتف عندئذ قائلا:

- ماذا؟ إن أولئك الناس الجالسين المقصود بهم نحن! ينبغى علينا قتل هـذا الطفل فورا.

وهكذا، انقض البابون يضربون جوينو تساتسوى. فضربه البعض بقبضاتهم حتى حطموا رأسه. وفقأ آخر عينه وأخرجها من محجرها، وهتف يصيح:

- هذه كرتى هذه كرتى!

وعندها بدءوا يلعبون بعين الطفل الذى رقد بلا حراك بعد أن مات.

ومضوا فى اللعب واللهو وشرع البابون الأول فى الغناء:

- هذه كرتى كرتى أنا، وأريد اللعب بها هنا.

فرد عليه بابون آخر:

- هذه الكرة لرفيقى هناك، وأود اللعب بها معك.

وغنى البابون الثالث:

- هذه الكرة لرفيقى هناك، وأود اللعب بها معك.

أما الآخرون فمضوا فى الغناء:

- ونحن نريد اللعب بها. لمن هذه الكرة التائهة؟ ونحن نريد اللعب بها. لمن هذه الكرة التائهة؟

وهكذا مضوا فى الغناء واللهو بعين الطفل.

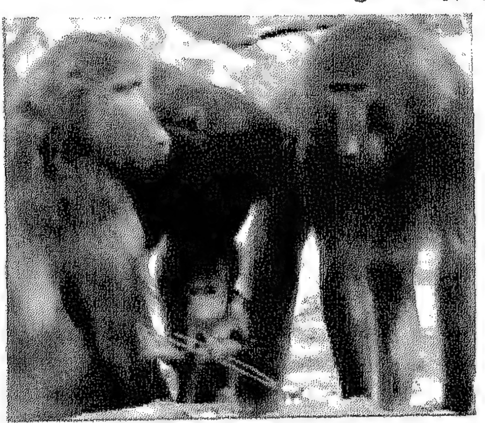


ظل تساجن[1] ينتظر طفله حتى حلول المساء، وبعد ذلك ذهب للنوم. وتراءى له فى المنام حلم شاهد فيه كما لو أن البابون قتلوا طفله وصنعوا كرة من عينه. كما رأى فى منامه أن البابون مضوا يلعبون بعين الطفل كالكرة. عندئذ استيقظ وقفز حاملا جعبة أسهمه على كتفه قائلا:

- هيا زمجرى أيتها الأسهم، زمجرى أيتها الأسهم.

كان عندما يصيح: "زمجرى أيتها الأسهم"، عندئذ تزمجر الأسهم فى جعبتها فى أثناء سيره.

وعندما اقترب من البابون سمع تساجن ضوضاء كان مصدرها لهو البابون بعين الطفل التى لعبوا بها كالكرة.



---

(١) تساجن- شخصية أسطورية مقدسة لدى شعب البوشمن، وقد نُسجت من حوله مختلف الأساطير حول أصل القمر والحيوانات وغيرها.
كان تساجن أول من خلق كل شىء، وهو "سيد الأشياء"، الذى يسبب الموت والحياة ويمنح المطر أو يمنعه. (المترجم)

حينئذ صرخ تساجن وهو منهمر فى البكاء، فقد أدرك أن البابون قد قتلوا ابنه بالفعل. لكنه سرعان ما كتم صرخاته وكفكف دموعه. فلم يكن يريد أن يرى البابون دموعه تسيل. وقرر اللعب معهم بالكرة.

اقترب تساجن منهم فنظروا إليه بدهشة شديدة، حيث إنهم لم يروه من قبل. فوضع جرابه جانبا وخلع معطفه الجلدى ووضعه بجانبه، ثم أخرج من الجراب فرشاته الريشية، وقام بلفها كى يلعب بها مع الكرة. وقد استعد للعب معهم واختطاف الكرة عندما تقع عنده. وها هو يهتف فى البابون:

– لماذا تحملقون فى؟ هيا بنا نلعب بالكرة!

نظر إليه البابون نظرة شك. فقد ارتابوا فى أن ظهوره ليس بالمصادفة. وعندما قام أحد البابون بقذف الكرة للآخر، استطاع تساجن أن يخطفها، فشعرت الكرة برائحة الوالد؛ وهى نفسها عين طفله؛ وصارت تتحرك للخلف والأمام دون أن تجعل البابون يمسكون بها، والذين حاولوا طوال الوقت القبض عليها هباءً. وعندما نجح أحد البابون فى الإمساك بالكرة، قام برميها لآخر، وهنا قفز تساجن وأمسك بعين ابنه، وصار يلقى بها من يد إلى أخرى، ثم دهنها بعرق إبطيه. وبعد ذلك قذف بعين ابنه إلى البابون، ولكنها ارتفعت عاليا إلى السماء. فنظروا نحوها وهى تحلق من فوقهم. وتوقفت عين الطفل فوق الجراب، وبدا كما لو أنها سوف تقفز عبره وتخترقه، ولكنها قفزت بداخله.

حينئذ مضى البابون يبحثون عنها. وكذلك تصنع تساجن البحث عنها هو الآخر. وظل البابون يبحثون عنها طويلا، ثم قالوا لتساجن:

– أعد إلينا كرتنا.

وقال البابون الذى تعود إليه الكرة:

– أعطنى كرتى.

أجاب تساجن:

- إننى لم آخذ الكرة.

هتف البابون مطالبين ثانية:

- أعط الكرة لرفيقنا.

وقال البابون الذى تعود إليه الكرة.

- أعطنى الكرة.

بعد ذلك طلب منه البابون أن يفرغ محتويات الجراب؛ لأنهم ظنوا أن الكرة بداخله.

فأخرج تساجن عين طفله وأخفاها فى يده هاتفا:

- انظروا، الكرة ليست هنا!

وقام بإفراغ محتويات الجراب وقلبه بالمقلوب. حينئذ هتف أحد البابون صارخا:

- فلنضرب العجوز!

وصاح آخر:

- أعط الكرة لرفيقى!

وقام بضرب تساجن على رأسه. حينذاك صرخ تساجن:

- إنى لم آخذ الكرة! وضرب البابون على رأسه.

وهنا تجمع الجميع وقاموا بضرب تساجن بقبضاتهم، فضربهم تساجن هو الآخر. ولكن أعداد البابون كانت كثيرة، ولم يستطع تساجن أن يهزمهم. حينئذ قفز قفزة كبيرة طائرا فوق الماء وغطس فيه، ثم خرج من الماء وذهب إلى الشاطئ الذى اكتسى بالعشب. وجلس تساجن هناك وهتف:

- آخ، أوو، آخ!

ووضع فى فمه خلف خده الأيسر إصبعه الكبير بيده اليمنى التى كان يقبض بها على العين ببقية أصابعه، ثم صار يسحب أصيبعه من فمه بصعوبة. وبعد ذلك وضع عين الطفل فى الماء قائلا:

- ينبغى عليك أيها الطفل أن تنمو وتصبح كما كنت فى السابق.

وتناول معطفه الجلدى ملقيا به على كتفيه، وعلق جرابه فوق رقبته، وعــاد إلى البيت.

وعندما شاهده حفيده الصغير إخنيفمون(١) هتف يقول:

- من الذى جرؤ على إصابة جدى تساجن بكل هذه الجروح؟

رد تساجن:

- لقد قتل البابون جوينو تساتسوى، وصاروا يلعبون بعينــه مثــل الكــرة. وذهبت لألعب الكرة معهم، ثم اختفت الكرة وقال البــابون إنهــا لــدى، ومــضوا يتعاركون معى، وبعد أن صارعتهم طرت مبتعدا عنهم.

حينذاك قال كوامانجا والد إخنيفمون:

- أريد أن أسألك، لماذا ذهبت إلى الغرباء؟

أجاب تساجن:

- لقد دفعنى الحزن للذهاب إليه.

لم يخبر تساجن أحدا منهما عن وضعه عين الطفل فى الماء. وظل فى البيت لفترة طويلة، ثم ذهب إلى الماء حيث المكان الذى ترك به عين الطفــل. واقتــرب

---

(١) إخنيفمون - هو أحد أبناء كوامانجا فى ميثالوجيا البوشمن، وكوامانجا هو شخصية أســطورية تمثــل صهر تساجن، أى أنه زوج ابنته بالتبنى ويسمونه أبو شوك.

بحذر وهدوء محاولا عدم إصدار أية ضوضاء، ورغم ذلك فقد سمعه الطفل من بعيد فقفز وألقى بنفسه في الماء.

ضحك تساجن وقفل عائدا رغم أن قلبه كان يشتاق إلى الطفل.

ومع مرور الوقت كبر الطفل وعادت هيئته لسابقها. عندئذ جاء تساجن مرة أخرى. ومضى ينظر من حوله حتى لمح طفله الذى جلس تحت أشعة الشمس. وعندما سمع الطفل صوت خطوات والده قفز إلى الماء. فتوقف تساجن وألقى بنظره، ثم قفل عائدا، وقرر أن يصنع لطفله مئزرا جلديا.

وضع تساجن المئزر بالجوال وذهب مرة أخرى إلى طفله. وسار فى حذر وهدوء. وعندما اقترب، شاهد طفله راقدا تحت أشعة الشمس بجانب الماء. وعندما شعر الطفل بوجوده أراد الهرب، لكن تساجن قفز وأمسك بالطفل ثم دهنه بعرق إبطه قائلا:

- لماذا تخاف منى؟ إننى والدك. أنا تساجن وأنت ابنى، أنت جوينو تساتسوى. أنت فلذة كبدى وأنا والدك.

جلس الطفل هادئا. وأخرج تساجن المئزر ووضعه عليه، ثم أخذ الطفل معه وعاد الاثنان إلى البيت.

حينذاك صاح إخنيفمون الصغير قائلا:

- من هذا الذى يسير مع تساجن؟

أجاب كوامانجا:

- ألم تسمع ما قاله لك الجد، وعن ذهابه إلى البابون الذين لعبوا بعين الطفل مثل الكرة ؟ إنه لم يذهب إلى هناك من أجل اللعب، فقد كان بوسعه اللعب معنا، بل ذهب إليهم من أجل ابنه، وها هو ابنه يسير معه.

وعندما وصل تساجن وابنه سأل إخنيفمون الصغير قائلا:

- لماذا أخبرنا الجد تساجن أن اليابون قد قتلوا الطفل، بينما ها هو الطفـــل معافى وحى يرزق؟

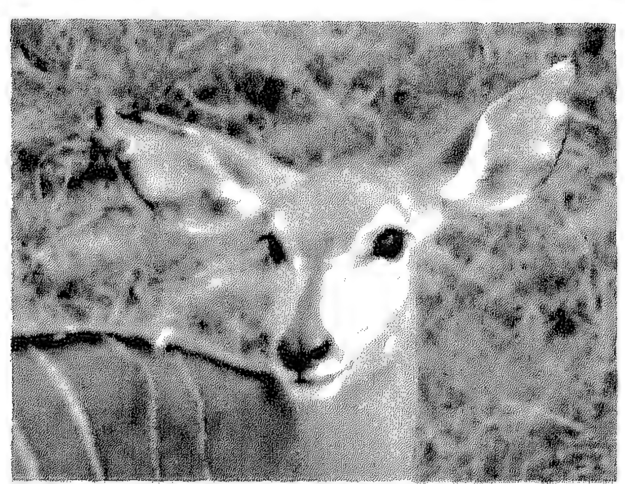
رد تساجن:

- انظر كم هو ضعيف، فعندما قتلوه قمت بوضع عينه فى الماء، وصـــرت أتردد عليها حتى كبر مرة أخرى. لقد وضعت العين فى الماء، ومـــن الماء خرج الطفل، لكنه ما زال ضعيفا للغاية. وينبغى على الانتظـــار والاهتمام به حتى يشتد عوده ويصبح قويا.

١١. كيف تحول تساجن إلى ظبى؟

حدث ذات مرة أن خدع تساجن بناته فتحول إلى ظبى، ثم تصنع الموت ورقد على الأرض. وعندما ذهبت الفتيات للبحث عن أعشاب تؤكل تعثروا به فى أثناء بحثهم، حيث كان ممددا على الأرض وقرناه ملقيان للخلف. وعندما شاهدته البنات هتفن قائلات:

- ها هو ظبى راقد هنا. لقد صار الآن ظبينا، وسوف يكون لدينا الكثير من اللحم.



قفزت الفتيات من الفرح. ثم أخذن قطعا من الصخور وشحذنها، حتى صنعت من هذه الصخور سكاكين، ومضين يسلخن بها تساجن. وهنا تملص الجلد من أياديهن فصرخن:

- اقبضوا على جلد الظبى بقوة!

وقالت إحدى الفتيات:

- إن جلد الظبى يتملص ويدفعنى نحوه.

أما الشقيقة الأكبر فأشارت قائلة:

- يبدو أن هذا الظبى لم يصب بأية جروح من قِبل الناس. ولم يرمه أحد بسهم أو رمح، وعلى الأرجح إنه مات ميتة طبيعية.

وقامت الشقيقة الكبرى بقطع أحد كتفى الظبى ووضعها فوق الحطب، فتحرك الكتف من تلقاء نفسه حتى استقر على الجانب الآخر من الحطب، فيما بدا أنه أكثر راحة هناك. بعد ذلك قامت الفتاة بقطع القائمة الخلفية للظبى ووضعتها فوق الحطب؛ فتحركت القائمة حتى استقرت فى وضع بدا أكثر راحة لها. وقامت الفتاة بقطع الكتف الآخر للظبى ووضعه فوق الحطب، فقفز من مكانه حتى استقر فوق بعض الأوراق الطرية هناك.

قامت الشقيقة الثانية بقطع القائمة الخلفية الأخرى للظبى، وتكرر نفس الشيء. وتحدثت الفتيات فيما بينهن:

- إن لحم هذا الظبى يتحرك من تلقاء نفسه. ويبدو أنه ينتقى الأماكن الأكثر راحة له، وهو يتملص من أيادينا بنفسه، وربما سوف يهرب منا، وقد حان الوقت كى نعود إلى البيت حاملين طريدتنا معنا.

ومضت الفتيات فى تقسيم الغنيمة بينهن قائلات:

- هيا بنا نقطع رأس هذا الظبى ولتأخذها الشقيقة الصغرى، أما الكبرى فيمكنها أخذ الجزء السفلى للظبى.

وحملت كل منهن نصيبها وقلن للفتاة الصغرى:

- عليك حمل رأس الظبى، وفى البيت سوف يقوم الوالد بطهيها لكِ.

رفعت الفتاة رأس الظبى فوق كتفها، ولكنها كانت ثقيلة لدرجة أن ظهرها انحنى من فرط الثقل. حينذاك نادت على شقيقاتها:

- ساعدونى على رفعها، فإن رأس هذا الظبى ثقيلة للغاية.

قامت الشقيقات بمساعدتها فى رفع الرأس، وانطلقن نحو البيت.

فى أثناء الطريق كانت رأس الظبى تنجذب للأسفل طوال الوقت، لأن تساجن كان يريد الهبوط على الأرض، ولكن الفتاة كانت ترفعها إلى كتفها فى كل مرة. وكانت تعدل وضع الحزام الذى كانت تربط به حملها، حينئذ استدارت رأس الظبى قليلا وزحزحت الحزام من فوق عينيها. وهمست بصوت خفيض للفتاة:

- ابنتى! إن الحزام يغطى عينى تماما، فحركيه بعيدا عنها ولو قليلا.

نظرت الفتاة فى دهشة. فتحركت عينا تساجن ناظرة إليها.

عندئذ مضت الفتاة فى البكاء بصوت متقطع، أما الشقيقة الكبرى فنظرت نحوها قائلة:

- أسرعى أسرعى إننا عائدون إلى البيت.

صرخت الفتاة:

- إن رأس هذا الظبى تستطيع الكلام!

حينذاك أخذت الشقيقة الكبرى تسبها قائلة:

- يالك من كاذبة، هيا امضى للأمام ولا تتخلفى عنا، ما لكِ تسيرين بالكاد وتصدعين رءوسنا بأقاويلك السخيفة.

فقالت الفتاة لشقيقتها الكبرى:

- إن الظبى يحرك عينيه نحوى ويطلب منى أن أزيح الحزام من فوق عينيه، فالرأس التى ترقد فوق ظهرى ترمقنى بنظراتها.

سرعان ما نظرت الفتيات مرة أخرى نحو رأس الظبى الذى فتح عينيه ثانية. وقالت الفتاة لشقيقتها الكبرى:

– لا بد من أن رأس هذا الظبى حية، فهى تفتح عينيها وتغلقهما طوال الوقت.

ومضت الفتاة للأمام، وأرخت وثاق الحزام الذى يربط الحِمل. فسقطت رأس الظبى على الأرض. وهنا أخذ تساجن يسبها:

– ما الذى فعلته أيتها الفتاة المهملة! لقد ألحقتِ الأذى برأسى! آه يا رأسى المسكينة.

وهنا أوقعت الفتيات اللحم. فقفزت أجزاء جسم تساجن وتجمعت معا: فالتصقت رأس تساجن بالرقبة، والرقبة بالجزء العلوى من العمود الفقرى، والعمود الفقرى بالظهر، وقفزت القائمتان الخلفيتان لتساجن إلى الأمام مثل الضفدع لتلتحما بالظهر، كذلك ركضت القائمتان الأماميتان واستقرتا فى مكانهما مع بقية الجسم. وأسرع الصدر يحتل مكانه، وكذلك الكتفان مع الضلوع. وسرعان ما تجمعت كافة الأجزاء وعادت إلى أماكنها.

وعندما شاهدت البنات ما جرى فرت هاربة لا تلوى على شىء. وقف تساجن فوق الأرض يتبعهم. وعندما لحق بالبنات أصبحت رأسه مستديرة وعاد إنسانا. ومضى يركض من خلفهن وهو ينتعل فى قدميه "نعلا" يدفع الأرض به. وكان يحرك كتفه الأيسر فى أثناء ركضه لأنه كان أعسرا. وعندما رأى البنات قد وصلن إلى البيت استدار وهبط إلى النهر. ومضى يسير فوق الرمال موازيا لمجرى النهر ومُصدرا جلبة هائلة، ثم خرج من هناك فى هدوء، واستدار عائدا مرة أخرى من الجانب الآخر دون أن يحدث أدنى ضجة.

وأخذت البنات تحكى ما جرى بالبيت:

– لقد سرنا وشاهدنا ظبيا. وكان الظبى ميتا. فقمنا بتقطيعه، ولكن اللحم كان يتحرك طوال الوقت كأنه حى، ثم تملص من أيادينا. ومضى يتقلب من تلقاء نفسه فوق الحطب حتى استقر فى مواضع مريحة له، أما رأس الظبى فقد كانت تهمس فى أثناء حملها. وهذه الفتاة التى تجلس هنا هى التى قامت بحملها. وكانت رأس الظبى تتحدث من فوق ظهرها.

وقالت الفتاة لوالدها:

- نعم يا أبى إن هذا ما جرى. ألا تصدق أن رأس الظبى قد تحدثت معى؟ لقد كانت رأس الظبى تنظر نحوى من الخلف فى أثناء سيرى وحملى لها طوال الوقت، ثم طلبت منى أن أرخى الحزام من فوق عينيها لأنه كان يغطيهما.

- ألم تقمن بتقطيع هذا العجوز تساجن الذى ركض أمامكم متصنعا الموت؟

قالت الفتيات:

- لقد اعتقدنا أنه ظبيا، فقد كان لديه قرون الظبى، ويغطيه جلد الظبى. ولكن لم يكن لدى هذا الظبى أية جروح أو آثار للأسهم. وكان بوسع هذا الظبى الحديث. وهذه الفتاة هى التى حملت رأس الظبى التى تحدثت معها، أما نحن فقد أوقعنا لحم الظبى، وخلعنا معاطفنا الجلدية وألقينا بها فوق أكتافنا كى يمكننا الركض بسرعة والفرار من هناك، ثم تجمعت قطع اللحم من تلقاء نفسها والتصقت بجسم الظبى مرة أخرى واستقرت فى أماكنها، وعندئذ نهضت ومضت تركض من خلفنا. وكانت تركض مثل الإنسان محركة يديها. وعندما ركضت على هذا النحو أصبح جسمها أحمر اللون، واختفى الجلد الذى كان يغطيها من قبل. وقد أصابنا التعب من طول الركض، بينما كان هذا الإنسان يهرول خلفنا محاولا اللحاق بنا. وعندما شاهدنا وقد وصلنا إلى البيت استدار عائدا وفر هاربا. كان هذا الإنسان يركض بسرعة فائقة إلى الدرجة التى لم يظهر منه سوى آثار بيضاء لنعله. كان يركض أسرع من الريح، وكانت الشمس تنعكس على ظله. كان يركض بكل ما أوتى من قوة، ثم هبط إلى النهر واختفى خلف تلك التلال الواقعة هناك، ثم خرج من الجانب الآخر فى هدوء.

أجاب الوالدان على الأبناء:

- نعم، لقد قمتن بالطبع بتقطيع العجوز سيد الحقول.

حينذاك قالت الفتيات:

- وها نحن الآن نجلس وقد أنهكنا التعب، بينما ذلك المخادع الذى تحول إلى ظبى رقد متصنعا الموت حتى نعثر عليه. وقد قام بكل هذا كى يخدعنا. ففى البداية كانت عيناه ثابتتين لا تتحركان، وكان ميتا، وبعد ذلك أصبح يفتح عينيه ويغلقهما ويتحدث، ثم تجمعت أجزاء جسده واتحدت معا مرة أخرى، ومضى يركض خلفنا. لقد حل بنا التعب، ولن نخرج ثانية للبحث عن الطعام وسوف نظل جالسات بالبيت.

١٢ـ كيف ألقى الأبناء بالشمس إلى السماء؟

يحكى أن الشمس كانت فى الماضى إنسانا. وكانت تعيش على الأرض فى بيتها الخاص. وكان الضياء ينبثق من إحدى إبطيها. وعندما كانت الشمس ترفع يديها يغمر الضياء المكان، وعندما تنزل يديها يسود الظلام. وكان ضوء الشمس أبيض اللون بالنهار، وأحمر اللون كالنار فى الليل.



وعندما كانت الشمس ترقد على جانبها رافعة يدا واحدة، كان الضياء كافيا لإنارة المكان الذى تعيش فيه فقط. كما كان الضياء يغمر ما حول مسكنها، أما بقية الأرجاء فقد كان النور يصل إليها بالكاد. كانت السماء معتمة والظلام يسود كافة الأرجاء، وذلك عندما كانت السماء مملوءة بالغيوم الكثيفة.

وذات مرة تحدثت إحدى العجائز- والتى لم يكن لديها أبناء- وطلبت من امرأة أخرى أن ترسل أبناءها إلى الشمس، وذلك كى يرفعوا الشمس ويلقوا بها إلى السماء. وقالت إن الأبناء ينبغى عليهم القيام بهذا الأمر لأن البرد يصيب الناس، وحتى تقوم الشمس ببعث الدفء إلى الأرض ينبغى إلقاؤها لأعلى، وعندئذ سوف يشعر الناس بدفء الشمس. وسوف يعم الضياء كافة الأرجاء، وتجف حينذاك يرقات النمل الأبيض لدى البوشمن. وعندما تتحرك الشمس فى السماء فسوف تنير كل الأماكن فى أثناء مرورها الساطع.

قالت الأم لأبنائها:

- أيها الأبناء! عليكم الانتظار حتى ترقد الشمس للنوم، ثم الاقتراب منها بحذر. وعندما تقتربون منها عليكم الجلوس والنظر إليها والتأكد من أن عينيها مغلقتان وأنها نائمة بالفعل. بعد ذلك عليكم الإمساك بها معا ورفعها وإلقاؤها لأعلى فى السماء.

وهكذا تكلمت مع أبنائها. وحكت لهم ما عليهم القيام به، ونقلت إليهم كل ما قالته لها العجوز. واستمع الأولاد جيدا لما قالته.

قالت العجوز للأبناء:

- أيها الأبناء! عندما تلقون بالشمس لأعلى أخبروها أن تظل شمسا للأبد، شمسا متوهجة تدور فى السماء، وتقوم بتجفيف يرقات النمل الأبيض.

وانطلق الأبناء إلى الرجل العجوز (الشمس). ومضوا يسيرون بحذر متسللين نحوه كى لا يلاحظهم. واقتربوا ببطء وهدوء نحو إبط الشمس التى كانت راقدة رافعة مرفقها. كان إبطها ينير الأرض من حولها. وعندما رأى الأبناء أنها نائمة قاموا بإمساكها وإلقائها لأعلى نحو السماء كما قالت لهم الأم العجوز.

وهتفوا قائلين للشمس:

- أيتها الشمس! ينبغى عليك الثبات هناك بقوة فى الأعلى، والدوران فى السماء.

وقال زوج تلك المرأة:

- يا إبط الشمس التى رماها الأبناء فى السماء! عليك الثبات هناك بقوة.

عاد الأبناء وقالوا:

- لقد قام رفيقنا هذا بالإمساك بها، وأمسكت بها أنا الآخر، وأمسك بها شقيقى الأصغر، كما أمسك بها شقيقى الأصغر الآخر، وكذلك أمسك بها رفيقنا هذا وشقيقه الأصغر.

وأخذ أكبر الأبناء يحكى ما جرى:

- لقد قلت للأولاد: أمسكوا العجوز بقوة واقذفوا به لأعلى! حينذاك قذف الأبناء بالعجوز لأعلى. إن هذا العجوز هو الشمس وقد قلنا له أن يظل شمسا للأبد، شمسا متوهجة لأننا نعانى من البرد. كما قلنا له: "يا جدنا، يا إبط الشمس، فلتظل هناك وتصبح شمسا متوهجة كى تجف يرقات النمل الأبيض لدينا، وكى يعم الضياء أرجاء الأرض، ويغمر الدفء جميع البقاع، وتقوم ببعث الدفء فى جميع الأشياء. عليك أن تشرقى دائما وتطردى الظلام، فعند ظهورك يفر الظلام هاربا".

تحضر الشمس ليذهب الظلام. تغرب الشمس فتحل العتمة، ومع حضور الظلام يحضر القمر. وعندما تشرق الشمس يرحل الظلام، كما يخرج القمر فى الليل، وينير القمر الظلام الذى يتراجع، ويتلألأ القمر فى قلب الظلام. وعندما تشرق الشمس تطرد الظلام وتطرد معه القمر. وتقترب الشمس وتقطع القمر بالسكين، فيصيب القمر الوهن والضعف. وحينذاك يقول:

- أيتها الشمس فلتتركى لى ولو حتى العمود الفقرى من أجل أبنائى.

وتستجيب الشمس لرجائه، وتترك له عموده الفقرى من أجل أبنائه. وهذا ما تفعله الشمس، أما القمر المريض فيبتعد عائدا إلى بيته.

بعد ذلك يصبح القمر كاملا مرة أخرى، ويُبعث للحياة من جديد. وعلى الرغم من أنه بدا ميتا، فإنه يُبعث حيا من جديد. وعندما يصبح قمرا جديدا ينمو بطنه ثانية، ويصبح كبيرا وقمرا مكتملا. وهو يبعث حيا ويخرج ويتحرك فى الليل. إنه - نعل الإله الذى قذف به إلى السماء آمرا له أن يصبح قمرا(١). وها هو يتجول هائما فى الليل.

---

(١) طبقا لإحدى أساطير البوشمن، فإن الإله تساجن قد صنع القمر من نعله الذى قذف به فى السماء.

عندما تظهر الشمس يعم الأرض الضياء، ويغطى النور كافة الأرجاء، وعندئذ يستطيع الناس السير فى كل مكان، يرى الناس أغصان الأشجار، ويرون بعضهم بعضًا ، يرون اللحم الذى يأكلونه، يرون الغزال، يستطيعون مطاردة الغزال، يطاردون الطاوس ويرمون الغزال بالسهام. يتسللون نحو الظبى، كما يتسللون إلى غيره من الطرائد. يتبادل بعضهم بعضًا الزيارات عندما تشرق الشمس بنورها على الأرض وتنير لهم الطرقات. يرتحلون ويضربون سهامهم ويصطادون، يمكنهم رؤية الغزال ومطاردة الغزال، يقيمون الأفخاخ ويصيدون الطرائد التى تقع بها.

١٣. كيف استطاعت فتاة الشعب القديم أن تصنع النجوم؟

يحكى أنه فى قديم الزمان كانت فتاة الشعب القديم، والتى كانت أول فتاة تظهر فى الدنيا، قد غمست يديها ذات مرة فى رماد الخشب، ثم نفضتهما نحو السماء قائلة:

- فليتحول هذا الرماد إلى درب التبانة. وليصبح هذا الشريط الأبيض فى السماء وتسبح من حوله النجوم.

وهكذا، تحول الرماد إلى درب التبانة.

ومضى درب التبانة يدور مع النجوم التى سارت تسبح فى طريقها. وعند اقتراب درب التبانة من الأرض، كان يدور فى أثناء حركته عائدا، وتدور النجوم معه، ذلك لأنهم يرون أن الشمس تهم فى طريق العودة. وعندما ترحل النجوم يحضر الفجر. وحينذاك يرقد درب التبانة فى هدوء. وتصبح النجوم مضطرة للتوقف من حوله هى الأخرى فى سكون. وعندما يحين وقتها تسبح النجوم إلى الأمام مقتفية آثارها السابقة مرة أخرى، وتظل النجوم تسلك ذلك الطريق إلى الأبد.



أما درب التبانة؛ الذى يقترب من نفس المكان حيث قذفت الفتاة بالرماد لأعلى؛ فيهبط ببطء، ثم يمضى مستديرا نحو السماء مرة أخرى.

ترقد السماء ثابتة والنجوم تتحرك بداخلها، إنها تسبح فى السماء، إنها تغرب ثم تشرق من جديد، وتسبح فى السماء على نفس الدرب الذى سبحت به من قبل. وعندما تشرق الشمس يصيب النجوم الشحوب. وعندما تغرب الشمس تخرج النجوم من جديد، وتدور مقتفية آثار الشمس.

عندما يحل الظلام يتحول لون النجوم البيضاء إلى اللون الأحمر وها هى تتلألأ بضوئها وهى تسبح للأمام. وهكذا، يكون الحال فى الليل. وعندما يذهب الناس إلى مكان ما فى الليل، تتوهج النجوم وتنير الأرض. وينثر درب التبانة ضياءً خافتا فى ظلام الليل- مثل رماد الأغصان. وتقول الفتاة التى صنعت درب التبانة إن عليه منح الضياء للناس حتى يمكنهم تلمس طريقهم لبيوتهم فى أثناء الليل. وقد رأت الفتاة التى صنعت درب التبانة، أن من الضرورى كذلك قذف جذور النباتات فى الهواء لأعلى كى تتحول إلى نجوم. وقامت بقذف جذور النباتات لأعلى. كانت هناك الجذور الناضجة ذات اللون الأحمر التى تحولت إلى نجوم حمراء، أما الجذور الصغيرة ذات اللون الأبيض فقد تحولت إلى نجوم بيضاء. وقد صنعت هذه الفتاة جرادة، وذلك عندما قذفت إلى السماء قشور إحدى الجذور التى كانت تأكل منها حينذاك.

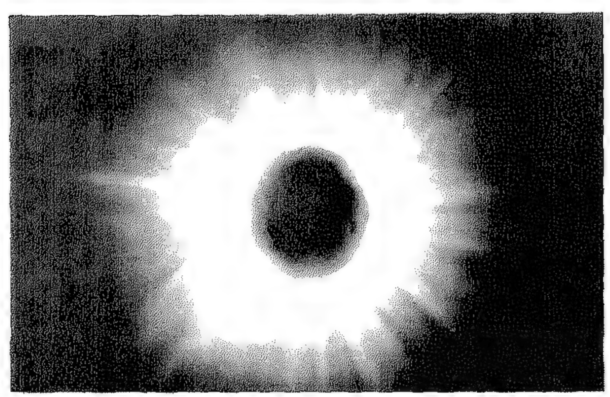
وهكذا، ففى البداية قذفت إلى أعلى فى السماء برماد الأغصان. وسرعان ما تبعته بقذف البذور لأعلى. وقد فعلت هذا الأمر بسبب غضبها من أمها التى أعطتها كمية قليلة للغاية من تلك البذور، حتى إنها لم تصب شيئا من الشبع، فلم يكن بوسعها الحصول على الطعام بنفسها، ذلك على الرغم من الجوع الذى ألم بها، لأنها كانت مريضة- لقد صارت فتاة ناضجة[١].

---

(١) طبقا للتقاليد، فإن الفتاة عندما تصبح "ناضجة" فإنهم يضعونها فى كوخ صغير تقوم بصنعه أمها خصيصا لها، وللكوخ فتحة صغيرة للدخول تقوم الأم بإغلاقها. وعندما تخرج الفتاة ينبغى عليها النظر لأسفل نحو الأرض، وعند عودتها إلى الكوخ تمكث به ناظرة لأسفل. كما يحرم عليها السير بعيدا عن الكوخ. وبعد مرور بعض الوقت "تصبح" ناضجة، ويسمح لها من جديد التجول بحرية حول المكان مثلها مثل النساء الأخريات اللاتى يبحثن عن الطعام. ولكن عليها فى البداية الخروج بمصاحبة الأم، ويحرم عليها النظر إلى الغزلان فى أثناء وقت مكوثها فى الكوخ، كى لا تجفل الغزلان من الخوف.

كانت ترقد فى الكوخ الصغير الذى صنعته لها أمها. وكانت هناك العــصا التى تحفر بها عندما تسير باحثة عن جذور تؤكل. وها هى راقدة بلا حراك فــى الكوخ. وتقوم أمها بإحضار الطعام لها. وكانت الأم تسعى كى لا تأكل الفتاة مــن الطريدة المقتولة بأيدى الفتية، بل كان مسموحا لها فقط بالتناول من الطريدة التــى يقتلها والدها، وذلك لأنه كان عجوزا. وكانت الأم تخشى مــن أن تنــاول الفتــاة للطريدة المقتولة بأيدى الفتية سوف يؤدى إلى برودة أيدى الفتية. وحينذاك ســوف تبرد السهام كذلك، لأن البرد سوف ينتقل من أيدى الفتية إلى القوس، ومنــه إلــى السهام. وذلك لأن الفتاة لو تناولت من الطريدة المقتولة بأيدى الفتية فسوف يتساقط لعابها فى أثناء الأكل فوق لحم الغزال، ثم ينتقل إلى القوس ويصيبه بالبرد.

١٤- لماذا يعيش القمر مع الشمس فى السماء؟



فى قديم الزمان كانت الشمس تصادق الماء ويعيشان معـــا علـــى الأرض. وكثيرا ما كانت الشمس تذهب لزيارة الماء، ولم يذهب الماء قط لزيارتها. وأخيرا سألت الشمس الماء عن سبب عدم زيارته لها فى البيت. فأجاب الماء بـــأن بيـــت الشمس لا يتسع كفاية له، ولو أنه قام بزيارة الشمس مع جميع أقاربه فلـــن يتـــسع المكان لهم أبدا، وسوف يزاحمون صاحبة البيت ويضطرونها للخروج منه.

أضاف الماء قائلا:

إذا رغبتِ فى أن أحضر لزيارتك، فعليك إعداد بيت كبير للغاية. وأحـــذرك بأن البيت ينبغى أن يكون هائل الحجم، حتى يتسع للعديد من أقربائى الكثر.

وقطعت الشمس وعدا ببناء بيت ضخم، ثم عادت إلى بيتها وإلـــى زوجهـــا القمر. وعندما فتحت الشمس باب البيت استقبلها القمر بابتسامة عريضة. وحكـــت الشمس للقمر عن الوعد الذى قطعته للماء. وفى اليوم التالى بدأت الشمس فى بناء البيت الضخم كى تستقبل فيه صديقها. وعندما انتهى البناء قامت الـــشمس بـــدعوة الماء لزيارتها.

وعندما جاء الماء توجه إلى الشمس سائلا إن كان يمكنه الدخول إليها، وإن كان ذلك لا يمثل خطرا عليها فردت الشمس قائلة:

- تفضل، يمكنك الدخول أيها الصديق.

حينئذ بدأ الماء ينهمر داخل بيت الشمس مع أسماكه وحيواناته المائية.

وسرعان ما امتلأ البيت بالماء حتى الخصر، وحينئذ سأل الماء الشمس ثانية إن كان هذا الأمر يمثل خطرا عليها. فأجابت الشمس من جديد: "لا". وهكذا استمر الماء ينهمر متدفقا.

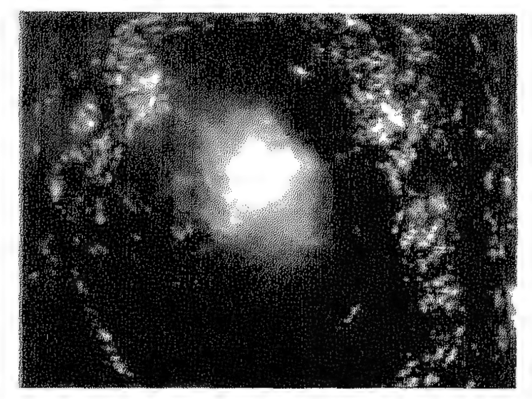
وعندما وصل الماء إلى الرءوس قال للشمس:

- والآن، ألا ترغبين أن أحضر أقاربى الآخرين؟

فأجابت الشمس والقمر فى صوت واحد قائلين:

- نعم نرغب فى ذلك.

واستمر الماء يتدفق حتى اضطرت الشمس والقمر إلى الصعود إلى أعلى قمة السقف.



حينئذ توجه الماء سائلا الشمس من جديد، فردت عليه كما فى السابق، واندفعت مخلوقات الماء وتدفقت بكميات كبيرة، حتى صار الماء يسيل عبر السقف. وهنا اضطرت الشمس ومعها القمر للصعود إلى السماء حيث ظلا قابعين هناك حتى يومنا هذا.

١٥ـ الأوانى الثلاثة:

بعد أن خلق ليزا[١] أول اثنين من البشر– مولونجو وزوجته موينـــامبوزى، أمر بإحضار مايمبا طائر العسل إليه. وعندما مثل مايمبا أمام ليزا، أعطاه الـــرب ثلاثة أوانى. كانت الأوانى جميعها محكمة الإغلاق. وقال ليزا آمرا:

– عليك بنقلهم إلى مولونجو وموينامبوزى، وأخبرهما أن بإمكانهما فتح هذين الإنائين فقط، فهناك مختلف أنواع الحبوب محفوظة بداخلهم. أما الإناء الثالث فليظل مغلقا ما دمت لم أهبط إلى الأرض بعد ولم أسمح بفتحه.



لم يتمكن مايمبا طائر العسل من كبح فضوله فى أثناء سيره، ومضى يفـــتح الأوانى واحدا بعد الآخر. وشاهد الحبوب فى الأول والثانى منها. فأغلقهما مايمبـــا وقام بفتح الثالث الذى انطلقت منه الأمـــراض والمـــوت، والوحـــوش الـــضارية

---

(١) ليزا هو رب المطر والرعد طبقا لمعتقدات شعوب البانتا فى أفريقيا الاستوائية، ويمثل الرعد صـــوته عندما يثور غاضبا، والنجوم هى عيونه التى يرى بها، ورغم أنه يعيش فى السماء فإنه يهبط أحيانـــا على الأرض مسببا العواصف والرياح. وتنتقل أرواح الموتى إلى عالم الأرواح ومنـــه إلـــى ليـــزا، وأرواح الأجداد هى الوسيط بين ليزا والبشر. وفى أساطير كاوندى فإن ليزا هو خالق أول البشر فى العالم. (المترجم)

المفترسة، والأخطار والأهوال. ولم يسعف الوقت مايمبا كى يمسك بها ويعيدها إلى الإناء ثانية. وهنا ظهر ليزا محاولا مد العون لمايمبا. وعلى الرغم من رؤيتهما للأسد واللبؤة، والثعبان فى جحره، فإنهما لم يستطيعا الإمساك بهم. وحينئذ قال ليزا:

– لقد فعلت خطيئة كبيرة وسوف تتحمل عواقبها.

أصاب الخوف مايمبا، فطار إلى قلب الغابة ومنذ ذلك الحين لم يعد يعيش بين الناس.

بعد ذلك وصل ليزا إلى مولونجو وزوجته وقال لهما:

– إن الطائر مايمبا قد ألحق بكما شرا عظيما. فقد أرسلته ليعطيكم الأوانى، وحرمت عليه بكل الحسم والصرامة فتح الإناء الثالث. لكنه خالف أوامرى وفتح الإناء، فأطلق على الأرض الأمراض، والوحوش، والضوارى، والأسود، والفهود، وكذلك الثعابين وغيرها من الوحوش المفترسة. والآن لا يمكننى مساعدتكم، بخاصة بعد أن تفرقت الوحوش ولم أستطع الإمساك بها. لهذا، فمنذ هذه اللحظة ينبغى على الناس أن يبنوا بيوتا لهم يعيشون فيها كى تحميهم من المخاطر.

١٦ـ تجربة النوم:

عندما زحف نزامبى[١] مع قوس قزح إلى الأرض، خلق هناك الحيوانات والنباتات، ثم خلق رجلا وامرأة وأمرهما بالزواج كى تتجنب المرأة الأبناء.



لكن نزامبى حرم على البشر أمرا واحدا: عليهم ألا يناموا عند ظهور الهلال فى السماء. وقال نزامبى:

– لو خالفتم أمرى هذا فسوف تفقدون الحياة الخالدة وتصبحون من الفانين.

وظل الناس ساهرين لا ينامون عند ظهور الهلال فى السماء.



(١) نزامبى– طبقا لمعتقدات شعب نوين ولوندا فهو خالق كل الأحياء والجماد فى الطبيعة. وكان نزامبى يعيش فى البداية تحت الأرض، ثم خاف أن يقتله كامونو–الإنسان الأول– فصعد إلى السماء يعيش بها، ولم يهبط إلى الأرض إلا فى صورة قوس قزح. وفى أساطير تاكونفو يرد ذكره كخالق للحيوان والشجر، وأول البشر الذين منحهم الكلاب وغيرها. وطبقا لتعاليمه فقد تفرق الناس فى شتى الأرجاء بعد أن ظلوا قبل ذلك فى أماكنهم التى خلقهم بها. (المترجم)

وعندما أصاب العجز أحدهم ووهن نظره، حدث ذات مرة أن الغيوم في السماء قد غطت الهلال فلم يره العجوز. وذهب للنوم فمات في أثناء نومه. ومنذ ذلك الحين أصبح البشر من الفانين، ذلك لأنهم لم يمكنهم السهر بلا نوم عند ظهور الهلال في السماء.

١٧- كيف فقد البشر الحياة الأبدية؟

أمر الرب روفا الناس قائلا:

- عندما يحل العجز بكم عليكم تبديل جلدكم مثل الأفاعي. حينئذ سوف يعود إليكم الشباب من جديد ولكن بشرط حاسم، ألا يشاهد أحد من المحيطين الإنسان منكم وهو يبدل جلده. ولو رأى الأبناء والأحفاد الإنسان فى تلك اللحظة، فسوف يموت على الفور، ويفقد الناس الحياة الأبدية والخلود.

وها قد حان الوقت لأحد العجائز من البشر كى يبدل جلده. فأرسل العجوز حفيدته لإحضار الماء فى إناء أعطاه لها، وذلك كى لا يراه أحد. وقام العجوز بصنع ثقب صغير أسفل الإناء قائلا فى نفسه: "عندما تصل الحفيدة إلى المنزل لن يتبقى من الماء شيء، وسوف تضطر للذهاب إلى النهر من جديد لأكثر من مرة، وفى أثناء سيرها هنا وهناك سوف يسعفنى الوقت لتبديل جلدى". لكن العجوز أخطأ فى حساباته فسرعان ما لاحظت الفتاة الثقب فى الإناء وقامت بسده. وعندما عادت إلى البيت شاهدت العجوز وهو ينزع جلده. فصرخ العجوز قائلا:

- ما الذى فعلته أيتها الحمقاء؟ سوف يحل بى الموت الآن، وسوف يصبح جميع الناس من الفانين لأنكِ شاهدتنى أبدل جلدى. فيا للمصيبة!

مات العجوز. وطرد الناس الفتاة من قريتهم. وأصبحت الفتاة تعيش فى الغابة حيث أنجبت أطفالها الذين كانوا من البابون والقردة أشباه الإنسان. ومنذ ذلك الحين أصبح البابون والقردة يسمون بشعب الغابة، أو بالأبناء الملعونين.

١٨ـ من المسئول عن أن البشر أصبحوا من الفانين؟

عندما خلق ماوو[١] البشر كان يريد أن يجعلهم خالدين. لكن العنكبوت كان له رأى آخر. عندئذ أخذ ماوو إناءً فارغا ووضعه فوق الماء قائلا:

- طالما ظل هذا الإناء طافيا فوق الماء للأبد، فسوف يظل الناس خالـــدين على الأرض للأبد.

لكن العنكبوت أمسك بحجر وقذف به إلى الماء مرددا كلماته:

- مثلما قذفت هذا الحجر فغطس إلى القاع ولم يظهر على الـــسطح ثانيـــة، كذلك الناس الذين سوف يموتون ويختفون من على وجه الأرض.

غضب ماوو غضبا شديدا من العنكبوت.

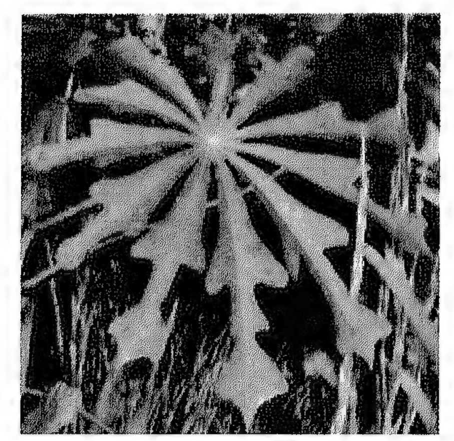
وجاء الوقت الذى ماتت فيه أم العنكبوت، فمضى يتوسل ويرجو مـــاوو أن يبعثها إلى الحياة، وأن يجعل الناس خالدين لا يموتون. لكن ماوو الآن لم تعد لديه الرغبة مثلما كان فى الماضى. ولو لم يغضبه العنكبوت حينذاك لاستطاع البشر أن يُبعثوا بعد الموت ويعودون من جديد إلى الأرض، مثلهم فى ذلك مثل الهلال الذى يموت كل صباح، ثم يُبعث ويعود إلى الأرض كل مساء من جديد.

---

(١) ماوو- هو رب الحكمة، والذى تذكره بعض الروايات الشعبية كتوأم للرب ليزا. (المترجم)

١٩- كيف دمرت المرأة الإناء السحرى؟

قام الزوج والزوجة بغرس الكُسافا[١].



وبعد مرور بعض الوقت ماتت الزوجة. وذهب الزوج إلى الحقل لتنظيـــف الحشائش من حول الكسافا. لكنه رأى الحقل خاليا. فمضى الزوج يبكى:

– لقد ماتت زوجتى والآن سرق أحدهم الكسافا منى!

وفى اليوم التالى خرج ثانية إلى الحقل، ورأى عجوزا تهبط من فوق إحدى النباتات المتسلقة فى الحقل فصرخ بها الزوج:

– إذا أنت التى تسرقين الكسافا.

حينئذ سألته العجوز:

– لماذا تبكى؟

– أبكى زوجتى التى ماتت.

– وهل حدث هذا الأمر منذ زمن بعيد؟

(١) الكُسافا – نبات درنى من النباتات الاستوائية، ويسمى باللاتينية Manihot. (المترجم)

- لقد ماتت منذ يومين.

حينئذ أعطته العجوز إناءَ صغيرا وقالت له:

- خذ هذا الإناء وضعه فوق قبر زوجتك فى الغد، وسوف تبعث حية.

فرح الزوج وقال مهللا:

- أحقا ما تقولين؟

ردت العجوز:

- نعم، اذهب كما قلت لك.

فى اليوم التالى انطلق الزوج إلى قبر زوجته حيث وضع فوقه الإناء الذى أعطته له العجوز. وبُعثت الزوجة بالفعل إلى الحياة مرة أخرى.

ومنذ ذلك الحين بعث الزوج العديد والعديد من الناس إلى الحياة، وذلك بفضل الإناء السحرى.

ذات يوم ماتت الأخت الصغرى للزوجة. وعندما بدأت مراسم الدفن صاحت الزوجة قائلة: نادوا على زوجى كى يحضر هنا، فسوف يمكنه أن يبعث شقيقتى إلى الحياة.

جاء الزوج وقال:

- ينبغى أن ترقد شقيقتك فى القبر ليومين، وفى اليوم الثالث سوف أقوم ببعثها.

فردت الزوجة:

- لا أريد لها أن ترقد فى الأرض.

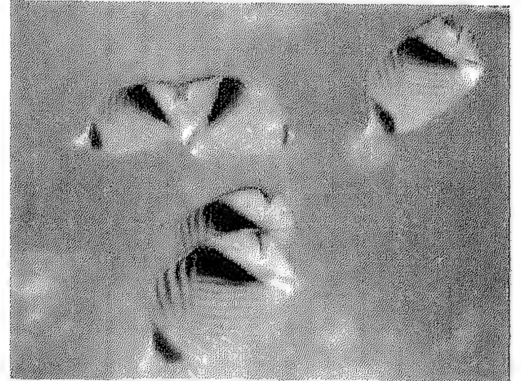
– ولكننى لا أعرف وسيلة أخرى. فقد قمت ببعثك بعد أن رقدت فى القبــر لليوم الثالث.

فثارت الزوجة غاضبة وأمسكت بالإناء وألقت به إلى النهر. وظلت الشقيقة الصغرى ميتة للأبد.

وهكذا، دمرت المرأة الإناء السحرى.

٢٠ـ رسول بيبا بيبا[١]:

فى قديم الزمان عاش نزامبى مبى[٢] ونزامبى نيتشى[٣] معا. كان نزامبى مبى يعمل مع زوجته فى الحقل، أما نزامبى نيتشى فقد عمل فى صيد الأسماك فقط. وكان الزوجان يبادلان معه والفواكه بالأسماك. وهكذا، سار الحال فى كل يوم.



وذات مرة انهمر المطر غزيرا. فلم تقدر زوجة نزامبى مبى على الخروج إلى الحقل، ولم يبق لديهم سوى القليل من الفاكهة.

حملت زوجة نزامبى نيتشى بعض الطرائد والأسماك وذهبت بهم إلى زوجة نزامبى مبى وقالت لها:

– لقد أحضرت لك الأسماك، فأعطنى بعضا من الفاكهة مقابلها.

ردت زوجة نزامبى مبى قائلة:

---

(١) "بيبا بيبا"– تعنى رقم: "اثنان اثنان"، وهو الرب الذى يعيش فى السماء، ولا يهتم بشئون الأرض بصفة عامة.

(٢) نزامبى مبى – تعنى: "الداخلى"، أو: "الذى أنجبه النهر".

(٣) نزامبى نيتشى – تعنى "المُقرب"، أو مفهوم: "الأرض السفلية".

- لم يبق لدى سوى القليل للغاية من الفاكهة.

فاعترضت زوجة نزامبى نيتشى:

- أحضرى لى طلحين من الموز (الطلح هو عناقيد الموز).

أجابت زوجة نزامبى مبى:

- لو أحضرت لك طلحين من الموز فلن يبقى لنا شيئا نأكله أنا وزوجى.

وبدأ الاثنان فى الشجار. وعادت زوجة نزامبى نيتشى إلى البيت، ومضت تقص على زوجها ما جرى. حينذاك قال لها الزوج:

- فلنذهب إلى نزامبى مبى.

واندلع الشجار بين المرأة والمرأة، وبين الرجل والرجل. وسرعان ما تصاعد الشجار بينهم شيئا فشيئًا ، ولم يستطع أحد إحلال السلم بينهم.



عندئذ هبط من السماء شخص ما وقف بينهم قائلا:

- اهدأوا، لماذا تريدون قتل بعضكم بعضًا ؟

قال نزامبى مبى:

- إننى أقوم بزراعة الفاكهة، بينما يقوم نزامبى نيتشى وزوجته بصيد الأسماك فقط.

وأضاف نزامبى نيتشى قائلا:

- نحن نبادل الأسماك بالفواكه. ولم يعد لدى فاكهة بينما يوجد لديه الكثير منها ، وهو لا يريد مبادلتى بطلحين من الموز. وقد قام الشجار بيننا بسبب هذا الأمر.

فقام الهابط من السماء بعقد الصلح والوئام بينهم، وأوقف الشجار قائلا:

- سوف تقوم فى المستقبل بعزق التربة وحرثها، وتقوم زوجتك بغرس النباتات ورعايتها، وأنت أيضا سوف تقوم بعزق التربة وحرثها، وتقوم زوجتك بغرس النباتات ورعايتها، وأنت سوف تقوم بصيد الأسماك، وكذلك أنت الآخر سوف تقوم بصيد الأسماك، ولن يضطر أحد منكم أن يطلب شيئا من الآخر بعد ذلك.

اعترتهم الدهشة ومضى كل منهم يسأل الآخر:

- من أين ظهر هذا الإنسان يا ترى؟

وفكر الاثنان فى الأمر وتحدثا طويلا حتى صاح نزامبى مبى:

- لقد جاء هذا الإنسان من عند بيبا بيبا. فقد كان عليه بالطبع أن يرسل هذا الإنسان رسولا إلينا. وقد حضر هذا الإنسان طبقا لأوامر بيبا بيبا الذى يعيش فى السماء.

٢١ـ أبناء بيبا بيبا[١].

١ – السانانا الملاعين[٢]:

خلق بيبا بيبا لولى[٣] والسانانا معا.

عاش لولى جنبا إلى جنب والده بيبا بيبا. وذات مرة خرج يتريض وذهب إلى سانانا. وحضرت إليهما العظاءة (السحلية) مبانكورا وسألتهم قائلة:

– ما الذى تفضلانه: النجاة أم الموت؟

أجابا فى البداية قائلين:

– إننا نفضل الموت.

ولكنهما أدركا الخطأ الذى وقعا به فقالا:

– إننا نريد النجاة.

فقالت مبانكورا:

– عندئذ سوف تفقدون كل سعادتكم.

وجاء لولى فى اليوم التالى إلى سانانا وقال له:

– لو أن أحدا رقد للنوم[٤] فى عدم وجودى، فلا تدعه يحفر قبرا له.

---

(١) تقوم الحكاية هنا مستخدمة المعنى التالى: "لو أن أحدا رقد للنوم، ولم يحفروا له قبرا، فلن يحل به الموت حينذاك".

(٢) سانانا– هو منبع الألم، أى ذلك الذى يستغل سلطته فى بث الشر.

(٣) لولى– المنقذ، ذلك الذى أنقذ العالم.

(٤) رقد للنوم– أى مات.

وعاد إلى والده.

أنجب سانانا عددا من الأبناء، ومرض أحد أبنائه ومات. فقاموا بحفر قبر له، وبكوا الابن الميت، وبدءوا فى تلاوة التراتيل عند قبره، ثم جاء لولى وشاهد ابن سانانا المتوفى.

قال لولى:

- ألم أخبركم من قبل ألا تحفروا قبرا فى عدم وجودى لو أن أحدا منكم رقد للنوم؟

واستمروا فى حياتهم، وقام سانانا بقتل الخفاش بوبى. فجاء لولى وقال:

- يا سانانا لقد حفرت قبرا لابنك عندما راح فى النوم، وهأنت الآن قد قتلت بوبى. سوف أرحل ولن أعود ثانية إلى هنا، لأنك أصبحت ملعونا: لقد قتلت ابن شقيقك[1].



رحل لولى. ومضى يهبط السهل مقتربا من شاطئ البحر. ووصل إلى الغابة مشيرا بإصبعه نحو الكهف[2]، ثم نهض مرتكزا إلى عكاز. وتتبع الأثر الذى ظل هناك، ورفع نظره إلى السماء هاتفا:

---

(١) طبقا لعادات البوهيب، فإن قتل ابن الشقيق الوريث يعد أكثر الجرائم شناعة، ويطلق البوهيب عليها اسم "الجريمة الشاذة".

(٢) كثيرا ما يرد ذكر هذا الطقس وأهميته غير الواضحة فى التراث الفلكلورى للبوهيب.

– أيها الوالد بيبا بيبا، إننى لم أقم بهذا الأمر برغبتى، بل إنها مشيئتك أنت!

وهبط لولى إلى الأسفل حيث يقع الحقل الذى تسكنه الوحـوش والطيـور. وواصل طريقه حتى دخل إلى قلب الغابة، ثم جلس يستريح بعض الشىء. وجـاء الفيل إلى هناك وقد علقت بظهره الرماح[1]. وما لبث أن سقط ميتا.

قال لولى:

– سانانا، إنك لم تعد ابنا لوالدنا، وفقدت المرعـى الطيـب الـذى كانـت الوحوش والأفيال تعيش فيه.

ثم قال لولى فى ثورة غاضبة لسانانا:

– لقد قتلت الفيل يا سانانا، وعقابا لك فسوف تستمر فى قتل الأفيال، وعليكم فى المستقبل منح أنياب الفيلة لأبنائكم للأبد.

وذهب إلى والده وأخبره بكل شىء قائلا:

– إن سانانا يستخدم سلطانه على الأرض بصورة سيئة.

وظل هناك يعيش مع والده.

---

(١) فى لغة البوهيب تتطابق أسماء الرماح مع أسماء النباتات التى يغرسونها عند القبور.

٢. سرقة النار

لقد ظل سانانا يعيش بلا نار. ولم يكن لديه شيء يشعل به النار فقال:

- أخ يا لولى! لقد رحلت وحملت معك كل شيء. فما الذى يمكننى فعله؟

وقام بعقد النبات المتسلق ونادى على النسر. وأعطى النسر النبات قائلا له:

- اذهب واحرق هذا النبات. اذهب إلى هناك حيث يوجد لولى مع والده بيبا بيبا. اذهب واشعل النبات المتسلق فى ورشة الحدادة.

وبدأ سانانا فى البحث عن النار، وعرف كل من بيبا بيبا ولولى ما يحيط بهذا الأمر.



طار النسر حاملا الحبل وهبط بعيدا للغاية. فقال بيبا بيبا للولى:

- هيا يا لولى انفخ فى النار بالمنافيخ بالورشة.

أرسل لولى الأرواح[1] كى تنفخ فى النار بالورشة. وأخذ النسر قطعة من النبات وقبض عليها بيده فى قوة، وومضت شرارات النار فى النبات حتى اشتعل.

حلق النسر حاملا النبات المشتعل وطار يبحث عن سانانا. واستمر يحلق ويحلق والنبات يشتعل أكثر فأكثر حتى لم يتبق منه سوى قطعة صغيرة. حينئذ

(١) المقصود هنا الأطفال الذين ماتوا بلا ذنب، أى الذين لم يقترفوا أية ذنوب.

عثر النسر على شجرتين: إحداهما كوم، والأخرى كا، فأسقط عليهما قطعة من النبات. وعلقت القطعة بين الشجرتين.

وطار النسر إلى سانانا وقال له:

- لقد احترق النبات، ولكنى رميت قطعة منه بين الشجرتين كوم وكا.

فرد سانانا:

- فلنذهب معا كى ترينى موقع هاتين الشجرتين.

وذهبا معا للبحث عن قطعة النبات المشتعلة. وحمل سانانا النار وعاد ثانية إلى القرية.

أصبح سانانا يعيش بصورة سيئة، وكثيرا ما تذكر بيبا بيبا وشقيقه الأكبر لولى.

وقد تعرض أبناء سانانا للمعاناة دائما. وكان عليهم الكد والعمل دائما فى سبيل الحصول على أى شيء.

٢٢- نزامبى[١] والوحش:

عندما عاش نزامبى كان لديه من الأبناء: نيكيون[٢]، إيبندى، نتومى، مبيلى كيى[٣]، مور بارا[٤]، وبفورى[٥].

وذات يوم خرج نزامبى من كوخه فى الليل، وأراد الاجتماع بأبنائه كى يتحدث معهم ويلقى عليهم توصياته. وما إن بدأ فى الحديث حتى صدر صوت ما يقول:

- اصمت!

مضوا يسترقون مصدر الصوت الذى تردد ثانية من أعلى الجبل:

- نزامبى، نزامبى! ألم تتعرف على؟

- لا.

وتردد الصوت مرة أخرى.

- أما أنا فأقول لك إنى أعرفك. فاذهب الآن للنوم.

أصاب الذهول نزامبى، ولم يعرف بما يجيب، فسأل بصوت مملوء بالدهشة:

- من هذا الذى يمكنه أن يصدر لى أمرا بالصمت؟

ثم ذهب إلى كوخه كى يرقد للنوم.

---

(١) المقصود هنا الرب، أى الذى عاش قرونا وقرونا طويلة.

(٢) نيكيون- المقصود هنا فى الغالب الجندب (الصرصور).

(٣) مبيلى كيى - المجنوم.

(٤) مور بارا- أى "الإنسان القادم من سارانا، أو المقصود: الابن، الصغير من سارانا.

(٥) بفورى - غير المفيد.

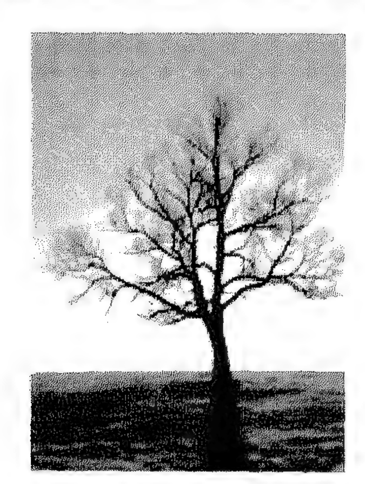
تكرر نفس الأمر فى كل مرة. وأصاب الخوف نزامبى حتى إنه قرر عـــدم الحديث حول ذلك الأمر فى قريته. ولكن ذات مساء نادى نزامبى على ابنه نيكيون وقال له:

- تسلق أعلى الشجرة، وابحث بعينيك عن ذلك الذى يأمرنى بالصمت كـــل يوم.

وكرر نزامبى:

- وانظر يا ولدى هيئة ذلك الإنسان الذى يتحدث معى، وصِفه لى بعد ذلك.

تسلق ابنه أعلى الشجرة وشاهد ذلك الإنسان: كان جلده مغطـــى بـــالقروح، وبدت عيناه مثل قطعتين مجعدتين من الطين، وظهره ملفوفا مثل العقدة المعقـــودة خمس مرات، وساقاه مقوستين مثل جذر شجرة البو. وحكى عما شاهده لأبيه.



خرج نزامبى وسمع الصوت يتردد من أعلى الجبل.

- نزامبى، نزامبى! ألم تتعرف على؟

رد نزامبى:

- نعم، أعرفك.

وسأل الصوت قائلا:

– كيف أبدو إذا؟

رد نزامبى:

– عيناك مثل قطعتين مجعدتين من الطين، وظهرك ملفوف مثل العقدة المعقودة خمس مرات، وساقاك مقوستان مثل جذر شجرة البو.

حينئذ قال الصوت:

– آه يا زوجتى! لقد رأى نزامبى مدى قبحى.

ردت عليه الزوجة قائلة:

– هناك فائز إذا. إن نزامبى محق ويمكنه السخرية من هيئتك.

وهنا رحل الإنسان إلى مكان آخر وترك نزامبى لحاله.

وبدأ نزامبى يتحدث مع الجميع ثانية، ويلقى بنصائحه إلى أطفاله وزوجاته.

٢٣ـ زوجتا نزامبى:

كان نزامبى متزوجا من امرأتين: إحداهما عجوز غير محببة لديه، والأخرى الجديدة محبوبة. وكان يحتقر زوجته الأولى التى أنجب منها جميع أبنائه(١). وعاشوا جميعا معا: الأبناء، والزوجتان، ونزامبى(٢).

كانت الزوجة الأولى العجوز تشعر بالحزن والهم لأن زوجها لم يحبها. وبعد أن ماتت قاموا بدفنها فى فناء منزلهم.

وظل نزامبى مع زوجته المحبوبة التى صارت ترقص فوق قبر المتوفاة وتغنى:

كى كى كى. ارقدى فى قبرك أيتها الراحلة..

كى كى كى. وأنا المحبوبة أغنى فى ثيابى رافلة..

كان نزامبى يذهب إلى القبر كل يوم، وشاهد القبر وقد وطأته الأقدام فقال:

– ما هذا؟ من الذى وطأ بأقدامه القبر؟(٣)

وذهب نزامبى طالبا النصح لدى سيسيول(٤)، الذى أشار عليه قائلا:

---

(١) كانت علاقة نزامبى هذه تتناقض مع العلاقات القائمة نحو الزوجات لدى البوهيب، فكانت الزوجة الأولى– فى إطار تلك العلاقات تحظى بكافة مظاهر الاحترام، كذلك أخطأ نزامبى فى إنجابه جميع أبنائه من الزوجة الأولى.

(٢) كان هذا الأمر خرقا للتقاليد. فكان ينبغى على الزوجات الإقامة فى كوخ مستقل، ويعيش نزامبى فى كوخ آخر.

(٣) كان السير فوق قبر المتوفى يعد تحقيرا للميت. وفى سبيل تجنب حدوث مثل هذه الإهانة للمتوفى يقومون ببناء مقبرة "زائفة"، تقام عادة فى عمق الغابة، أما المكان الحقيقى للدفن فيظل موقعه سريا. ولكن فى الحالة الراهنة فإن الزوجة الثانية كان بوسعها معرفة مكان المقبرة، وذلك بوصفها فردا من أفراد الأسرة.

(٤) سيسيول– المُنجم. يترجم اسمه إلى "الموجود فى الأسفل".

- اذهب واسأل نلو مون[١].

ذهب نزامبى إلى نلو مون الذى قال له:

- إنها زوجتك التى تقوم بالرقص فوق القبر. ولو أردت الإمساك بها هناك فخذ هذا العقار معك، وامسح به جسمك فتتحول إلى عظاءة. ثم تزحف إلى حفرة متظاهرا بالنوم، وعندما تأتى زوجتك للرقص فوق القبر تنهض وتمسك بها.

أخذ نزامبى العقار من المُنجم وعاد إلى القرية.



ومرت بضعة أيام، وذات مرة انتهت زوجته من أعمالها المنزلية، وذهبت إلى القبر حيث بدأت فى الرقص فوقه.

فى ذلك الوقت حمل نزامبى العقار ومسح به جسمه فتحول إلى عظاءة. ثم زحف إلى الحفرة متظاهرا بالنوم.

ورأى زوجته التى مضت ترقص فوق القبر. فهتف قائلا لها:

---

(١) نلو مون- "الذى يأتى بالأخبار الجديدة"، أو "الذى يتحدث بوضوح".

- أيتها المرأة! إنك أنتِ التى أردتِ موت زوجتى، فلماذا لا تعرفين كيفية تربية أبنائها؟[1]

وأمسك برمح قذف به محبوبته. وماتت الزوجة، وقام بدفنها فى نفس المكان الذى ضم مقبرة زوجته الأولى.

ولم يتزوج نزامبى بعد ذلك.

---

(١) خطيئة المرأة ليس فقط فى رغبتها بموت الزوجة الأولى وكان عليها أن تحترمها وتخضع لهـا، بـل أيضا فى أنها لم تقم برعاية أطفال الزوجة الأولى.

٢٤ـ إنقاذ ميانلومبا:

أنجب نزامبى أبناءً.

وقد أعطاه والده تعويذة كى يستمر فى إنجاب الأطفال، حتى عندما يصبح عجوزا للغاية. ولكن كان عليه أن يقتل جميع نسله من البنات ويبقى على الذكور فقط.

وجد نزامبى لنفسه عددا من الزوجات. وحملت الزوجات. واقترب موعد الحمل من نهايته حتى بدأن فى الولادة.

تحدث نزامبى إلى سكان قريته كى يأخذوا البنات ويقوموا بقتلهن، ثم تجفيفهن فى مجففات الأسماك[١]، أما الأولاد فتركوهم على قيد الحياة.

وحملت الزوجات مرة أخرى من نزامبى، فقال:

- سوف أمضى فى طريقى، فإذا وضعت الزوجات فى أثناء غيابى عليكم قتل جميع الفتيات وتجفيفهن فى مجففات الأسماك.

وبعد رحيله بدأت الزوجات فى الوضع. فأنجبت بعضهن ذكورا والأخريات إناثا.

أما مينلولى ابنة سيسيول فقد أنجبت طفلة. فقامت والألم يعتصر قلبها بإغلاق الباب الأمامى للمطبخ[٢]، أما الباب الخلفى فتركته مفتوحا، وجلست مع والدتها فى وسط المطبخ وهى منخرطة فى البكاء.

سمع الناس صوتها فسألوها:

---

(١) المجفف – مكان فى المطبخ مخصص لتجفيف وتدخين الأسماك.

(٢) كانوا يطلقون على المطبخ اسم الكوخ حيث عاشت الزوجات به. وكان له بابان يواجه كل منهما الآخر. أحد البابين يفضى إلى الجزء الأوسط للقرية، أما الآخر فيؤدى إلى الفناء الخلفى. وكان البابان يظلان مفتوحين فى العادة.

- أين ابنك الذى وضعته للتو؟

فردت عليهم سائلة:

- عن أى ابن تتحدثون؟

فطلبوا منها أن تفتح الباب، ولكن مينلولى أمسكت بالسكين وصارت تهددهم به قائلة:

لو أن أحدا منكم جرؤ على فتح هذا الباب فسوف أجعل دمه يسيل(١).

حينذاك رحلوا وتركوها لحالها.

عاد نزامبى فى ذلك الوقت، وأخبره الناس بالأحداث الجديدة، وقالوا له:

- لقد قامت الزوجات بتنفيذ تعليماتك. البنات فى المجففات والذكور تركنهن على قيد الحياة. ولكن لم ير أحد مولود مينلولى.

أجاب نزامبى:

- اذهبوا وأحضروا لى المولود إلى هنا.

ذهبوا إلى مينلولى وأتوا بها إلى نزامبى.

انهمرت الأم فى البكاء. واختطف نزامبى الفتاة الوليدة، وألقى بها إلى النهر الكبير.

وركضت الأم تبحث عن ابنتها، ولكن تيار الماء قد حملها بعيدا.

حمل التيار المولودة إلى السد الصغير الذى أقامته ميانلومبا. وعثرت ميانلومبا على الفتاة فحملتها وهى تغنى:

لقد سبحت الصغيرة فهيا احملوا هذه الجميلة،

---

(١) كان هذا التهديد يحمل مضمونا سحريا مرتبطا بكافة التحريمات الخاصة بإراقة الدماء.

من يا ترى يرعاك أيتها الحسناء العليلة؟

لقد امتلأ جسمها الوليد بالجروح من الأشواك،

بعد أن سبحت المسكينة طويلا هنا وهناك.

حملت ميانلومبا الوليدة الصغيرة وذهبت بها إلى القرية، ونادت على زوجها قائلة له:

- لقد كنت حاملا ووضعت هذه الفتاة.

فرد الزوج:

- إنه أمر جيد للغاية.

ودهش سكان القرية لهذا الأمر.

عاشت الصغيرة ومنحتها ميانلومبا اسمها الخاص. وكبرت الفتاة وأصبحت كالثمرة اليانعة. وذات مرة خرجت الأم إلى الحقل. وظلت الابنة مع بقية الفتيات اللاتى بدأن فى الغناء. وقالوا لها:

- هيا غنى لنا.

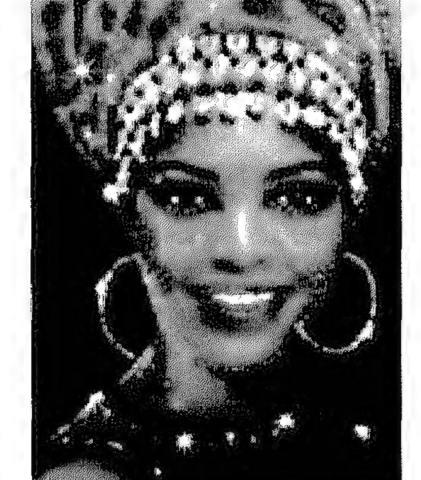
وقامت الفتاة بالغناء:

حملنى تيار الماء وظل يهدهدنى فى المهد،

حتى عثرت على ميانلومبا بالقرب من السد،

فسألت قائلة: "من هذه الصغيرة الرائعة؟

هيا أحضروا واحملوا الوليدة اليانعة".



وأمرتها الأم بالصمت مرددة:

لا تغنى يا ميانلومبا بهذه الطريقة،

حتى لا يسوء حملى إن عرفوا الحقيقة[1].

ولكن سرعان ما انتشرت هذه الأخبار الجديدة بين الجميع حتى وصلت إلى مسامع أم الفتاة. ومضت هى الأخرى فى الغناء، ثم قامت بالرقص عند نهاية غنائها.

وتعرفت الأم الحقيقية على الفتاة التى أنجبتها وقالت لميانلومبا الكبيرة:

– أيتها المرأة، لقد صنعتِ معروفا كبيرا، فقد أخذتِ ابنتى وقمتِ برعايتها. والآن أصبح لديها والدتان: أنتِ وأنا.

وصار لدى الفتاة والدتان. وأحبتها الاثنتان من صميم فؤاديهما. وهذه هى كل الحكاية.

(١) المقصود هنا عدم افتضاح أمرها واكتشاف أن الفتاة ليست ابنتها.

٢٥ـ بفورى ابن نزامبى، ونزوزومى روح الغابة:

أنجب نزامبى أبناء ذكورا: نيكيون، وإيبيندى، ونبيلى كى، ونتومى نتـومى، ومور بارا، وبفورى.

وقام نزامبى بتزويج جميع أبنائه عدا واحدا ظل أعزبا، وهو بفورى الـذى كان يعد مريضا[1].

وأصبح جميع أبناء نزامبى يعملون فى الحقل، ومضت زوجـاتهم يعـدون الطعام. كان هناك الكثير من الطعام يعد من اليوكا والموز، ولكن لم يكـن لـديهم شىء آخر يمكن إضافته إلى تلك الثمار.

قال نزامبى:

- أبنائى، نحن جالسون بلا لحم وبلا سمك، وذلك لأننا لا نقـوم بالـصيد. والنساء لا تقمن بصيد الأسماك. فما الذى يمكننا فعله؟

وبعد أن تحدث نزامبى على هذا النحو مع أبنائه أضاف قائلا:

- عليكم فى الغد حمل السكاكين والمعاول والذهاب معى إلى الغابة.

وذهب إلى الغابة مع أبنائه، وقاموا بصنع الأفخاخ وحفر المصايد. وظلـوا هناك لنهارين وليلتين. وعندما لم ينجحوا فى الحصول على أيـة طريـدة عـادوا أدراجهم بأيد خاوية.

---

(١) من هنا جاء اسم بفورى الذى تعنى ترجمته "عديم الفائدة"، كما تعنى "النحيف" أو "الضعيف"، ولم يكـن بوسع النساء الزواج من الإنسان عديم الفائدة، حيث إن العادات تحرم هذا الأمر.

أمر نزامبى ابنه بفورى كى يذهب ويتفقد الأفخاخ. ذهب بفـورى ووجـد الحيوانات وقد علقت فى الأفخاخ والمصايد. فأخذ جميع الحيوانات وربطها جميعا معا، ثم ألقى بها فوق كتفيه وسار عائدا بها.

مضى يسير حتى قابل نزوزومى.

قال له نزوزومى:

– توقف يا هذا!

رد ابن نزامبى قائلا:

– فلتأخذ إحدى الطرائد واذهب بها إلى بيتك لتأكلها.

لكن نزوزومى اعترض وقال:

– لا.

أجاب بفورى:

– إذا فلتأخذ حيوانا آخر.

رد نزوزومى:

– لا لن آخذ.

فقال بفورى:

– ما قولك لو أعطيتك حيوانين؟

أجاب نزوزومى:

– لا، هيا بنا نتصارع قليلا.

وتصارع الاثنان حتى استطاع بفورى أن يطرحه أرضـا وانتـصر فـى المباراة.

وأدرك نزوزومى أن بفورى قد أنهك قواه ففر هاربا، وحمل بفورى طريدته حتى وصل إلى القرية وحكى ما جرى له.

نهض الجميع واقفين وهتف نزامبى:

- إن ابنى بفورى سوف يصبح سيدا على القرية، فقد أمرت جميع أبنائى أن يخرجوا ويتفقدوا الأفخاخ، ولكنكم جميعا عدتم بلا طرائد، عدا بفــورى عديم الفائدة الذى نجح فى إحضار الحيوانات.

٢٦ـ بفورى ابن نزامبى:

عاش نزامبى وأنجب عددا من الأبناء. أنجب نزامبى أبناء ذكورا: نيكيون، وإيبندى، ونتومى نتومى، ونزى لولى، ومور بارا، وبفورى. وكان نزامبى والدهم جميعا.

وقال لهم:

– أيها الأبناء! عليكم جميعا ألا تذهبوا إلى القسم السفلى. ويمكنكم فقط الذهاب إلى القسم العلوى(١).

صار الأبناء يخرجون إلى الصيد فى القسم العلوى، ولكن سرعان ما انتهى الصيد هناك.

وقام نيكيون بالذهاب سرا إلى القسم السفلى، وعندما دخل إلى الغابة بدأ فى قتل الحيوانات.

ثم قال لنفسه:

– والآن حان موعد العودة.

وفجأة سمع ضوضاء صادرة من السماء وصوتا يتردد قائلا:

– لقد عثرت على العوائق التى تنتظرك، والآن أصبح البؤس يتهددك، ولكنك لا تدرك هذا الأمر!

ارتعد نيكيون لدى سماعه هذه الكلمات، فقفز ووقع على الأرض، فتحطمت رأسه وانقسمت إلى شطرين.

---

(١) كان من الشائع فى العديد من الأساطير والحكايات لدى البوهيب تقسيم البلاد إلى قسمين: "العلوى" و"السفلى".

مات نيكيون. وظل الناس فى القرية ينتظرونه طوال الليل، لكنه لم يعد، فصاحوا يسألون:

- إلى أين ذهب نيكيون؟

وخرج جميع أبناء نزامبى إلى القسم السفلى، وماتوا جميعا. ولم يبق سوى بفورى عديم الفائدة فقط.

وقال صا كى الشقيق الأكبر لنزامبى:

نزامبى، أين أبناؤك؟[1]

رد نزامبى:

- لقد ماتوا، وذلك لأنهم لم يستمعوا إلى أوامرى. فقد أخبرتهم ألا يذهب أحد منهم إلى القسم السفلى.

ذهب بفورى إلى المُنجم سيسيول، وقال له:

- لقد جئت أسألك عن سبب موت أشقائى فى القسم السفلى.

فأجابه سيسيول:

- إن الطلاسم تخبرنى عن سبب موت أشقائك.

ثم أضاف قائلا لبفورى:

- لقد قتلت أشقاءك امرأة ميتة واحدة، ولكن يمكنك الذهاب إلى القسم السفلى بلا خوف. فعندما ترى السماء وقد هبطت لأسفل وهى ترعد على نحو مخيف، وتشعر أن الأرض تدور، لا تخف. وسوف تجد بيضة فى المكان الذى سوف تسقط به. فعليك أن تعد لها عشا فى الأرض وتضعها بداخله، وانتظر ما سوف تقوله لك المرأة.

---

(١) صا كى- باعتباره جدًا لأولئك الموتى كان عليه السؤال عن أولئك الموتى. وهذا الأمر هو أحد الطقوس الجنائزية: عندما يموت أحد ما فلا بد من السؤال عن سبب موته، وعن المذنب فى موته.

عاد بفورى إلى البيت وخرج إلى القسم السفلى حاملا سلاحه فى يده، حتى عثر على الدرب الذى سار به أشقاؤه فى الغابة. فمضى إلى هناك، وبدأ فى قتل الحيوانات، ثم شرع في العودة. ولكنه فجأة سمع ضوضاء مخيفة، وشاهد السماء تهبط لأسفل وهى ترعد مرددة:

- لقد عثرت على العوائق التى تنتظرك، والآن أصبح البؤس يتهددك، ولكنك لا تدرك هذا الأمر!

عثر بفورى على البيضة، فأخذها وأعد لها عشا وضعها به، وانتظر حتى هبوط الليل، فظهرت له امرأة واختفت البيضة.

وقالت له المرأة:

- بفورى! إنك تسلك مسلك الرجال، وعليك العودة إلى قريتك والذهاب إلى والديك.

ثم أعطته عقارا وقالت:

- إن هذا الشلال ملك لى أنا مابفو، وأنت فقط الوحيد الذى يمكنه جعل الشلال يصمت. ولو أن أحدا غيرك حاول إكراهه على الصمت فلن يستمع الشلال إليه. أنت فقط يا بفورى يمكنك أن ترغمه على الصمت، وسوف أشيد معك قرية جديدة، وأطلق عليها اسمك.

ثم اخذت المرأة عقارا آخر ومضت تنثره فوق أجساد الموتى، وبعثت إلى الحياة جميع أبناء نزامبى.

ثم أشارت مابفو بإصبعها نحو القرية الكبيرة وقالت:

- هذه هى قريتك يا بفورى يا ابن نزامبى.

عاد بفورى إلى قريته، وذهب إلى والده وقال له:

- أيها الوالد، فلنذهب إلى قرية أخرى، ولا تأخذ معك أية أقداح ولا أية أغراض أخرى من هنا.

ورحلا معا دون أن يأخذا شيئا معهما. وعندما وصل نزامبى إلى القسم السفلى عثر على جميع أبنائه أحياءً.

فى ذلك الوقت كان الشلال يواصل هديره ليل نهار، ولم يكن بوسع الناس سماع صوت بعضهم بعضًا إلا عند الصراخ عاليا.

قال نزامبى وشقيقه صا كى:

- إن هذه القرية جيدة، ولكن من الذى يمكنه أن يُكره الشلال على الصمت؟

فخرج نيكيون هاتفا:

- أنا الشقيق الأكبر. وقد رأيت هذه الغابة قبل جميع أبناء نزامبى. وسوف أكره شلالى على الصمت. اصمت أيها الشلال!

لكن الشلال استمر فى هديره.



وحاول جميع أبناء نزامبى تهدئة الشلال، ولكن الشلال واصل الهدير.

فخرج بفورى وهتف فى الشلال:

- منذ زمن بعيد وأنت لم تستطع أن ترهبنى بزئيرك الوحشى، وذلك لأنك بالنسبة لى تتحدث مثل الإنسان، ولأنك بالنسبة لى مجرد شلال مابفو الذى عليه أن يصمت.

وحمل العقار وألقى به إلى جوف الشلال هاتفا:

- يا شلالى، يا شلال مافو" اصمت!

وصمت الشلال عن الهدير.

أصاب الذهول الجميع، وقالوا: حقا، إن اسم هذه القرية - بفورى.

٢٧ـ نيكيون وسيد الغابة[١]:

عندما عاش نزامبى أنجب عددا من الأبناء. أنجب نزامبى أبنـــاءً ذكـــورا: نيكيون، وإيبندى، ونتومى نتومى، ونزى لولى، ومور بـــارا، و بفـــورى. وكـــان نزامبى والدهم جميعا.

قال نزامبى لأبنائه:

لا تذهبوا إلى القسم العلوى، ولم يعد هناك أية حيوانات فى القسم السفلى.

حمل نيكيون سلاحه وخرج إلى القسم العلوى. فدخل إلى الغابة وعثر على بعض الحيوانات الميتة التى قتلها أحد ما. فقال فى نفسه:

– سوف أذهب وأصطاد بسلاحى ثم أعود لأجمع هذه الحيوانات.

ومضى يقتل الحيوانات، ثم اقترب نيكيون نحو إحدى الأشجار حيث قابـــل ميرى باندى[٢] سيد الغابة الذى قال له:

– نيكيون! ارفعنى، وضعنى فوق كتفيك، واحملنى إلى قريتك.

فرد عليه:

– لا.

غير أن ميرى باندى زحف وصعد فوق كتفى نيكيون، فأخذ نيكيون يحاول إزاحته ودفعه، ولكن ميرى باندى لم يسقط، واضطر نيكيون إلى الـــسير حـــاملا ميرى باندى فوق ظهره، حتى وصل إلى قريته دون أن يقابله أحد.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس موضوع: الراقد على ظهره يهبط لأسفل.

(٢) ميرى باندى– "سيد الغابة القديمة"، أى تلك الغابة التى تمتد بقرون مضت، وليست تلك التى نمت مكان الأشجار المقطوعة أو المقتلعة للزراعة.

وسأل نزامبى والد نيكيون الناس قائلا:

- إلى أين ذهب نيكيون؟

فردوا عليه:

- لقد ذهب نيكيون إلى القسم العلوى.

قال نزامبى:

- هيا بنا، فسوف ننطلق إلى الجانب الآخر. فإن نيكيون قد ذهب إلى هناك وقابل ميرى باندى سيد الغابة.

وصل نيكيون ولم يجد أحدا فقال:

- أيها الوالد نزامبى لقد جئت إلى هنا ولم أجد أحدا فى القرية، فأين ذهبوا جميعا؟

ثم جلس وأخذ بعض الموز ليشويه. وعندما انتهى من إعداده قال لميرى باندى:

- هيا اهبط لتناول الطعام.

هبط ميرى باندى إلى الأرض، وجلس بالقرب من نيكيون. وعندما انتهى من طعامه زحف فوق ظهره من جديد. وتكرر هذا الأمر كل يوم.

تراءت جدة نيكيون[1] له فى المنام[2] وقالت له:

- يا ابن ابنتى. لقد أحضرت روحا معك. فلماذا تسميه ابنا للإنسان؟ فى اليوم الذى ينتهى فيه طعامك اذهب للبحث عن الغذاء، وأرغمه على الهبوط من فوق ظهرك إلى الأرض. وعندما يهبط قم بجمع المطر لتأكلاه معا، وعندما يتكرر هذا الأمر ثانية فر هاربا، وسوف تعثر على والدك.

---

(١) هى جدته لأمه. فالأقارب من الأم يتمتعن بالسلطة فى الأسرة، ويستطعن حماية افراد الأسرة. وعلى الرغم من أن اسم هذه الجدة لا يرد ذكره هنا، فإن المقصود بها غالبا هى نبولى مورا، التى تستلخص مهمتها فى تحذير أحفادها من المخاطر، وإنقاذهم منها.

(٢) ينتشر بين البوهيب الاعتقاد فى التحذيرات التى تأتيهم فى المنام.

وعندما بزغ الفجر قال نيكيون لنفسه:

- آه! لقد رأيت للتو جدتى فى المنام!

ثم قال لميرى باندى:

- لم يعد لدينا طعاما، وسوف أذهب للبحث عن شيء يؤكل، فاهبط إلى الأرض.

نزل ميرى من فوق ظهره.

خرج نيكيون وجمع الفطر، ثم قام بسلقه ومضى يأكل مع ميرى باندى.

وبعد مرور يومين أو ثلاثة نفذ الفطر، فقال نيكيون:

- لقد نفذ الطعام الذى كنت أعطيه لك ثانية. وسوف أذهب للبحث عن شيء يؤكل فلتنزل إلى الأرض.

نزل ميرى إلى الأرض.

وسار نيكيون إلى المكان الذى ذهب إليه والده للعيش به، وألقى التحية على أشقائه وحمل سلاحه خارجا للصيد.

ذهب ميرى باندى متعقبا أثره. وأخذ قاربا وضعه فوق الماء وبدأ فى التجديف. وسقط ميرى باندى فى النهر، وأراد العثور على نيكيون، ولكن التيار حمله نحو الشلال الذى ابتلعه ومات.



جلس نيكيون ثانية فى القارب ومضى به إلى القرية.

وقال له والده:

- لقد حذرتك، ولكنك لم تستمع لتحذيرى.

٢٨ـ حكاية كينتو خالق الباغاندا، وكيفية وصوله إلى بوغاندا:

في الوقت الذي وصل فيه كينتو إلى بوغاندا[1] لم يكن بها أي شيء يؤكل. ولكن كينتو كان لديه بقرة، وكانت تطعمه.



وذات مرة قابل الناس القادمين من السماء. كانت ضمنهم فتاة تحمل اسم نامبي مع أشقائها. وقد أصابتهم الدهشة عندما قابلوا إنسانا على هذه الأرض. وسألت نامبي أشقاءها عن المكان الذي أتى منه هذا الرجل، ولكنهم لم يعرفوا ردا، ولذلك قرروا الذهاب إلى كينتو وسؤاله.

– منذ صرنا نأتي إلى هنا لم نشاهد من قبل أحدا قط. فمن أين أتيت؟

رد كينتو قائلا:

– أنا نفسي لا أدري من أين أتيت.

فسألته نامبي:

– وما الذي تأكله؟

– إني آكل براز بقرتي، وليس لدي طعام آخر.

– وما الذي تشربه؟

---

(١) بوغاندا– "بلاد شعب غاندا": وهو الاسم الذي أطلق في القرون الوسطى على الدولة القائمة على أرض أوغندا المعاصرة.

- إنى أشرب من بول بقرتى.

وبعد ما انتهت نامبى من أسئلتها لكينتو حكت ما رأته لأشقائها:

- إن كينتو رائع الحسن، وهو يعجبنى كثيرا، وأريده زوجا لى.

سألها الأشقاء:

- وهل أنت على ثقة بأن كينتو الذى يعجبك على هذا النحو هو من البشر؟

- نعم، إنى واثقة إنه إنسان. فالحيوانات لا يمكنها بناء مثل هذا البيت الذى أقامه كينتو.

وتوجهت بحديثها نحو كينتو قائلة:

- أريد الزواج منك، وسوف أذهب الآن إلى والدى وأخبره بـأننى قابلـت رجلا يدعى كينتو فى الأرض المهجورة، وإننى قررت الزواج منه.

وعندما عاد أبناء غولو إلى السماء، حكوا لوالدهم كل ما رأوه. فأمر غولو الأبناء بالنزول إلى أسفل وسرقة بقرة كينتو وقال لهم: لو لم يمت كينتو بعد حرمانه من البقرة، فهو إذا كينتو الحقيقى.

قام أبناء غولو بسرقة بقرته، وذلك عندما كان نائما يغط فى سبات عميـق. وعندما استيقظ كينتو ولم ير بقرته، مضى يبحث عنها فى كل مكان بلا جـدوى. وعند حلول المساء أدرك ضياع بقرته، فخرج وقطع شجرة، ثم انتـزع لحاءهـا ومضى يأكل منه.

جلست نامبى عند البيت. وفجأة شاهدت أشقاءها عائدين من الأرض وهـم يقودون معهم بقرة كينتو. فاقتربت منهم وسألتهم:

- لقد سرقتم بقرة صديقى. فمن أين له الطعام والشراب الآن؟ إنـه سـوف يموت من الجوع والعطش. إن كنتم لا تحبونه فأنا أحبه. وسوف أذهب إليه وأحضره إلى هنا.

وسرعان ما هبطت نامبى إلى الأسفل حيث قابلت كينتو.

– ما الذى تأكله الآن أيها السيد؟

– إنى أتغذى على الأشجار.

– وهل يمكن أكل الأشجار؟

– وما العمل؟ إن لم يكن لدى شيء آخر يؤكل!

– لقد سرق أشقائى بقرتك، فهيا نذهب معا ونحضرها.

وصعدت نامبى مع كينتو إلى السماء. وكان كينتو مبهورا عندما شاهد العديد من الأبقار والدجاج والأغنام والماعز وجميع أطايب الأشياء، وعندما عرف أبناء غولو أن كينتو جاء إلى السماء مع نامبى، ذهبوا إلى غولو وأخبروه بهذا الأمر. فأمر غولو قائلا:

– ما إن يصل كينتو إلى هنا حتى يأمر الشيوخ ببناء بيت له.

شُيد البيت بسرعة كبيرة، وأقام كينتو به. وأعد الخدم الكثير من الطعام، وأقاموا جبلا من اللحم وكميات كبيرة من الجعة، وذلك بناءً على أوامر غولو. وحملوا كل هذا إلى كينتو قائلين:

– لقد بعث غولو إليك بهذا الطعام، فإن لم تأكله كله، فسوف يعنى ذلك أنك لست كينتو الحقيقى، ويصبح مصيرك القتل.

وضع الرسل الطعام ورحلوا عن المكان تاركين كينتو بمفرده يردد مذهولا:

– كيف يمكننى تناول كل هذا الطعام؟

وما إن نطق تلك الكلمات حتى ظهرت أمامه فجأة حفرة عميقة. فقام بإلقاء الطعام والجعة بداخلها. واختفت الحفرة فجأة كما ظهرت. فنادى كينتو على الخدم كى يأتوا ويحملوا الأوانى الفارغة. لم يصدق رسل غولو أعينهم بأن كينتو استطاع

تناول كل هذا الطعام، فقاموا بالبحث والتفتيش فى أرجاء البيت، لكنهم لم يعثـروا على أية بقايا للطعام، فسألوه:

- أين وضعت الطعام؟

- لقد أكلته.

- أووه! إذا أنت حقا كينتو الحقيقى!

وذهبوا إلى غولو يخبرونه بأن كينتو أكل كل الطعام. فقال غولو:

- إذا لو أن هذا الأمر حقيقى فاحملوا إليه هذا المعول النحاسى ليقطـع بـه صخورا صلبة من أجلى، لأننى أتدفأ بالصخور فقط.

وعندما وصل كينتو إلى الجبل الصخرى تنهد قائلا:

- ما الذى يمكننى فعله؟ وكيف يمكننى قطع الصخور بهذا المعـول؟ فهـو بالحتم سوف يتحطم.

وما إن قال عبارته حتى بدأ الصخر يتشقق ويتكسر إلى قطع صغيرة مـن تلقاء نفسه. وقام كينتو بربط قطع الصخور وحملها إلى غولو. وعنـدما شـاهدها غولو قال:

- إنهم لم يخدعونى إذن. فهذا الرجل هو كينتو الحقيقى. وهو مدهش، كيف أمكنه تكسير الصخر؟

ثم بعث غولو بكينتو من أجل الماء قائلا له فإنه لا يشرب ماء البئـر، بـل يشرب ماء الندى فقط. فحمل كينتو زلعة وذهب إلى الأدغال. وعندما وصل إلـى الأحراش وضع الزلعة على الأرض. وقال فى حزن:

- كيف يمكننى أنا كينتو أن أملأ الزلعة بماء الندى؟

وما إن أتم عبارته حتى امتلأت الزلعة بماء الندى. فقام بوضعها على رأسه ومضى مسرعا إلى غولو. قام غولو بالثناء على كينتو مطلقا عليه اسم الإنسان غير العادى. وفى النهاية قال له:

- فلتحضر غدا فى الصباح، وسوف أعطيك بقرتك.

وعندما أتى الصباح جمع غولو قطيعا كاملا من الأبقار، وأرسله إلى كينتو. وكان على كينتو التعرف على بقرته من بين الأعداد الكثيرة لأبقار غولو. فوقف كينتو قائلا:

- كيف يمكننى العثور على بقرتى من بين هذه الأبقار العديدة؟

وفجأة حلق نحوه دبور وقال:

- عندما تشاهدنى أهبط فوق قرن إحدى الأبقار فاعرف أنها بقرتك.

عندئذ اقترب كينتو من قطيع الأبقار. ومضى يتفحصها، وظل الدبور جالسا فى مكانه لا يتحرك ولا يحط على أى من قرون الأبقار. فقال كينتو:

- إذًا ، فإن بقرتى ليست من بين هذا القطيع.

أتوا إليه بالقطيع التالى الذى لم تكن به بقرة كينتو، ثم أتوا إليه بأربعة آلاف بقرة. وشاهد كنتو الدبور يحلق فوق الأبقار ويهبط على قرن إحداها. فغمرته الفرحة وهتف:

- ها هى بقرتى.

حلق الدبور وهبط فوق قرن بقرة ثانية.

- وهذه أيضا بقرتى التى وضعتها البقرة الكبيرة.

ومرة أخرى هبط الدبور فوق بقرة أصغر.

- وهذه البقرة الصغيرة لى كذلك. وقد وضعتها البقرة الأكبر.

ابتسم غولو وقال:

- كينتو المدهش، إنى لم أشاهد مثل هذا الأمر من قبل، فلـيس بالإمكـان خداعك أبدا، وأنت أيضا صادق لا تكذب. حسنا، نادوا على ابنتى نامبى لتصبح زوجة لك يا كينتو. فقد جاءت بك بدافع الحب. وأنا أمنحها لك، فاذهبا معا لأسفل. ولكن عليكم الرحيل بسرعة قبل مجىء فالومبـا[1]، لأنه حينئذ سوف يبدى رغبته فى الرحيل معكم.

استجابت نامبى لتعاليم والدها، ومضى الاثنان يعدان العدة للرحيل على وجه السرعة، واصطحبا معهما الأبقار والماعز والأغنام والـدجاج والمـوز. ولكنهـا تذكرت فى أثناء طريقهما لأسفل أنها قد نسيت علف الدجاج. فقررت نامبى العودة دون الالتفات لاعتراض كينتو. وقالت له:

- سوف أذهب على وجه السرعة.

وعندما شاهد غولو أن نامبى عائدة للبيت من أجل علف الدجاج ذكرها قائلا:

- ألم أخبرك من قبل بعدم العودة مرة أخرى حتى لو نسيت شيئا؟ والآن لو صادفك فالومبا فلن يقبل عودتك بمفردك إلى كينتو.

وبينما كان يتحدث وصل فالومبا بالفعل وهتف قائلا:

- كيف يمكنك فعل هذا؟ أتريدين الرحيل وتركى هنا؟

وأمرهم غولو بالذهاب معا. وعندما وصلا إلى كينتو الذى شاهد فالومبا قال لنامبى:

- لماذا أحضرته معك؟ ألا تعرفين أنه عنيد للغاية ولن يمكننا الاتفاق معه؟ ولكن، ما الذى بوسعنا فعله الآن؟ على أية حال فليذهب معنا.

---

(١) فالومبا – الموت.

وصلوا إلى أرض بوغاندو. وعملت نامبى فى الزراعة: فقامت بالحرث وغرس أشجار موز مانياجاليا، والتى خرجت منها أنواع أخرى من الموز. وأنجبت نامبى لكينتو ثلاثة أبناء. وأراد فالومبا أخذ أحد الأطفال كى يعد له الطعام. لكن كينتو قال له:

- لن أعطيك أبنائى. فلو طلب غولو بيندوبولو[1] ماذا أقول له؟ لقد أخذه فالومبا!

صمت فالومبا. وأنجبت نامبى أطفالا آخرين. وعندما رأى فالومبا أن عدد الأطفال قد أصبح كثيرا طلب مرة أخرى من كينتو:

- أعطنى طفلا واحدا كى يقوم على خدمتى.

- لا لن أعطيك.

- إذًا ، سوف أقتلهم.

- وكيف تقتلهم؟

لم يجب فالومبا بشىء. ومضى وقت قصير وصار أطفال كينتو يمرضون ويموتون. فقرر كينتو الذهاب إلى غولو ليشكو له فالومبا، ويحكى له أن فالومبا يقوم بقتل أبنائه. وانطلق مسرعا فى طريقه. وعندما وصل إلى غولو قص عليه ما جرى شاكيا. استمع غولو إليه وقال:

- ألم أخبرك أن ترحل بسرعة قبل مجىء فالومبا؟ ولكن زوجتك عادت من الطريق لأنها نسيت العلف، فقابلت فالومبا الذى ذهب معها. ولو أنها لم تعد لظل أبناؤك على قيد الحياة. على أية حال نادوا لى على شقيقها كايكوزى[2]، لعل بوسعه إقناع فالومبا بالعودة هنا، على الرغم من صعوبة إقناعه.

---

(١) الطفل الممنوح فى صورة هدية للزعيم أو للشيخ.

(٢) كايكوزى - "الذى يمر عبر الأرض".

ورحلا معا إلى الأرض. وعندما رأت نامبى شقيقها كايكوزى غمرتها الفرحة، وقامت بتحيته قائلة:

- من الجيد أنك قد جئت، فإن فالومبا يريد قتل جميع أبنائى.

حضر فالومبا وقام بتحية الشقيق. وقال له كايكوزى:

- لقد جئت من أجلك، فإن والدك غولو ينادى عليك.

سأل فالومبا:

- وهل تصحبنا شقيقتنا نامبى؟

- لا، لقد جئت من أجلك أنت فقط، أما نامبى فسوف تظل مع زوجها كينتو، وسوف ينجبان الأطفال الذين لن يموتوا بعد ذلك.

- لن أذهب معك.

- أتجرؤ أنت أيها الطفل الصغير على عصيان أوامرى وأنا الأكبر منك؟ سوف أقبض عليك وأحملك بالقوة.

وقام بالقبض عليه، ومضى الاثنان يتشاجران ويتصارعان. ولكن فالومبا استطاع التملص من يدى كايكوزى واختبأ تحت الأرض. فقام كايكوزى بحفر الأرض وأخرجه من بطنها إلى سطح الأرض. غير أن فالومبا استطاع الاختباء تحت الأرض ثانية، فأخرجه كايكوزى من جوفها مرة أخرى. وشاهد الناس كيف فر فالومبا من جديد واختفى تحت الأرض.

حينئذ قال كايكوزى لكينتو:

- لقد أصبح فالومبا بلا حول وبلا قوة، وسوف أقبض عليه بعد بضعة أيام. فأخبر رجالك أن يخزنوا الحطب والأخشاب والماء، وألا يخرجوا إلى الشوارع حتى ذلك اليوم الذى أقبض فيه عليه. ولا تدع الأطفال

الصغار يسوقون الأغنام إلى المراعى. وعلى جميع الناس ألا يصابوا بالذعر ويرفعوا أصوات الإنذار لدى رؤيتهم فالومبا.

وبعد ما قال كلامه هذا اختفى كايكوزى تحت الأرض للبحث عن فالومبا. وهناك عثر على فالومبا ومضى يركض خلفه. لكن فالومبا فر هاربا إلى تاندا[١] وكايكوزى فى أثره. وعندما وصل كايكوزى إلى تاندا قفز فالومبا من بطن الأرض. وعندما رآه الأطفال الصغار وهم يرعون الغنم أصابهم الخوف والذعر وصرخوا مهللين ومحذرين. فاختبأ فالومبا مرة أخرى. وعندما ظهر كايكوزى على السطح ترددت أصوات الإنذار فسأل الأطفال:

- هل رأيتم فالومبا؟

- نعم، لقد فر إلى باطن الأرض فى هذا المكان.

- ألم أخبر كينتو ألا يرفع أصوات الإنذار لدى رؤية فالومبا، وألا يجعلكم تسوقون الأغنام إلى المراعى؟ لماذا فعلتم هذا؟ لقد أفسدتم كل شىء.

وعندما جاء كينتو قال له كايكوزى:

- لقد أعاقنى الأطفال فى القبض على فالومبا، ورفعوا أصوات الإنذار، وها هو قد فر تحت الأرض، ولم يعد بوسعى اللحاق به فى بطن الأرض، لأننى صرت منهكا للغاية.

قال كينتو:

- إن لم يعد بوسعك اللحاق به فعد إلى غولو. فما الذى يمكننى فعله وأنا المذنب؟ إن فالومبا يريد قتل أبنائى، فليقم بقتلهم! ولكننى سوف أظل كينتو، ولن يمكنه قتل جميع أبنائى كلهم. سوف يقتل دائما وأنا سوف أنجب دائما.

---

(١) تاندا هو أعمق الأماكن فى باطن الأرض.

حينئذ عاد كايكوزى إلى السماء وأخبر غولو قائلا:

- لقد رفض فالومبا الحضور، وقد تعاركت معه وكدت أقبض عليه، لكن الناس رفعوا أصوات الأنذار، فاستطاع فالومبا الاختباء في تاندا. وعندما أصابنى التعب والإنهاك لم أستطع الهبوط إلى تاندا ثانية. لقد أمرنى كينتو بالحضور إليك وإخبارك بأنه هو المذنب. وقال إن فالومبا لن يستطيع قتل جميع أبنائه. وعندما يقتل سوف يستمر كينتو في الإنجاب. ولهذا فقد عدت. كما أن كينتو قد صار لديه الكثير من الأبناء والطعام والأبقار، وقد تركته على الأرض.

فقال غولو:

- حسنا، دعه يعيش هناك فى الأسفل، وأنت عش هنا يا كايكوزى.

وهنا، انتهت حكاية كينتو.

٢٩ـ من أين ظهر لابن آوى الشريط الأسود الطويل فوق ظهره؟[1]

يحكى أنه ذات مرة هبطت الشمس على الأرض. ولكن الناس عندما شاهدوها جالسة على جانب الطريق لم يبدوا اهتماما بها. وكان ابن آوى – الذى كان يرعى خلفها كالعادة – هو فقط الذى اقترب من الشمس وقال:

– ما هذا الطفل الصغير الرائع الذى تركه الناس هنا؟

ورفع الشمس وأجلسها فوق ظهره.



وصارت الشمس تحرق فروة ظهره حتى صرخ: "اهبطى من فوق ظهرى". وأخذ ينتفض محاولا إلقاء الشمس من على ظهره، ولكن الشمس تمسكت بقوة حتى أحرقت فروة ظهره. ومنذ ذلك الحين احتفظ ابن آوى بشريط أسود طويل فوق ظهره.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس موضوع العلامات المميزة للحيوانات.

٣٠ـ كيف ظهرت الحيوانات المنزلية؟

في الأزمنة السحيقة كانت تعيش فى الغابات جميع الحيوانات ذات القرون: الأغنام، والمواشى، والماعز.



وذات مرة طلب توروروت أن تظهر جميع الحيوانات فى أماكنها المحـــددة فى الأدغال عند ندائه لها. وهناك قام بإشعال حلقة كبيرة من النار. وعندما شاهدت الحيوانات النار تملكها الذعر، وفرت هاربة إلى الخلف فى الغابة. ولم يبق ســـوى الحيوانات ذات القرون والأغنام والماعز التى لم تخف النار. وأصبح تـــوروروت راضيا للغاية بأنهم لم يفروا. وهتف معلنا أن عليها منذ الآن العيش جنبا إلى جنب الإنسان، الذى سوف يأكل من لحومها ويشرب من لبنها.

٣١ـ الثعلب وشقيقه الأكبر ابن آوى:

فى مرة من المرات هطل المطر بغزارة شديدة. وعند سقوط مثل هذا المطر يقال إن كاتيندى[١] يبدأ بحمل البيضة فى ذلك الوقت. وفكرت الوحوش قائلة: "من أين لنا الحصول على النار بعد ما انطفأت نارنا؟". وبدءوا فى إطلاق السباب على زوجاتهم: "لماذا لم تقمن بتغذية النار بالأغصان والأخشاب؟ ألا تدركن أن البـــرد يحمل معه الأمراض؟".

كان هذا ما جرى عندما احتاجت الحيوانات النار.

ولم يتحمل ابن آوى فقال:

- سوف أرسل أخى الأصغر كى يحضر لنا النار.

وأرسل الثعلب وأمره بالحصول على النار.

وعندما وصل الثعلب إلى الناس فى البيت، رفع ذيله من الفرحة بعد ما شعر بالدفء. وأحضروا له عظاما وبقايا طعام، ففكر الثعلب فى نفسه: "يا لحظى الطيب هنا، لمَ أعود مجددا إلى الغابة؟".

ومضى بعض الوقت، وسأل الفهد ابن آوى:

- الرسول الذى أرسلناه لم يعد بعد، فمن هو؟

أجابوه:

- لقد أرسلنا الثعلب.

فزمجر الفهد سائلا:

---

(١) كاتيندى- طائر الملك.

- من هو؟ من هو؟

ثم أمر ابن آوى قائلا:

- اذهب وأحضر ذلك الذى أرسلته!

سمع الثعلب نداء ابن آوى: "أيها الثعلب، أيها الثعلب".

وحتى يومنا هذا لم يجب الثعلب على نداء ابن آوى، الذى ما زال ينادى وينادى على الثعلب كى يحضر لهم النار وينقذهم من البرد.



وفى الأوقات المطيرة والباردة يصرخ الفهد وابن آوى بلا توقف، ويعلم الجميع أن هذا الصراخ نابع منهما. إن الوحوش تشبه البشر فلا يمكنها- مثلها مثل البشر- التخلى عن عاداتها وطباعها.

٣٢- حكاية تانجالى ميلينجو:



خرج بعض الشباب للصيد فى الغابة، وكان هناك الكثير من الطرائد. ومضوا يقومون بالصيد حتى أصابوا الكثير منها: الأرانب، والظبيان، وطائر الغرغر، والكروان. حينئذ قالوا:

- فلنذهب إلى كوخنا لإعداد الطعام.

ثم وصل إلى نفس المكان بعض الصيادين الآخرين. وقاموا معا بجمع الأغصان وأشعلوا بها نارا يطهون بها لحم الظبى.

وهنا، ظهر الفهد فجأة واختطف قطعة من لحم الظبى. فانتفض الصيادون فى الحال وهجموا عليه. وفى ذلك الوقت ظهر ظبى والتهم الطريدة بأكملها. وعندما لم يلحق الصيادون بالفهد قرروا العودة. ولكنهم عندما عادوا إلى موقعهم لم يجدوا أثرا للطريدة. فقالوا وهم مذهولون:

- من هذا الذى استطاع أن يلتهم لحمنا؟

خرج الجميع للبحث تاركين شابا واحدا فقط فى الكوخ. ومضى الصيادون يبحثون طويلا، غير أنهم لم يعثروا على أحد. وفى أثناء غيابهم ظهر الظبى ثانية والتهم الفتى.

وعندما لم ينجح الصيادون فى العثور على سارق طريدتهم قفلوا عائـــدين، ولم يجدوا أثرا للفتى. وانطلق الصيادون يبحثون عنه بلا جدوى. حينئذ صاحوا:

- هيا بنا نذهب إلى البيت، فقد سرق أحد ما طريدتنا، وها هو الفتـــى قـــد اختفى الآن، ولم يعد بوسعنا العثور عليه ولا على من اختطفه.

ومضى الجميع صوب البيت. وقاموا بوضع أغنية فى أثناء الطريق، وعندما اقتربوا من القرية مضوا يغنون بصوت مرتفع:

إننا نتحدث عن تانجالى ميلينجو، لقد هاجموه،

جاء بشر الماء واختطفوه،

أيها الديك، أنك دجاجة، دجاجة حقيقية،

إننا سوف نُقتل،

إننا نتحدث عن تانجالى ميلينجو، تانجالى ميلينجو.

وعادوا إلى البيت.

ولكن، أين كان تانجالى ميلينجو؟ عندما وجد نفسه فى بطن الظبى استل من غمده سكينا كان يحمله ومزق به بطن الظبى. وهكذا، نجح فى الفرار من الظبـــى دون أن يقتله. ومنذ ذلك الحين والناس لا يقتلون الظبى.

وقد وضع تانجالى ميلينجو أغنية ومضى يرددها:

صدقوا إن كنتم لا تصدقون،

ذلك الذى اختفى قد شرب اللبن من أجل الأطفال،

فقد ضل طريقه بين الأدغال،

وتوقف عند الباب.

وصل تانجالى ميلينجو إلى البيت. فغمرت النساء الفرحة، واجتمعن يرددن الأغانى، ثم قاموا بذبح المواشى احتفالا بالروح التى أعادها الفتى.

٣٣ـ الجاموس العجيب:

كان ياما كان زوج وزوجة يعيشان معا. وقد رُزقا بابن ثم بابنة.

وجاء الوقت كى تتزوج الفتاة. فأخذ الوالدان مهرا للعروس، ثم قالا للابن:

- والآن، حل عليك الدور. وسوف نبحث لك عن فتاة طيبة أهلها من الصالحين، وحتى يصبح بوسعك دفع مهرها سوف نمنحك قطيعا من الماشية.

لكن الفتى اعترض قائلا فى عناد:

- لا توجد هنا أية فتاة تروق لى، وعندما أود الزواج فسوف أبحث لنفسى عن عروس.

رد الوالدان:

- فلتفعل ما يحلو لك، ولكن لو حل بك البؤس فلن يصبح بوسعنا تقديم العون لك.

وهكذا، غادر الفتى موطنه ذات يوم، ومضى بعيدا نحو الأرجاء المجهولة. سار طويلا طويلا حتى دخل قرية فى النهاية. وهنا، شاهد العديد من الفتيات. كانت الفتيات تقمن بطحن الحبوب وإعداد الطعام. ومضى الفتى فى هدوء يرقب الفتيات، حتى استرعت انتباهه واحدة منهن استطاعت تحريك مشاعر روحه أخيرا. ففكر فى نفسه: "هذه هى الفتاة الوحيدة التى تروق لى"

توجه الفتى إلى شيوخ القرية ملقيا التحية عليهم. فأجابوا:

- مرحبا بك أيها الفتى، ما الذى أتى بك إلى هنا؟

- لقد فكرت فى الزواج، وأريد إلقاء النظر على الفتيات لديكم.

- حسنا، سوف نريك الفتيات فاختر منهن من تروق لك.

وقاموا بعرض جميع فتيات القرية عليه، حتى أشار إلـى تلـك التـى أراد الزواج منها. وقبلت الفتاة على الفور أن تصبح زوجة للفتى. وقال والدا الفتاة:

- إذاء لا بد أن والديك سوف يأتيان إلينا ومعهما مهر العروس.

رد الفتى قائلا:

- لا إن المهر معى، ها هو يمكنكم أخذه.

- إذا سوف يأتون فى وقت لاحق كى يزفوا زوجتك إليك؟

اعترض الفتى فى عجالة قائلا:

- لا، لا إنى أخشى أن يثقلوا عليكم بمطالبهم الصارمة التى يمكن أن تكدر صفو ابنتكم. فاسمحوا لى باصطحابها بنفسى الآن.

وافق والدا الفتاة وانتحيا بابنتهما جانبا، حتى يذكراها مرة أخرى بالمسلك الذى عليها اتباعه فى منزل الزوج.

- عليك رعاية زوجك بإخلاص وإبداء المشاعر الطيبة نحو أهله.

ثم عرض الوالدان على الزوج والعروس ابنتهما الصغرى، كى تقوم بمساعدتهما فى البيت. لكن العروس لم ترغب فى اصطحاب أختها الصغيرة. حينئذ قاما باختيار عشرين من أكثر الفتيات مهارة ونشاطا، وعرضاهن على العروس النزقة كى تختار منهن واحدة. لكن جميع الفتيات لم يرقن لها.

- إننى لا أريد واحدة من أولئك الفتيات. أعطونى بدلا منهن الجاموس العجيب، وليقم هو على خدمتى.

صاح الناس فى دهشة قائلين:

- كيف يمكنك المطالبة به؟ ألا تعرفين أن حياتنا تعتمد عليه؟ فهو يرعانا على نحو جيد للغاية. وكيف يمكنك تدبر أمره فى الأرجاء المجهولة؟ إنه سوف يموت هناك جوعا، ونحن أيضا سوف نموت معه.

لكن الفتاة تشبثت بطلبها مما اضطر الناس للاستسلام لمطلبها.

وقبل أن تغادر الفتاة قريتها الأم، أخذت معها إصيصًا به أعشاب سحرية، وسكينًا مشحوذًا للحجامة وقطعة من الدهن.

وبعد ذلك انطلقت مع زوجها. وسار الجاموس العجيب بالقرب منهما. ولكن الفتاة هى فقط التى كانت تراه، أما بالنسبة لبقية الناس- بما فيهم زوجها الشاب - فلم يكن مرئيا لهم، حتى إن الفتى لم يشك بأن الجاموس العجيب قد صار فى خدمة زوجته منذ الآن.



وعندما وصلا إلى قرية الفتى أخيراً، استقبلهم الناس بالفرحة وهم يهتفون: "هويو، هويو؟"، أما العجائز فقالوا للفتى:

لقد نجحت فى العثور على زوجة لك أخيراً. فأنت لم ترغب فى أخذ زوجة لك من تلك الفتيات اللاتى عرضناهن عليك. على أيه حال فهذا ليس بالأمر الهام. وليبق الحال على ما هو عليه. وقد فعلت ما رغبت فيه، ولو جرى شىء ما فلن يلقى أحد بالذنب عليك.

بعد ذلك اصطحب الفتى عروسه إلى الحقل مشيرا لها إلى الأرض التى يملكها، وإلى أرض أمه. وتذكرت الفتاة جيدا كل شىء، وعندما عادا ثانية إلى القرية قالت للفتى فجأة:

- لقد فقدت خرزى فى الحقل، ولا بد أن أعود للبحث عنه.

فى واقع الأمر أرادت الفتاه الحديث مع الجاموس، وقالت له:

- هنا ينتهى الحقل، فابق به، ويمكنك الاختباء هناك حيث تقع الغابة.

رد الجاموس:

- إنك محقة.

وهكذا، ومنذ ذلك الحين أصبح الجاموس يقوم بكل الأعمال المطلوبه بدلًا من الفتاة. فعندما كانت تحتاج إلى الماء، كانت تذهب ببساطة إلى الحقل، وتضع أمـــام الجاموس جرة كبيرة. فيركض الجاموس مسرعًا نحـــو البحيـــرة ليجمـــع المـــاء ويحضره إلى سيدته. وعندما كانت الفتاة تحتاج إلى الحطب والأخـــشاب ينطلـــق الجاموس إلى الغابة، ويحطم بقرونه أغصان الأشجار، ويحـــضر منهـــا الكميـــة المطلوبة.

كانت الدهشة تتملك سكان القرية لكل هذا الأمر. فيصيحون:

- يا لها من فتاة قوية، ما إن تذهب لجلب الماء حتى تعود بـــه، وقبـــل أن تطرف أعيننا تأتى حاملة الحطب والأخشاب!

آه لو أنهم عرفوا بأن الجاموس هو الذى يساعدها!

لم تطعم الفتاة الجاموس قط، فقد كان لديها قصعة واحده تأكل منهـــا هـــى وزوجها. أما بالبيت فى قريتها الأم فكان للجاموس قصعته الخاصه به التى يأكـــل منها حتى يشبع. وها هو هنا أصبح يعانى الجوع دائماً. وظل الجاموس يذهب عن طيب خاطر لجلب الحطب والماء للفتاة. ولكن يومًا بعد الآخـــر أصـــبح الجـــوع يعتصره أكثر فأكثر.

وذات مرة أشارت الفتاة للجاموس إلى مساحة كبيرة من الغابة كـــان عليـــه تنظيفها. فقام الجاموس بتنظيف تلك المساحة خلال ليلة واحدة. وعندما شاهد الناس هذا الأمر تملكتهم دهشة كبيرة، وازداد إعجابهم بالفتاة.

- يا لها من فتاة مدهشة تعمل بسرعة ومهارة؟

ولكن ذات يوم في المساء قال الجاموس للفتاة:

- أنتِ لا تطعمينني على الإطلاق، وقد أصابني الوهن والجوع، ولن يمكنني العمل الآن.

- وما الذى يمكنني فعله؟ فليس لدينا في البيت سوى قصعة واحدة. يبدو أن الناس في قريتي كانوا على حق، وعليك أن تقوم بسرقة طعامك لنفسك. فاذهب إلى الحقل وكُل من الفول الموجود هناك. ولكن عليك ألا تــدمر محصول الفول كله، بل خذ قليلاً من كل قسم في الحقل، كــي لا يتنبــه الناس لما تأخذه.

وعندما هبط الليل خرج الجاموس إلى الحقل والجوع يعتصره، فانقض على الفول يلتهم منه. ومضى ينتقل من قسم إلى آخر في الحقل، ويركض مــن مكــان لآخر. وأخيرًا امتلأ جوفه حتى شبع وعاد إلى مخبئه.

وفي صباح اليوم التالي جاءت النسوة إلى الحقل كالعادة. فما الــذى جــرى لمحصولهم؟ لم تصدق النساء أعينهن، فهتفن:

- لم نر مثل هذا الشيء من قبل. أى وحش هذا الذى التهم محصولنا؟ هــا هي آثاره هنا. يا للمصيبة التي حلت بنا؟

ركضت النساء عائدات إلى القرية حيث حكوا عما رأينه.

وفي المساء قالت الفتاة للجاموس:

- لا بد أن الناس قد أصابهم بعض الهلع بالطبع. لكنهم لــم يموتــوا مــن الخوف، فاذهب اليوم مرة أخرى لتناول طعامك في الحقل.

وفي الليل ذهب الجاموس ثانية يلتهم محصول الفول.

فى الصباح شاهدت النسوة الحقول الجرداء. فعدن إلى القرية وهن فى دهشة من أمرهن. وحكين لأزواجهن عن كل شيء. وتقرر وضع حراسة بالأسلحة فى أثناء الليل.

كان زوج الفتاه الصغيرة راميًا بارعًا . فاختبأ بين أشجار حقله ومكث ينتظر.

فى ذلك الوقت أدرك الجاموس أن أحدًا ما سوف يتربص به فى هذه الليلة فى الحقل الذى التهم محصوله بالمرة السابقة. لهذا قرر الذهاب إلى الحقل الذى كان به فى المرة الأولى- حقل سيدته. وهنا رآه الفتى، فصرخ هاتفاً:

- إذًا ها هو ذا الذى يأكل محصولنا. أليس هذا هو الجاموس بعينه؟ إنى لم أر مثله من قبل فى أراضينا هذه. فهذا ليس وحشا عاديا على الإطلاق!

أطلق الفتى النار. فاخترقت الرصاصة صدغ الجاموس بالقرب من أذنه، وخرجت من الجانب الآخر. وترنح الجاموس العجيب وسقط على الأرض ميتاً. وهتف الفتى فى حماس:

- يا لها من إصابة رائعة!

وركض نحو القرية حيث حكى عن كل شيء.

عندما سمعت الزوجة الصغيرة عن قتل الجاموس صرخت تولول من هول المصيبة. لكنها سرعان ما تذكرت أن عليها إخفاء السبب الحقيقى لدموعها. فقالت لنفسها "هدئى من روعك". ثم تظاهرت بأنها تصرخ من الألم.

- آه، إن معدتى تؤلمنى، آه يا معدتى!

أعطوا الفتاة عقارًا لتخفيف الألم، لكنها لم تشربه وسكبته خلسة فوق الأرض.

وسرعان ما خرج جميع سكان القرية- الرجال حاملين السكاكين، والنساء حاملات السلاسل- نحو الحقل لتقسيم لحم الجاموس فيما بينهم. وظلت المرأة

الصغيرة فى القرية بمفردها. ولكنها سرعان ما ذهبت هى الأخرى إلى الحقل وهى تمسك بطنها بيديها وتصرخ من الألم. فقال لها زوجها:

- لماذا أتيت هنا؟ كان عليك البقاء بالبيت ما دمت مريضة.

- ليست لدى رغبة بالبقاء فى القرية بمفردى.

كذلك قالت الحكيمة العجوز للعروس:

- ألا تدركين ما تفعلينه؟ إنك تقتلين نفسك بما تفعلينه.

وعندما ملأت النساء السلال باللحم قالت المرأة الصغيرة:

- أنا سوف أحمل الرأس.

- لكنكِ مريضة! وهذه الرأس ثقيلة للغاية عليكِ.

- لا، يمكننى حملها.

وقامت بإلقاء السلة فوق كتفيها وسارت بها نحو القرية. وعندما وصلت إلى البيت بحملها لم تدلف إلى الداخل، بل اتجهت نحو الفناء الذى احتفظت فيه بوعـــاء لإعداد الطعام. وكان الزوج قد مضى خلفها وهو فى دهشة من أمره كى يصحبها إلى البيت. وأخذ يحاول إقناعها:

- من الأفضل لكِ أن تظلى بالبيت.

لكن المرأة ردت فى عناد:

- لا تزعجنى واتركنى فى حالى.

عندئذ جاءت إليها الحكيمة العجوز، ومضت تحدثها بلطف ورقة. لكن المرأة هتفت فى غضب:

- ألا يمكنكم تركى لحالى ولو قليلًا ؟

وأحضروا لها طعامًا لتأكله، لكنها أزاحت القصعة جانبًا .

هبط الليل بعد ذلك، وذهب زوج المرأه الصغيرة لأخذ قسط من الراحة. لكنه لم ينم، بل ظل يتصنت لكل صوت يصدر. وما إن وجدت المرأة نفسها بمفردها حتى أشعلت نارًا ، ووضعت فوقها الماء يغلى، وألقت فى الوعاء الصغير بحزمة من جذور الأعشاب السحرية التى حملتها معها من بيتها الأصلى. بعد ذلك حملت رأس الجاموس وقامت بشق صغير فى الصدغ بالسكين فى نفس المكان الذى اخترقته الرصاصة. ثم وضعت الفتاة قرن الحجامة فى الجرح، ومضت تسحب الدم بكل قوتها. فى البداية خرج من الجرح تيار من الدم المتجلط، ثم أصبح الدم السائل يتدفق. حينئذ وضعت الفتاة الجرح فوق البخار المتصاعد من الوعاء، وبعد ذلك دهنته من الدهن الذى كان يغطى قطعة من اللحم أحضرتها معها. ثم مضت تردد أغنية:

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

قالوا لى إنك تهيم على وجهك مصدرا دبيب،

تظل تهيم ليلًا حتى تتعثر فى أرض الغريب،

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

يا لك من فرخ جميل مدهش صغير،

ترعرع بين أطلال والريح تطلق الصفير،

ومات قبل أوانه،

ونخره الدود فى مكانه.

كنت تقتلع الأزهار والثمار فى الدرب القريب،

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

انتهت الفتاة من أغنيتها. وها هى رأس الجاموس وقد شفيت من جروحها ونمت كل أجزاء جسمه مرة أخرى. بُعث الجاموس إلى الحياة، فحرك أذنيه وقرنيه، ونهض واقفاً على قوائمه.

فى ذلك الوقت كان زوج المرأة جالسا فى البيت يفكر فى نفسه: "يا ترى، لماذا لم تهدأ زوجتى حتى الآن وما زالت تواصل البكاء والنحيب؟ لا بد لى من الذهاب لمعرفة الأمر". ثم نهض خارجًا من البيت، ونظر إلى الفناء حيث لمح زوجته.

ما إن رأت المرأة زوجها حتى ثارت صارخة:

- اتركنى بمفردى!

ولكن، ويا للعجب! كانت رأس الجاموس المدهش راقدة على الأرض بلا حراك مرة أخرى!

عاد زوج المرأة إلى البيت. وهو لم ير شيئًا ولم يدرك شيئًا . وقامت زوجته ثانية بإعداد الأعشاب وشق فتحة فى الصدغ، ووضع القرن فى الجرح لإخراج الدم منه. وبعد ذلك وضعت الجرح فوق البخار المتصاعد وهى تغنى:

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

قالوا لى أنك تهيم على وجهك مصدرا دبيب،

تظل تهيم ليلًا حتى تتعثر فى أرض الغريب،

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

يا لك من فرخ جميل مدهش صغير،

ترعرع بين أطلال والريح تطلق الصفير،

ومات قبل أوانه،

ونخره الدود فى مكانه.

كنت تقتلع الأزهار والثمار فى الدرب القريب،

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

بُعث الجاموس إلى الحياة مرة أخرى بعد أن نما جسمه ثانية. فحرك يديه وقرنيه، ولكن زوج المرأة دخل إلى الفناء مرة أخرى. وكان فى ثورة عارمة من الغضب، فقرر البقاء مع زوجته كى يعرف ما حل بها.

عندئذ حملت المرأة الفحم المشتعل والإناء والأعشاب وجميع الأغراض الأخرى، وخرجت من الفناء، ومضت تغلى الأعشاب فوق النار لتبعث الجاموس إلى الحياة للمرة الثالثة.

كانت خيوط الصباح قد امتدت إلى الأرض عندما بُعث الجاموس العجيب إلى الحياة للمرة الثالثة. وهنا جاءت الحكيمة العجوز إلى المرأة، فرقدت رأس الجاموس ميتة فوق الأرض بلا حراك مرة أخرى.

•

صاحت المرأة الصغيرة فى النهاية:

– أريد السباحة فى مياه البحيرة بشرط أن أكون بمفردى.

– لكنك مريضة! فكيف يمكنك الذهاب إلى هناك بمفردك؟

غير أنها أصرت على الذهاب بمفردها. وقطعت بعض الطريق إلى البحيرة، ثم عادت إلى القرية وقالت:

– لقد قابلت فى الطريق أحدًا من قريتى الأم. وقد أخبرنى بأن أمى مريضة للغاية. وطلبت منه المجىء إلى هنا، لكنه رفض قائلًا : "لو جئت معك فسوف يقومون باستضافتى وتأخيرى". وعاد مباشرة إلى قريته بعد ما أخبرنى بأن على الإسراع كى أدرك والدتى وهى على قيد الحياة. لهذا فإنى راحلة، وداعاً.

بالطبع كان كل هذا الأمر خداعًا . وقد أرادت الفتاة أن تحكى لأبناء قريتها عن موت الجاموس العجيب.

حملت المرأة السلة وبها رأس الجاموس، وخرجت من القرية. وسارت فى طريقها تغنى أغنية حول الجاموس العجيب. وأينما سارت كان الناس يتبعونهـا عنـد سـماعهم لأغنيتها. وهكذا، وصلوا إلى قرية الفتاة، حيث حكت لهم هناك عن مصرع الجاموس.

أذيع الخبر بين الناس فى شتى أرجاء البلاد حتى يجتمـع جميـع سـكانها. ومضوا جميعًا يعاتبون ويسبون المرأه:

- أترين ما الذى فعلته! ألم نحذرك من قبل؟ لقد رفضت كل الفتيات اللاتـى جئنا بهن إليك لتختارى منهن من تقوم على خدمتك، ولكنك أصررتِ أن تأخذى الجاموس المدهش دون غيره. والآن قتلته وقتلتنا نحن أيضًا معه.

ظهر زوج المرأة فى غمرة الشجار والغضب الثائرين فى القرية. فوضـع سلاحه جانبًا وجلس بالقرب منها. وهتف الناس به قائلين:

- مرحبًا بك أيها القاتل، لقد قتلتنا جميعًا .

لم يدرك الفتى شيئًا ، ولم يفهم سبب تسميته بالقاتل. فقال لهم:

- إنى لم أقتل أحدًا عدا الجاموس.

- نعم، لقد قتلت الجاموس، جاموسنا العجيب الذى كان خادمًا لزوجتـك. وكان يجلب لها الماء، ويقطع لها الحطب، ويعمل فى الحقل بدلًا منها.

هتف الفتى وقد أصابه الذهول:

- لماذا لم تخبرينى حول هذا الأمر؟ لو أنك فعلتِ لما قتلته.

- إن ما جرى قد جرى، ولا يمكننا إصلاح هذا الأمر الآن. لقد كانت حياتنا جميعًا تعتمد عليه.

وهنا بدأت زوجة الفتى فى ترديد أغنيتها:

آه يا والدى، أيها الجاموس العجيب!

وبهذه الكلمات قامت بقطع رقبتها.

عندئذ التقط والداها الأغنية يكملانها:

قالوا لى أنك تهيم على وجهك مصدرا دبيب،

وقاما بقطع رقبتهما هما الآخران.

ثم بدأ أخوتها وأخواتها فى الغناء:

تظل تهيم ليلًا حتى تتعثر فى أرض الغريب،

ووقعوا على الأرض مقطوعى الرقاب.

وهكذا، قام جميع الناس بقطع رقابهم، بما فيهم الأطفال الصغار الذين كانوا يحملونهم على ظهورهم بعد ما صرحوا قائلين:

- لماذا علينا أن نتركهم أحياء؟

عاد الفتى إلى بيته، وحكى لناسه عن قتله للجاموس، وتسببه فى قتل جميع الناس فى قرية زوجته. وقال له والداه:

- أرايت؟ ألم نحذرك أن التعاسة يمكن أن تلحق بك؟ فعندما عرضنا عليك فتاة مناسبة لم تقبل باختيارنا، وفضلت أن تعثر بنفسك على زوجه لك. مَن الآن يمكنه أن يعيد لك مهر الزوجة بعد ما أصبح جميع أهلها من الموتى؟ والآن، أدار لك الحظ وجهه.

٣٤- حكاية المرأة التي تحولت إلى الأسد:

ذات مرة خرج إلى السافانا جونتنوت وزوجته بوشين ومعها طفلها تحمله على ظهرها. كانوا قد قطعوا طريقًا طويلًا عندما ظهر فجأة قطيع من الأفراس البرية.

قال الرجل للمرأة:

- إني أعرف أن بوسعك التحول إلى أسد، فتحولي الآن لتصيدي لنا أحد الأفراس، وذلك حتى يمكننا تناول الطعام، حيث إنني أشعر بالجوع الشديد.

اعترضت المرأة قائلة:

- لكنك سوف تصاب بالذعر لو أنني تحولت.

- لا، لا، إني سوف أصاب بالذعر أكثر لو مت من الجوع، ولن أخاف منك.

وبينما الرجل يتحدث أخذت تنمو لبدة من الوبر حول رقبة المرأة، وتحولت قدماها إلى قوائم، وأخذ وجهها يتبدل متحولا إلى وجه الأسد.



انتفض الرجل مفزوعًا وقفز يتسلق إحدى الأشجار. أما المرأة فوضعت طفلها على الأرض، وحدقت بنظرها نحو الرجل، ثم ابتعدت جانبًا. وقامت بنزع

تنورتها الجلدية وهى تسير بين أعشاب السافانا كالأسد الحقيقى. وسرعان ما تسلل الأسد من بين الأحراش، وانقض يهاجم القطيع حتى أمسك بأحد الأفـراس. وقـع الفرس ومضى الأسد يشرب من دمه بنهم. فى ذلك الوقت صرخ الطفـل يبكـى، فاستدار الأسد عائدًا نحوهم، عندئذ صرخ الرجل من فوق الشجرة:

- أرجوكى لا تقتربى مني، وهيا أسرعى بخلع جلد الأسد، ولن أطلب منك التحول إلى أسد مجددًا.

نظر الأسد إلى الرجل وزأر عاليًا. فقال الرجل:

- إن لم تعودِى إلى هيئتك السابقة كامراة، فلن أهبط من فوق الشجرة حتى أموت من الجوع.

حينئذ بدأت لبدة الأسد وذيله فى الاختفاء تدريجيًا، ثم ركـض الأسـد إلـى الأحراش حيث خلع تنورته الجلدية. وهناك قام بارتدائها ثانية، وعاد إلـى هيئتـه كامرأة عادية. وقامت بحمل طفلها. فهبط الرجل من فوق الشجرة. وجلسا يتناولان اللحم معًا.

ومنذ ذلك الحين لم يطلب الرجل من زوجته ثانية أن تتحول إلى أسد كـى تصيد له.

٣٥- كيف جاءت الأفيال إلى الناس؟

عندما اشتدت الحاجة بالإنسان ذهب إلى الرب يسأله العون فى تدبر أمره:

- من أين لى الحصول على الماشية؟

- اذهب إلى الإنسان الذى يدعى إيفونيا نجيا، وسوف يخبرك بما عليك فعله.

مضى الإنسان يسير لثلاثة أعوام كاملة، حتى وصل إلى البلاد التى يعيش بها إيفونيا نجيا. وسأل أول صبى صادفه فى الطريق:

- أرنى المكان الذى يعيش به إيفونيا نجيا.

- هناك فى تلك القرية الواقعة على الجانب الآخر من الوادى.

ذهب الإنسان إلى القرية التى أشار إليها الصبى. فقال الناس له:

- تفضل ونم هنا، وفى الغد أخبرنا عما تريده.

فى الصباح التالى قال الإنسان محدثًا إيفونيا نجيا:

- إننى فقير، وأريدك أن تخبرنى كيف أصبح ثريًا.

قال إيفونيا نجيا لشعبه:

- أعدوا خمسمائة رأس من الماشية، وأربعمائة من الجديان، وستمائة من الأغنام، والكثير من الناس.

قام الناس بتلبية أوامره، لكن الفقير رفض كل شىء. فسأله إيفونيا نجيا:

- إذًا، ما الذى تريده؟

- أنت تعرف ما أريده. ولا يوجد مبرر لأخبرك به.

حينئذ أعطاه إيفونيا نجيا حزمة من الأعشاب وقال له:

- عليك أن تسحق هذه الأعشاب، ثم تمسح بها الأسنان العلوية لزوجتك.

- وما الذى يحدث عندما أقوم بهذا الأمر؟

- سوف تبدأ الأسنان فى النمو. وعندما تنمو على نحو كاف قم بخلعها واستبدالها بالماشية. بعد ذلك، سوف تنمو أسنان أخرى. وعند نموها على نحو كاف كرر ما فعلته. وهكذا، سوف تصبح إنسانًا ثريًا للغاية.

عاد الفقير إلى بيته حاملًا الأعشاب معه. وقام بتجفيفها وطحنها ومسح أسنان زوجته بها. وبعد مرور عامين نمت الأسنان كثيرًا، فقام بخلعها واستبدالها بستمئة رأس من الماشية. ومنذ ذلك الحين وهو يقوم بإنماء أسنان زوجته، حتى أصبح رجلًا غنيًا.

جاء إليه جاره الفقير وسأله قائلاً:

- من أين لك بكل هذه الماشية؟

- لقد منحونى هذه الوسيلة. أعطانى إيفونيا نجيا هذه الأعشاب.

- فلتقتسمها معى إذًا!

- اذهب بنفسك إلى إيفونيا نجيا.

مضى الجار فى نفس الدرب. وبعد مرور ثلاثة أعوام وصل إلى إيفونيا نجيا فسأله:

- أعطنى مثل تلك الأعشاب التى أعطيتها لجارى!

- خذها وامسح بها الأسنان العلوية لزوجتك!

لكن ذلك الرجل لم يسأل إيفونيا نجيا عما يفعله بعد ذلك. وصل إلى البيت وأعد المسحوق ومسح به سِنتين من أسنان زوجته. بعد مرور عامين بدأت الأسنان

فى النمو حتى أصبحت طويلة للغاية. وفى العام الثالث تأرجح منزل ذلك الرجـل. وذات مرة فى الصباح رفعت المرأة البيت فوقها، وذهبت إلى الأدغال حيث ألقـت به هناك. كانت حاملاً، وأنجبت فى الغابة طفلاً، وأصبح الطفل فيلاً.

وتكاثرت الأفيال فى الغابة، والآن أصبح النـاس يقومـون بـصيدها كـى يحصلوا على العاج.

وهكذا، ظهرت الأفيال بهذه الطريقة.

٣٦ـ أصل القردة:

فى البداية كان أصل القردة من البشر.



كان الناس يصطادون الكثير من الأسماك ويأكلونها. وذات مرة قال لهم الرجل الذى أرسله الرب إليه:

- يمكنكم اصطياد الكثير من الأسماك، ولكن لا تصيدوها يوم الجمعة حتى يمكنها أن تتغذى ولو قليلا. يمكنكم صيد الأسماك وتناولها كل يوم عدا أيام الجمعة.

وقال الناس:

- حسنا.

وعندما حل يوم الجمعة خرجت إحدى النساء إلى النهر لجلب الماء. ورأت فى النهر الكثير من الأسماك. وبعد أن جمعت الماء عادت إلى البيت وقالت للرجال:

- أنتم تجلسون بالبيت وتنامون والأسماك وفيرة فى النهر! فلتذهبوا وتصطادوا الأسماك حتى يمكننا أكلها.

رد الرجال:

- لقد أخبرنا الإنسان الذى أتى من عند الرب بألا نصيد الأسماك اليوم الجمعة.

عندئذ قالت النساء:

- إن لم تصيدوا الأسماك فلن نبادلكم الحب.

قال الرجال:

- بما أن النساء لن يبادلننا الحب لو لم نصد الأسماك، فسوف نذهب ونصيد منها.

خرج الرجال إلى النهر، وقاموا بصيد الأسماك وأحضروها للبيت.

حينئذ وصل مبعوث الرب ثانية إليهم وقال:

- ألم تسمعوا ما قلته لكم من قبل؟

رد الرجال:

- لقد سمعنا كلماتك، لكن نساءنا لم تسمعها.

عندئذ قال لهم مبعوث الرب:

- بسبب عدم تلبيتكم لما قلته، سوف تتحولون إلى قردة وتعيشون حياتكم فى الغابة.

وما إن أتم عبارته حتى تحول أولئك الناس إلى قردة، وظهرت الذيول لديهم، وبدءوا يسيرون على الأرض بأقدامهم وأياديهم.

إن ما حكيته لكم هو ما سمعته. حقيقة كان أم كذبا فهذا ما لم أعرفه.

٣٧ـ كيف أصبح الرجال والنساء يعيشون معا؟

ذات مرة قتل الأسد ظبيا. وفى ذلك الوقت كان يسير بالقرب أربعة من الناس: اثنان من الفتية، وامرأة صغيرة وخادمتها. كانت المرأة الشابة تحمل طفلا صغيرا فوق ظهرها. واقتربوا من نفس المكان الذى قتل فيه الأسد الظبى، ولمح أحد الفتية الأسد راقدا فوق فريسته. فخاف الأسد منه واختبأ بين الأحراش. وذهب الرفاق إلى الظبى، وقام الفتية بتقطيع الجثة وحملوها معهم. وعند حلول المساء وصلوا إلى كوخ الصيد. فقامت النساء بسلق الطعام وأكل الجميع، ثم رقدوا للنوم.

أما الأسد الذى اصطاد الظبى فقد كانت يتبع الرفاق طوال الوقت، لكنه احتفظ بمسافة عنهم لم تسمح لهم برؤيته. وتربص الأسد بين الأحراش بالقرب من الكوخ. وعندما ساد الظلام وراح الأربعة فى النوم، خرج الأسد من بين الأحراش وهجم على الكوخ ليختطف المرأة وطفلها. وقد قام بهجومه هذا فى هدوء وحذر، حتى إن المرأة الصغيرة ورفاقها لم يستيقظوا ولم يروا ما جرى. وخرج الأسد من الكوخ مع المرأة والطفل، وفر هاربا بهم. كان يتمتع بقدرة مذهلة، لذلك لم تستيقظ المرأة ولا طفلها.

قام الأسد بحملهم بعيدا بعيدا. وأحضرهم فوق ظهره إلى القرية التى كان يعيش بها الرجال فقط، والذين لم يروا فى حياتهم امرأة واحدة من قبل. وضع الأسد المرأة بين الرجال. لكنها ظلت مستغرقة فى النوم مع طفلها.

فى الصباح التالى استيقظ الرجال فرءوا المرأة الصغيرة وهى راقدة بينهم وطفلها على ظهرها.

مضوا يتفحصون المرأة الصغيرة وقالوا:

- إنها لا تشبهنا.

رأى الرجال الطفل الصغير المربوط على ظهر أمه، فقاموا بحل رباطه وأخذوا يتفحصونه من جميع الجوانب.

- وهذا الصغير أيضا لا يشبهنا، بل إنه مخلوق مثل أمه تماما.

وهنا استيقظت المرأة الشابة. وقالت لهم:

- أنا امرأة، وأنتم رجال. وعندما يتزوج الرجال من النساء فإنهم ينجبون مثل هذا الصغير.

هتف الرجال جميعا قائلين فى صوت واحد:

- إننا نريد الزواج منك.

فاعترضت المرأة قائلة:

- إن المرأة يمكنها الزواج من رجل واحد فقط. لهذا، فى صباح الغد سوف أختار واحدا منكم كى أتزوجه.

- حسنا، اختارى زوجا لك غدا، أما اليوم فيمكنك البقاء لدينا.

قضت المرأة الشابة كل اليوم عند الرجال، وتفحصتهم جميعا بنظرها.

فى الصباح جاء الرجال إليها ومعهم بقرتان وثور واحد. اعترت الدهشة المرأة وقالت:

- ما معنى هذا؟

- إننا نمنحهم هدية لك، بما إنك تريدين الزواج من أحد منا.

طلبت المرأة:

- امنحونى ثيابا قبل كل شيء. وسوف أقضى معكم ثلاثة أيام، وبعدها أختار زوجا لى.

منحها الرجال ثيابا.

وفى اليوم الثالث قالت المرأة الشابة للرجال:

- اجتمعوا جميعا معا، وابدءوا فى رمى الرماح نحوى، ومن فيكم ينجح فى إصابتى برمحه سوف أتخذه زوجا لى.

تفرق الرجال، ثم عاد كل منهم حاملا رمحه. وبعد ذلك أخذوا فى إطلاق الرماح نحو المرأة، لكن جميع الرماح لم تصب المرأة، وذلك بفضل القدرة السحرية التى كانت تتمتع بها. ومضى الرجال واحدا بعد الآخر يطلقون الرماح، غير أن أحدا منهم لم يستطع النيل منها. ثم أتى الدور على الرجل الذى اختاره قلب المرأة سرا لتتخذه زوجا لها، والذى منحته قدرتها السحرية. لذلك، عندما قام الرجل- الذى اختارته المرأة - بإطلاق رمحه، أصابها الرمح بقوة حتى إنها وقعت على الأرض. نهضت المرأة الشابة واقفة وقالت:

- أريد الزواج منه!

وما إن أتمت عبارتها حتى كسا الريش كل جسم الرجل الذى اختارته، وخلال فترة قصيرة أصبح مثل الطائر بعد أن غطاه الريش تماما. فحمل الرجل المرأة وطفلها فوق يديه وهتف يردد:

- وداعا، سوف أرحل معها!

وطار محلقا فى الهواء مع المرأة والطفل حتى اختفى.



طار بعيدا بعيدا، وظل يحلق ويحلق حتى وصل إلى المكان الذى عاشت به النساء فقط، واللاتى لم تكن قد رأين فى حياتهن رجلا من قبل. وعندما هبط على الأرض حاملا المرأة الشابة والطفل اختفى الريش من فوق جسمه، وعادت هيئته إلى سابقها.

ركضت جميع النساء نحوه وأخذن تتساءلن:

- إن هيئة هذا الإنسان لا تشبه هيئتنا. فمن أنت أيها الإنسان؟

فرد الرجل:

- أنا رجل، وعندما تتزوجن أنتن أيتها النساء من الرجل، فسوف تنجبن الأطفال!

سألت قائلات:

- وهل كل رجل عليه الزواج من امرأة واحدة؟

رد قائلا:

- إن المرأة يمكنها أن تصبح ملكا لرجل واحد، لكن الرجال يمكنهم الزواج بأى عدد يريدون من النساء.

حينئذ صرخت النساء قائلات:

- ابق لدينا، وكن ملكا علينا!

رد الرجل:

- حسنا، إنى أريد أن أصبح ملكا عليكم.

وأصبح الرجل ملكا، وظل يعيش فى أرض النساء، وأصبحت المرأة الشابة التى حملها معه هى أول زوجة له.

٣٨ـ كيف حصل موارى[١] على الثور؟

وصل موارى إلى كوخ رجل يدعى كخارى وقال له:

– أعطنى غطاءً يا كخارى لأننى لا أملك ما أتدثر به.

لم يكن كخارى راضيا عن مجىء موارى إلى كوخه مباشرة وتقديم طلبه بهذه الطريقة. فأخبره أن يخرج إلى الفناء ويطلب منه على نحو يسمعه الجميع. لكن موارى رفض، فأمره كخارى بالخروج من كوخه. فلم يخرج موارى، وعندئذ خرج كخارى بنفسه ونادى على الصبى قائلا له:

– خذ نارا واشعل بها هذا الكوخ، ولنر إن كان موارى سوف يظل هناك بعد ذلك.

وعندما أشعلوا النار فى الكوخ تردد صوت موارى من أعلى شجرة مجاورة يقول:

– كخارى! إنك لم تنجح إلا فى حرمان نفسك من الكوخ.

حينئذ أمر كخارى بقطع الشجرة. وعندما نفذوا أمره تردد صوت موارى من فوق سطح كوخ آخر:

– كخارى، لماذا قتلت شجرتك؟

حينئذ انطلق كخارى إلى المرعى. وعندما كان الصبى الراعى يسوق القطيع تحول موارى إلى ثور. وجنح الثور مبتعدا عن الراعى، وقام الصبى بضربه. فالتفت الثور قائلا:

– لماذا تضربنى؟ لو كان والدك هنا لما فعل ذلك.

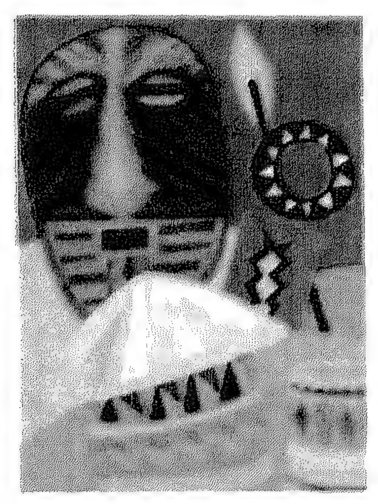
---

(١) تقدم لنا الحكاية هنا موارى على أنه بهلوان سحرى مشاكس.

خاف الصبى وركض إلى الحظيرة، وقال لكخارى إن الثور تحـدث معـه. فأرسل كخارى أربعة فتيان لمعرفة الأمر. وقام أحدهم بضرب الثور الذى هتف:

- آه، آه، كم من الناس أحضرت لضربى. لو كان والدك هنـا لمـا فعـل ما تفعله.

أخبروا كخارى بهذا الأمر، فأمر بقتل الثور وأكله.



قاموا بقتل الثور. وقام أحد الفتية بسلخ جلده وتعليقه، وقام الآخـر بتقطيـع لحمه. ولكن تبين أن اللحم لا يشوى، والجلد لا يجف. وبينما كانوا ينظرون بذهول إلى هذا الأمر ارتفع كل من اللحم والعظام والجلد فى الهواء، ونظر الفتيـة إلـيهم وهم يحلقون أعلى فأعلى فى السماء. ثم سمعوا ضحكات موارى وهو يقول:

- لقد أخذت أكثر بكثير من الغطاء الذى كنت أريده.

عاد الفتية وأخبروا كخارى بما جرى.

٣٩ـ حكايات حول نزامبى[1]:

١ – أصل بحيرة بوسى:

ذات مرة كانت النساء مشغولات بالبحث عن الماء فى الضواحى والأرجاء، وذلك لندرته الشديدة. وبينما كن يسرن وهن يحملن الأوانى المملوءة بالماء، مرت عجوز تحمل طفلا على ظهرها بالقرب منهن. وعندما ابتعدت عنهن قليلا أبطأت خطواتها وعادت مقتربة من النساء. وسألتهن:

– أعطونى قليلا من الماء من أجل طفلى .

فردت النساء:

– إننا نحتاج إلى الماء لأنفسنا، فلا يوجد ماء هنا. وقد جلبناه من مكان بعيد.

– سوف تندمن على هذا الأمر.

قالت العجوز عبارتها ومضت فى طريقها. وبعد أن ابتعدت قليلا شاهدت رجلا فوق النخلة. فسألته:

– ألا تمنحنى قليلا من شراب النخيل لصغيرى؟ فإنى أخشى أن يموت من شدة العطش.

---

(١) ١، ٢، نماذج حديثة حول أحد الموضوعات الحرافية، وهو واحدة من المآثر الهامة للبطل التقليدى – الحصول على الماء من "سيدة الماء"– "العجوز التى نغطيها القروح"، حيث يرتبط الماء بالعجوز ذات القروح، ولكن الماء ليس مكافأة للبطل على تنفيذه الشروط المطلوبة، بل هى عقاب للناس الذين لم يلتزموا بتلك الشروط، حيث إن الشروط الحتمية ذاتها بالنسبة للبطل والمعاناة تتحول إلى معاناة للبشر الأخيار، مكتسبة فى ذلك طابع "أخلاقى". وتبدو كنموذج حديث للحكاية الأسطورية حول منشأ المياه والمحرمات، بالإضافة إلى أن الماء – الذى تمنحه العجوز "سيدة الماء" – هو مياه بحيرة محددة بعينها.

رد قائلا:

- لا أمانع فى إعطائك.

هبط الرجل من فوق النخلة، ووضع إناء الشراب عند قدمى العجوز.

ردت المرأة:

- لا يوجد لدى قدح آخذ به.

- لا تهتمى بهذا الأمر، فأنا لا أحتاج إلى هذا الإناء، يمكنك كسره لتسقى الطفل.

شكرت المرأة الرجل ومضت فى طريقها وهى تودعه قائلة:

- تعالى يا ولدى إلى هذا المكان فى الغد، وفى نفس هذا الوقت.

دُهش الرجل لما قالته العجوز وفكر فى نفسه: "ما الذى يعنيه هذا؟" لم يعرف سببا لما قالته العجوز. لكن كلماتها أثرت فيه كثيرا، حتى إنه لم يستطع النوم طوال الليل، وأدرك أن عليه أن يكون هناك فى الغد حيث أمرته المرأة.



ذهب في الصباح إلى النخلة التى قابل عندها العجوز فى الليلة السابقة. وفكر قائلا في نفسه: "أظن أن هذا ليس هو المكان، فقد كانت النساء تعملن هنا بالأمس، والآن أرى بحيرة كبيرة فى مكانهن". وعندما شاهدته العجوز قالت:

- لا تندهش يا ولدى. فقد أنزلت العقاب بالنساء لعدم رحمتهن. انظر، هناك الكثير من الأسماك فى هذه البحيرة، ويمكنك مع الرجال الآخرين الصيد منها كل يوم. ولكن عليكم تذكر أن النساء جميعهن محرم عليهن أكل أسماك هذه البحيرة، ومن تأكل منهن سوف تموت على الفور. فهذه البحيرة بأسماكها محرمة على النساء. وقد أصدرت أنا نزامبى هذا الأمر.

بعد ما قالت قولها هذا، أثنت نزامبى على الرجل وأمرته بالذهاب إلى قريته.

ويطلق على هذه البحيرة اسم بوسى، وهى تقع على بعد بضعة أميال من البحر خلف المكان الذى يسمى فوتيلا.

٢- أصل بحيرة سونانزينزى:

ذات مرة جاءت امرأة عجوز إلى مدينة سونانزينزى، وكانت قد قطعت طريقا طويلا حتى غطت الدماء قدميها، واكتسى جسمها بالقروح. وتوقفت المرأة عند كل بيت تسأل ملاذا لها، لكنهم جميعا رفضوا استضافتها قائلين إنها متسخة للغاية. وأخيرا وصلت إلى أبعد بيت هناك، فقام أصحابه الطيبون باستضافتها وإطعامها ووضعها فى الفراش. وعندما شعرت العجوز بتحسن حالها ذهبت إلى منقذيها:

- إن سكان مدينتكم الذين قابلونى بأسوأ ما يكون قد أصبحوا من الملعونين منذ هذه اللحظة، وسوف تقوم نزامبى بمحوهم من الوجود، أما أنتم فتستحقون أفضل المواقع. فهيا اجمعوا جميع أغراضكم، ولترحلوا معى من المدينة.

فى المساء، وبعد رحيلهم عن المكان، انهمر سيل غزير مدمر من السماء، فغرقت المدينة بجميع سكانها. وتحولت سونانزينزى إلى بحيرة ميتة هى وجميع التلال المحيطة بها.



والآن عندما يذهب سكان تاندا إلى مبويلو وينظرون لأسفل، تلوح لهم أطلال بيوت المدينة السابقة وهى ترقد على القاع. فيتذكرون من هذا الأمر تعاليم نزامبى ويتخذون منه عبرة : منح الدماء للمريض والبائس، وعدم طرده أبدا عندما يقف بالباب.

٣- لماذا لا يملك السرطان رأسا؟

ذات مرة كانت نزامبى تقضى وقت الراحة فى بيتها، وفى ذلك الوقت طلبوا حضورها إلى المجلس المنعقد فى القرية المجاورة. وعندما بدأ المجلس بالفعل سمعت نزامبى أصوات ضرب الطبل إدونجو الذى تملكه؛ وهو يتردد فى بيتها بمدينتها. ففكرت نزامبى فى نفسها: "ما الذى حدث يا ترى؟ من هذا الذى جرؤ على ضرب طبلى الكبير فى بيتى وخرق الهدوء؟" وأرسلت نزامبى الخنزير إلى القرية ليتقصى الأمر. وسرعان ما عاد الخنزير وقال:

- إنى لم أر أحدا. فالهدوء والسكينة يسودان القرية.

- يا للعجب! لقد سمعت بوضوح صوت ضرب الطبل.

استمر المجلس، لكن نزامبى سرعان ما سمعت صوت الطبل يتردد ثانية.

فى هذه المرة أرسلت الظبى إلى القرية قائلة له:

- انطلق لتعرف لى ضارب طبلى.

وسرعان ما عاد الظبى الذى لم ير أحدا ولم يسمع شيئا هو الآخر.

فى ذلك الوقت استمر المجلس، وعندما اقترب من نهايته سمعت نزامبى صوت الطبل للمرة الثالثة. فقررت نزامبى قائلة:

- هيا بنا نذهب جميعا إلى القرية، لنرى ذلك الذى جرؤ على إزعاجنا.

وصلوا إلى القرية، ولكن أحدا لم يكن هناك، فهتفت قائلة:

- هيا نختبئ بين العشب ونكمن منتظرين. فربما حينذاك يمكننا التعرف على من يزعجنا.

اختبأ الجميع بين العشب، وبعد مرور بعض الوقت شاهدوا السرطان يخرج من تحت الماء، ثم تسلل فى هدوء نحو الطبل وأخذ يضرب عليه، وبعد ذلك مضى السرطان فى الغناء:

لقد صعدت نزامبى قمة الجبل،

وتركتنى بمفردى أعانى الملل،

وحيدا تماما كثير العلل.



وهنا قفز الناس من بين العشب وأمسكوا بالسرطان، واقتادوه إلى نزامبى.

قالت نزامبى له بصرامة:

- لقد سلكت مسلكا مثل الإنسان الذى لا يملك رأسا. ولهذا، سوف تصبح بلا رأس منذ هذه اللحظة، كما إنك سوف تصبح طعاما للبشر يأكلونه.

أما الآخرون فيفسرون الأمر على هذا النحو:

منحت نزامبى السرطان جسدا وأقداما، ووعدته أن تمنحه رأسا فى اليوم التالى. عندئذ قام السرطان بدعوة جميع الأصدقاء كى ينظروا إلى الرأس التى سوف تمنحه له نزامبى.

وعندما اجتمع الجميع كان السرطان مزهوا بنفسه إلى درجة أنه صار يتحرك بالكاد. لكن نزامبى حطمت كل غروره وفخره بنفسه، وقررت أمام جميع الحضور ألا تمنحه رأسا. لذلك فعندما يريد السرطان الآن معرفة مكانه تخرج عيناه بارزة من جسمه.

٤ - جدة نزامبي والطبل:

خلقت نزامبي شعب موبنجو. لكنها لم تصنع لهم طبلا، لهذا لم يستطع الناس الرقص. عندئذ قرر أبو فصادة الصغير نيتشونزو نيكيلا أن يصنع طبلا. عاش نيتشونزو نيكيلا في قرية قريبة من المدينة التي أقامت بها نزامبي. وجلس نيتشونزو نيكيلا منهمكا في عمله، وسرعان ما أصبح الطبل جاهزا. وقام نيتشونزو نيكيلا بجمع كل سكان القرية، الذين أخذوا يضربون على الطبل ويرقصون.

سمعت نزامبي صوت الطبل، وأرادت بدورها أن يرقص شعبها هو الآخر، فجمعت سكان المدينة وقالت لهم:

- إن أبا فصادة الصغير يرقص على أصوات الطبل، في الوقت الذي لا أستطيع فيه أنا نزامبي العظيمة أن أرقص، وذلك لأنني لا أملك طبلا! فليقم الظبي الآن بالذهاب إلى القرية التي بها نيتشونزو نيكيلا، ويخبره بأن الأم العظيمة تطلب الطبل منه.

ركض الظبي مسرعا إلى قرية نيتشونزو نيكيلا وقال له أن يمنح الطبل لنزامبي.

- لا، لا يمكنني إعطاء الطبل لنزامبي، لأنني أحتاج إليه بنفسي.

- لكن الأم العظيمة هي التي منحتك الحياة، وينبغي عليك إبداء العرفان لها من أجل ذلك!

- نعم، صحيح أنها منحتني الحياة، ولكنني لن أعطيها الطبل في جميع الأحوال.

وهنا طلب الظبي راجيا:

- إذًا، فلتسمح لي أن أقوم بالضرب عليه من أجلك.

سمح له نيتشونزو نيكيلا قائلا:

- حسنا، فلتضرب عليه.

قام الظبى بالضرب على الطبل لبعض الوقت، ثم أمسك بالطبل وفر هاربا به.

عندئذ تملك الغضب من نيتشونزو نيكيلا، وأرسل الناس من خلفه. استطاع الناس اللحاق بالظبى وقتلوه، وقامت النساء بطهى لحمه.

فى ذلك الوقت أرسلت نزامبى كيفونجا لتعرف سبب غياب الظبى كل هذا الوقت الطويل.

وصلت كيفونجا إلى قرية نيتشونزو نيكيلا الذى حكى لها عن كل شىء. فقالت له:

- إذًا، أعطنى قليلا من دم الظبى كى أريه لأمنا.

أعطى نيتشونزو نيكيلا بعض الدماء لها، فحملتها كيفونجا إلى نزامبى وحكت لها ما جرى.

اعتصر الحزن نزامبى وأصابها الهم لعدم حصولها على الطبل. وقررت أن تجرب مرة أخرى، فأرسلت الثور الوحشى مباكاسا إلى قرية نيتشونزو نيكيلا.

لكن مباكاسا تعرض لنفس المصير الذى تعرض له الظبى.

وجاءت كيفونجا إلى نيتشونزو نيكيلا مرة أخرى، وعرفت أن مباكاسا قد قتله أتباع نيتشونزو عندما حاول سرقة الطبل.



عادت كيفونجا إلى نزامبى وحكت لها أن مباكاسا قد قتلوه بعد أن حاول سرقة الطبل والهرب به.

وعندما عرفت نزامبى بهذا الأمر تملكتها ثورة عارمة من الغضب ولم تهدأ قط. وذهبت إلى الناس تخاطبهم قائلة:

- هل يعقل أن أحدا منكم لا يمكنه الحصول على الطبل من أجل أمكم العظيمة؟

وهنا تقدمت النملة مفيتى الصفوف وهتفت تقول:

- لا تحزنى يا نزامبى، فسوف أحصل لك على الطبل الذى تريدينه.

فقالت نزامبى بنبرة شك:

- لكنك صغيرة للغاية، فكيف يمكنك القيام بهذا الأمر؟

أجابت النملة:

- لهذا يمكننى الحصول عليه. إن صغر حجمى لن يدع أحدا يرانى.

خرجت النملة من المدينة وذهبت إلى قرية نيتشونزو نيكيلا. واختبأت هناك حتى حلول الليل. وعندما ذهب الجميع للنوم تسللت مفيتى إلى البيت الذى يوجد به الطبل وحملته إلى الخارج. ودون أن يلحظها أحد عادت إلى المدينة وأعطت الطبل لنزامبى.

كافأت نزامبى النملة مفيتى بسخاء، ثم شرعت فى الضرب على الطبل، وأخذ كل الشعب فى الرقص.

فى ذلك الوقت سمع نيتشونزو نيكيلا الضوضاء الصادرة وقال:

- هل تسمعون؟ إنهم يرقصون فى مدينة نزامبى، لا بد أنهم سرقوا طبلى.

وأسرع الجميع إلى البيت الذى كان الطبل محفوظا بـه، فلم يجدوا لـه أثرا هناك.

تملك الغضب الشديد من نيتشونزو نيكيلا، فنادى على جميع سكان القرية، وحضر الجميع - عدا جلوبيا نبيمبى- يستمعون لما يقوله. وعندما تناقشوا فى الأمر قرروا إرسال مبعوث إلى نزامبى، كى يطلب منها تحديد المكان الذى يمكنهم الالتقاء والحديث عن كل ما جرى، فوعدت نزامبى أن تتواجد فى اليوم التالى بمدينة الملك نيامالو حتى يحسم النزاع بينهم.

فى اليوم التالى اجتمع نيتشونزو نيكيلا وشعبه فى مدينة نيامالو، وأخذوا ينتظرون نزامبى. وطال انتظارهم ليومين. وفى اليوم الثالث ظهرت نزامبى فى المدينة مع شعبها. وانعقد المجلس. بدأ نيتشونزو نيكيلا الحديث:

- نيامالو! لقد صنعت طبلا، وأخذته نزامبى منى. فاجعلها تفسر لك سبب فعلتها هذه.

وقفت نزامبى قائلة:

- نيامالو! إن شعبى يريد الرقص، لكنهم لم يستطعوا لأنهم لا يملكون طبلا. وذات مرة سمعت صوت الطبل يتردد فى قرية نيتشونزو نيكيلا. عندئذ قمت بإرسال الظبى يطلب الطبل منه، لكن قوم نيتشونزو نيكيلا قاموا بقتل الظبى. بعد ذلك أرسلت مباكاسا كى يحصل على الطبل، لكنهم قاموا بقتله هو الآخر. ويستطيع كيفونجا التأكيد على صحة كلامى. وأخيرا أرسلت النملة مفيتى التى استطاعت إحضار الطبل. فرقص شعبى على صوته وأصبحنا سعداء. إن لى الحق فى امتلاك الطبل، فأنا الأم العظيمة لجميع الأحياء الموجودين فى هذا العالم.

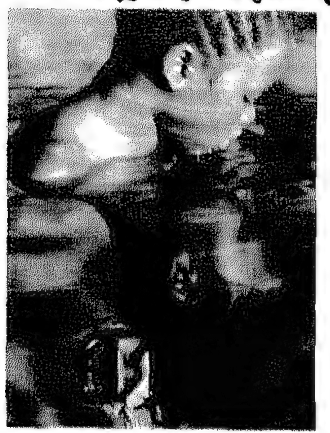
وقامت كيفونجا بالحديث، فحكت لنيامالو كل ما تعرفه عن هذه الحكاية.

استمع نيامالو مع شيوخه للجميع، ثم خرج نيامالو لشرب الماء، وعند عودته قال ما يلى:

- لقد طلبتم منى حل النزاع بينكم، وقولى لكم فى ذلك أن نزامبى بالفعل هى أمنا العظيمة. ولكنها عندما قامت بخلقنا جميعا لم تصنع لنا طبلا. فلو أن نزامبى صنعت الطبل ومنحتنا إياه لأصبح ملكا لها. وقد صنعنا الطبل بأنفسنا، لهذا فإن سلوك نزامبى ليس عادلا، وليس من حقها أن تأخذ الطبل من نيتشونزو نيكيلا.

وطبقا لقرار نيامالو قامت نزامبى بتعويض نيتشونزو نيكيلا مقابل فعلتها، ثم قام نيتشونزو نيكيلا ونزامبى بتقديم العطايا إلى نيامالو، وعاد كل منهما إلى بيته.

٤٠ـ حكاية الفتاة التى قدمها أهلها قربانا[١] :



ذات مرة حلت مجاعة كبيرة فى البلاد. فاشتدت حرارة الشمس ولم تهطل الأمطار، وماتت كل المحاصيل. وتكرر نفس الأمر فى العام التالى. وفى العام الثالث لم تُنزل السماء قطرة واحدة من المطر. عندئذ خرج الناس إلى التلال، حيث كانوا يجتمعون عادة للرقص، وأخذوا يفكرون: "لماذا لم يأت المطر كل هذا الوقت؟" ثم ذهب الناس إلى المُنجم وسألوه قائلين:

- لماذا توقف المطر عن النزول حتى هلكت محاصيلنا؟ ولماذا ينبغى علينا الموت جوعا؟

حمل المنجم وعاءه، ونثر منه قليلا من عقاره، وبعد أن أعاد الكرة بضعة مرات صاح قائلا:

- توجد فتاة من بينكم ينبغى التضحية بها وتقديمها قربانا. وبهذه الطريقة فقط يمكن إنزال المطر. واسم هذه الفتاة هو فانجى رو. وبعد غد عليكم الحضور إلى هذا المكان جميعا، من كبيركم إلى صغيركم، ويحضر كل منكم معه عنزة كى تمنحوها إلى والدى فانجى رو.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس قصة الفتاة التى غطست فى باطن الأرض.

في اليوم المحدد وصل الناس إلى هناك، وكل منهم يسوق عنزة معـــه، ثـــم صنعوا دائرة وضعوا فى منتصفها فانجى رو. أخذت أقـــدام الفتـــاة تغطـــس فـــى الأرض تدريجيا حتى وصلت إلى ركبتيها. فصرخت الفتاة:

– إنى أموت!

كذلك صرخ والدا الفتاة:

– إننا نموت!

لكن الناس قاموا بتضييق الدائرة من حولهم أكثر فأكثر وهم يدفعون بالماعز نحو والدى الفتاة.

فى ذلك الوقت مضت فانجى رو تغطس فى الأرض حتـــى هبطـــت إلـــى خصرها وهى تصرخ عاليا:

– إنى أموت، لكن المطر العظيم سوف يهطل!

غطست فانجى رو فى الأرض حتى صدرها، ولم يبدأ المطر فى الهطـــول بعد. عندئذ صرخت مجددا:

– سوف يهطل المطر العظيم!

وعندما غطست الفتاة فى الأرض حتى رقبتها بدأت أولى قطرات المطر فى النزول.

اندفع والدا فانجى رو حتى ينقذاها، لكن الناس دفعوا نحوهما الماعز أكثـــر فأكثر، فلم يمكنهما التحرك.

وغطست فانجى رو فى الأرض حتى عينيها وهى تقول:

– لقد قتلنى والداى!

استمرت الفتاة فى الهبوط إلى جوف الأرض، وعندما كان أحد أفراد أسرتها يتقدم لإنقاذ فانجى رو، كانوا يدفعون الماعز نحوه فينسمر فى مكانه.

وأطلقت الفتاة آخر صيحاتها:

- إننى أموت، وأنتم المذنبون فى هذا الأمر!

التحمت الأرض من فوق فانجى رو واختفت الفتاة عن الأنظار.

وفى هذه اللحظة - آه لو أنكم رأيتم هذا - انهمر سيل عنيف من المطر فوق الأرض، وبدا كشلالات لا تتوقف من المياه. وركض الجميع نحو بيوتهم يحتمون بها.

كان هناك محارب شاب يعيش فى قرية فانجى رو. كان يحب الفتاة حبا عظيما، ولم يتوقف عن بكائها وصرخ يقول:

- لقد ماتت فانجى رو، والمذنب فى ذلك هما والداها، لكننى سوف أعثر على فانجى رو. حمل الفتى رمحه ودرعه، وانطلق يبحث عن فانجى رو طوال الليل وطوال النهار.

وعندما هبط الظلام وصل الفتى أخيرا إلى نفس المكان الذى ابتلعت فيه الأرض فانجى رو. وبدأت أقدامه هو الآخر تغطس فى الأرض، وظل يهبط أعمق فأعمق حتى ابتلعته الأرض تماما والتحمت من فوقه.

شاهد الفتى دربا طويلا يمتد تحت الأرض. فمضى يسير فيه حتى رأى أخيرا فانجى رو، لكن فرحته لم تكتمل عندما شاهد الفتاة التعيسة فى حالة مزرية وقد تمزقت ملابسها. فقال الفتى لفانجى رو:

- لقد قدموكِ قربانا حتى ينزل المطر، والآن غطت السيول الأرض. وهأنا قد جئت كى أعيدك مرة أخرى.

وضع الفتاة المنهكة فوق ظهره مثل الطفل ومضى يسير من نفس الدرب حتى عاد بها من تحت الأرض. وقرر الفتى قائلا:

- ينبغى عليكِ عدم العودة إلى بيت والديك. فهما اللذان أساءا إليكِ.

وطلب من الفتاة الانتظار حتى هبوط الليل. وعندما لـف الظـلام المكـان اصطحبها إلى بيت أمه لم يكن يرغب أن ترى أمه الفتاة، لهذا قال لأمه:

- لقد أحضرت شيئا ما هنا، ولكن لا ينبغي على أى إنسان كان أن يرى هذا الشيء. لذلك أرجو منك الخروج.

اعترت الدهشة أم الفتى وقالت:

- لماذا تريد إخفاء هذا الأمر عنى؟ إننى أمك وأنت ابنى المحبوب.

عندئذ كشف الفتى لأمه عن فانجى رو، وطلب منها ألا تخبر أحدا بعودة الفتاة.

صارت الفتاة تعيش مع الفتى وأمه، وقاموا بذبح بعض الماعز وإطعام الفتاة باللحم الثمين، ثم صنعوا لها ثيابا من جلد الماعز. وها هى الآن ترفل فـى ثيابهـا الجديدة الجميلة للغاية.

وذات يوم أقيم فى القرية احتفال كبير. وخرج الفتى مع جميع النـاس إلـى حلقات الرقص. وانتظرت أمه مع فانجى رو حتى وصل الجميع، ثم خرجـا مـن البيت فى هدوء وحذر، وانخرطا بين حشود الناس. لكن والدى الفتاة تعرفا عليها:

- أليست هذه هى فانجى رو التى قدمناها قربانا؟

قالا عبارتهما بفرح واندفعا يعانقان الفتاة.

لكن الفتى قام بدفعهما جانبا قائلا لهما:

- لقد قمتما ببيعها!

واصطحب الفتاة إلى بيت أمه. ولكن بعد مرور أربعة أيام جاء أهل الفتـاة مرة أخرى إليها. وفى هذه المرة أشفق الفتى عليهم مفكرا فى نفسه: "إنهما والـدها وأخواتها". وقام الفتى بدفع مهر فانجى رو لأهلها، وتزوج من الفتاة التى أحبها.

٤١ـ مانجواندا[١] الذى ينزل المطر:

كان مانجواندا يعيش فى بيت أمه وأبيه. ومـات والـداه قبـل أن يكبـر مانجواندا، فأصبح يتيما بعد ذلك. كان والده كاهنا للمطر، والآن لم يبق أحد للصبى الصغير مانجواندا كى يرعاه. فخرج من البيت هائما على وجه حتى وصل إلـى إحدى القرى. وظل يقيم هناك فى تلك القرية طويلا طويلا حتى كبر، ثم خرج مع الآخرين لرعى الماشية. وبعد مضى عام لم يرغب أولئك الآخرون أن يصطحبوه معهم للرعى، وقالوا له:

– فليرع كل منا بالدور.

وحدث أن الماء لديهم شح لعام كامل، لكنهم قاموا بجمع المحصول. لم يكن لديهم ماء لسلق الطعام، فقاموا بإعداده فى بول الماشية. وعنـدما كـان الرعـاة يصلون بأبقارهم إلى المرعى. كانوا يتركونها، ثم يعودون إليها فى المساء. وكـان مانجواندا يخرج لرعى الأبقار عندما يحين دوره. وعندما كان الرعـاة الآخـرون يرعون الأبقار كانت المواشى نحيفة، حيث إن المراعى كانت خالية من الأعشاب.

كانت روح والد مانجواندا تسكنه. فقد كان هو الآخر يستطيع إنزال المطر. فكان يسوق الماشية إلى الوادى الذى لم تطأه قدم إنسان من قبل. وفى كـل مـرة عندما كان مانجواندا يذهب إلى هناك، كان يجلس فوق الترميت[٢] ويغنى، فيـسقط المطر على الفور وتأكل الأبقار من العشب الطازج حتى تشبع إلى الدرجة التـى تسمن بها ويزداد حجمها أكثر من المعتاد. وفى المساء كانت الأبقار تتبول بغزارة

---

(١) مانجواندا– معنى اسم البطل هنا يرتبط بدوره ككاهن للمطر الذى ينزل الأمطار. وكان كاهن المطـر يعد وسيطا بين الناس وموارى الرب المانح للمطر. ويقولون عن الكاهن إن بدنه يـرتعش. ويمكـن مقارنته بالساحر الرئيسى لدى المونوموتابى وهو يقوم بطقسه الموروث.

(٢) الترميت هو موقع الأسلاف فى العادة.

بعد أن يسوقها إلى البيت. وكان الناس يضعون أقداحهم وأوانيهم ليملئوها بـــالبول. كما كانت الأبقار تدر لبنا غزيرا. وكانوا يملئون ويملئون منه حتـــى تفـــيض بـــه الأوانى. وكان العجائز تعتريهم الدهشة فيقولون:

– ما السر فى هذا الأمر؟ ما إن يذهب الرعاة الآخرون حتى تهزل الأبقـــار ولا تتبول.

وذات مرة قرروا قائلين: فلنذهب ونتبع هذا الفتى، وننظر لنعرف ما الـــذى يطعم به الأبقار.

أطلق مانجواندا الماشية دون أن يشك فى حدوث أمر مـــا. وقـــام العجـــائز بتتبعه خلسة حتى وصلوا إلى الترميت الذى يجلس عنده كل مرة. اختبئوا بـــالقرب منه، وأخذوا يستمعون لغنائه وهم فى دهشة من أمرهم:

أيتها الأمطار، أيتها الأمطار،

سحى من السماء كل نهار!

وسوف أرقص حول الأشجار(١)

فقد هب من حولى الإعصار(٢)

واصل الآخرون الغناء:

وسوف أرقص حول الأشجار.

---

(١) صيغة الفعل المترجم هنا– "التعبير عن فرحتى بالرقص"، وفى السابق كانـــت هـــذه الكلمـــة تحمـــل مضمونا طقسيا.

(٢) يحمل الإعصار معه الأمطار الوفيرة التى تأتى بعد الرياح والرعـــد، وهـــى ظـــاهرة مألوفـــة فـــى جنوب أفرقيا.

رنا العجائز بأبصارهم إلى أعلى. ويا للعجب! بدأت قطرات المطر تنهمر حتى غمرت الأرض، وأكلت الأبقار من العشب وشربت من الماء، حتى امتلأت بطونها وكبرت أجسادها.



وعندما لم تعد هناك حاجة للمطر قام مانجواندا بالغناء ثانية:

توهجي بنورك أيتها الشمس،

وانشري ضياءك مثلما بالأمس.

توهجت أشعة الشمس بنورها، ومضى يسوق القطيع نحو البيت. عندئذ مضى الذين راقبوه هم الآخرون كي يحكوا ما شاهدوه. فرح جميع من بالقرية وقالوا:

هيا بنا نمنح هذا الفتى زوجة وقسما من أرضنا كي ينزل المطر إلينا دائما.

وافق الجميع على هذا الأمر، وعثروا على فروة سوداء[1]، وقاموا بصنع الجعة، واختيار أجمل فتاة من بناتهم ليزفوها زوجة لمانجواندا.

---

(١) اللون الأسود هو لون رب المطر مواري، وهو لون القربان الذي يقدم لإنزال المطر والمواد المستخدمة في طقوس المطر.

وعندما أصبحت الجعة جاهزة، ذهب العجائز إلى كوخ الزوجة الكبرى ونادوا على تلك الفتاة. ثم قاموا بدعوة مانجواندا إلى هناك. وعندما وصل وهو لا يعرف سبب دعوته فكر فى نفسه: "لا بد أنهم يريدون إرسالى إلى مكان ما".

لكن العجائز أمسكوا بغطاء ألقوا به فوق مانجواندا[1]. فأصابه الخوف وصرخ من الذعر. بيد أن العجائز ربتوا بأياديهم عليه مرحبين به، وابتهجت النساء، وقام الجميع بالغناء والحديث معه:

- إننا نمنحك ابنتنا زوجة لك، ونمنحك هذا الغطاء أيضا، وفى المقابل عليك أن تصبح كاهنا للمطر.

عندئذ أدرك مانجواندا أنهم يريدونه أن يصبح كاهنا للمطر بالفعل. فأسعده هذا الأمر وسكن خوفه. وطلب الجميع منه أن يُنزل المطر. فبدأ مانجواندا يردد إحدى أغانيه:

من هذه السحابة الصغيرة

ردد الجميع من خلفه:

من هذه السحابة الصغيرة.

فى هذه اللحظة سقط المطر ونقنقت الضفادع:

المطر، المطر، المطر.

وصاحت الحيوانات كثيرة الأرجل تقول بسعادة:

يهطل، يهطل، يهطل.

---

(١) يكرس هذا الطقس لكاهن المطر.

أما الطيور الصغيرة التى تخشى المطر فقد ظلت تردد باستمرار:

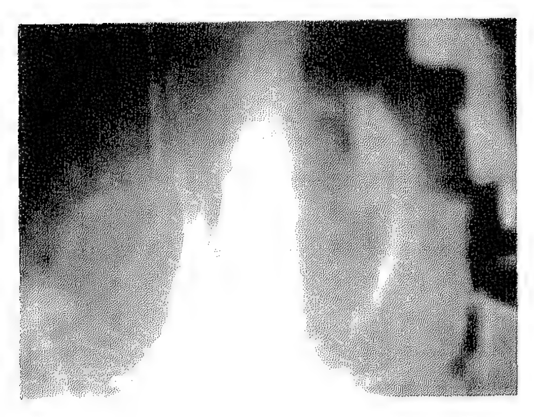
سوف أموت قبل أن آكل ثمار التين.

وظل المطر ينهمر وينهمر.

وأعجب مانجواندا بزوجته كثيرا وبالفروة السوداء. وأصبح العجائز فى حالة دائمة من السرور والرضا بهطول المطر.

وهنا انتهت الحكاية.

٤٢- أصل النار[1]:



منذ زمن بعيد للغاية قام أحد الرجال باستعارة مصيدة من جاره، وذلك كـــي يقتل بها حيوان أبى شوك الذى يلتهم محصوله. وقام بوضع مـــرزاق فـــى حقلـــه وإعداد كمين له فى الحقل، وفى نهاية الأمر نجح فى إصابته بالمرزاق. لكن أبـــا شوك المصاب استطاع الهرب بالمرزاق الذى أصابه، واختبأ به داخـــل الجحـــر. وذهب الرجل إلى مالك المرزاق وقال له إنه فقد المرزاق. لكن الجار أصر علـــى أن يعيد له مرزاقه.

عندئذ قام الرجل بشراء مرزاق جديد وعرضه علـــى جـــاره بـــدلا مـــن الضائع، لكن الجار رفض أخذه وطلب منه إعادة مرزاقه الخاص به. ذهب الرجل إلى الجحر الذى اختفى فيه أبو شوك، وزحف بداخله. وظل يزحف طويلا طـــويلا وفى النهاية وجد نفسه وهو فى دهشة من أمره، وجها لوجه أمام النار التى كـــانوا يعدون عليها الطعام. كان هناك عدد كبير من الناس يلتفون حول المكان. وعنـــدما سألوه عما يريده حكى لهم عن الأمر. حينئذ دعوه لتناول الطعام معهم، لكن الخوف أصابه وقال إنه لا يستطيع البقاء، وإن عليه العودة كى يعيد المـــرزاق الـــذى رآه

---

(١) أحد أكثر النماذج الأسطورية العتيقة التى تتناول موضوع أصل النار، والحصول عليها من الأسلاف.

موجودا بالمكان. لم يلحوا فى دعوته وقالوا له إن عليه تسلق جذور شجرة الموجومو[1] الممتدة فى الحفرة، وذلك كى يصعد إلى العالم العلوى على نحو أسرع. كما أعطوه نارا حملها معه.

أخذ الرجل المرزاق والنار، ومضى يتسلق طريقه لأعلى كما قالوا له. وهكذا، وصلت النار إلى الناس الذين كانوا يأكلون طعامهم نيئا من قبل.

وعندما وصل هذا الرجل إلى أصحابه، قام بإعادة المرزاق لصاحبه وقال له:

- لقد سببت لى الكثير من المشاكل بسبب مرزاقك، ولو أردت الحصول على النار التى يتصاعد دخانها فعليك تسلق الدخان وإعادته لى.

ومهما حاول مالك المرزاق تسلق الدخان، فإنه لم يستطع القيام بذلك.

عندئذ وصل الشيوخ وتدخلوا فى الأمر قائلين:

- هيا نتفق على هذا الأمر: فليستخدم الجميع النار، ولكن بما أنك أنت الذى أحضرتها فسوف تصبح زعيما علينا.

---

(١) موجومو هى الساكنة المقدسة - شجرة الأسلاف التى عادة ما تسمى بشجرة الرب إنجاى.

٤٣ـ كيف استطاع الدبور الطنان الحصول على النار من الرب؟

لم يكن هناك نار لدى الببغاء والنسر صياد السمك والغراب. نعم، ولم يكن لدى أحد على وجه الأرض نار. وعندما أصبحت النار مطلوبة لهم، اجتمعت جميع الطيور وصارت تفكر: "من أين لنا الحصول على النار؟".

فاقترح أحدهم قائلا:

– ربما يمكننا الحصول على النار من الرب.

عندئذ حضر الدبور الطنان وقال:

– من منكم يذهب معي إلى الرب؟

ردت الببغاء قائلة:

– سوف نذهب معك، أنا، والنسر صياد السمك والغراب.

وهكذا، قاموا في الصباح بتوديع جميع الطيور وقالوا لهم:

– سوف نسعى للحصول على النار من الرب.

وطاروا جميعا محلقين.

مرت عشرة أيام على تحليقهم في الطريق، ثم سقطت على الأرض عظام لأحد ما. كانت هذه العظام هي ما تبقت من الببغاء. وبعد مرور فترة أخرى سقطت عظام أخرى لأحد ما. وكانت للنسر صياد السمك. ولم يبق سوى الدبور الحجار والغراب يواصلان الطريق معا. وبعد مضي عشرة أيام أخرى سقطت ثانية على الأرض بعض العظام، والتي تعود إلى الغراب في هذه المرة. واضطر الدبور الطنان أن يواصل الطيران بمفرده. وبعد مرور عشرة أيام أخرى استمر الدبور في طيرانه أعلى فأعلى، وكان يرتاح بين الحين والآخر فوق السحب، غير أنه لم يصل بعد إلى السماء.

عندئذ خرج الرب لمقابلته وسأله عن وجهته. فقال له الدبور الطنان:

- لقد وصلت لطلب النار منك فقط. وقد مات كل رفاقى أثناء الطريق، لكنى استطعت مواصلة الطيران بمفردى، ذلك لأننى قررت أن أصل إليك بأية وسيلة.

حينذاك قال الرب:

أيها الدبور الطنان بما أنك نجحت فى الطيران إلى، فسوف تصبح زعيما على كل الطيور الموجودة فوق الأرض. كما أنك لن تنجب صغارا. وعندما تريد إنجاب صغير فاذهب وانظر بين أعواد الغلال. وهناك سوف ترى الحشرة نجونفا. فقم بحملها إلى البيت، واذهب إلى هناك حيث يعد الناس طعامهم فوق مواقد النار، وقم ببناء بيت لابنك نجونفا، ثم ضعه بداخله واتركه هناك. وبعد مرور بضعة أيام اذهب وانظر إليه. وسوف ترى أنه قد أصبح شبيها لك تماما.



وهذا ما يجرى حتى اليوم. فيقوم الدبور الطنان دائما بالبحث عن مواقد النار كما أمره الرب، وذلك قبل أن يقوم ببناء بيته.

٤٤ـ كيف حصل الناس على النار؟

فى الماضى لم يكن هناك نار لدى الناس. وكان عليهم أكل اللحم والموز نيئا.

وذات مرة خرج الأطفال كعادتهم يسوقون الماشية إلى المرعى، وحملوا معهم طعاما نيئا. وهناك قاموا بصنع سهام لهم، وساروا يلهون بها. وقام أحد الصبية بوضع سهمه بين قطع من خشب إحدى الأشجار، ومضى يفرك السهم بين يديه. أصبح السهم ساخنا، وصاح الصبى مناديا على رفاقه:

- من منكم يريد لمسه؟

اقترب منه الأطفال وأخذ يقرب السهم الساخن نحو أجسادهم. فصرخ الأطفال وتفرقوا مبتعدين عنه، أما الصبى صاحب السهم فأخذ يفركه أكثر فأكثر كى تشتد سخونته، ثم يركض خلف الأطفال ويلمسهم به. حينئذ مضى الأطفال يساعدونه قائلين:

- هيا بنا نزيد سخونته أكثر.

أخذوا يفركون السهم من جديد حتى خرج الدخان منه. وبدأت فى الاحتراق حزمة من الأعشاب الجافة أسفل السهم. فحمل الأطفال المزيد من الأعشاب وألقوا بها هناك كى يروا دخانا أكثر ويمرحوا من حوله. وفى ذلك الوقت الذى وقفوا فيه ينظرون، تصاعدت شعلة من اللهب مندفعة لأعلى! وتوهجت الشعلة لتلتهم العشب. وأخذت شعلة النار فى الانتشار وحرق الأغصان وهى تصدر صفيرا: فو- فو- وفو- فو- فو، كما لو كانت عاصفة تهب. وجاء الناس إلى هنا من كافة الأرجاء المحيطة ينظرون إلى الشعلة ويقولون:

- من الذى بعث إلينا بهذه المعجزة؟

بعد ذلك عثروا على الأطفال وصرخوا بهم:

- من أين حصلتم على هذه المعجزة؟!

كان الكبار من الناس غاضبين والصغار خائفين، ولكنهم جميعا حملوا عصيهم وأشاروا إلى الطريقة التى قاموا بفركها بها. وعندئذ اشتعل اللهب مرة أخرى فصرخ الكبار:

- ما الذى فعلتموه؟ إن ما فعلتموه سوف يدمر أشجارنا وأعشابنا!

أما عن الفائدة والخير الذى يمكن أن تأتى به النار، فقد عرفها الكبار عندما مضى الأطفال يبحثون فى موقع الحريق عن الطعام الذى حملوه معهم فى المرعى. وقال الأطفال:

- اقتربوا هنا وانظروا، فقد دمر فوفو طعامنا كله!

أطلقوا على النار اسم فوفو، لأنها كانت تصدر عند اشتعالها صوتا: فو- فو- فو- فو.

وعندما تملك الجوع من الأطفال وأكلوا من الموز المشوى على النار، أحسوا بأن مذاقه قد أصبح أطرى وأكثر حلاوة مما كان عليه. فقاموا بإشعال بعض النار مرة أخرى ووضعوا فوقها الموز، ومرة أخرى شعروا بأن مذاقه قد صار أحسن بكثير.

حينذاك أصبح الناس يحملون فوفو إلى بيوتهم، وصاروا يطهون طعامهم عليه.

وذات مرة جاء غريب إليهم. وعندما رأى طعامهم سأل قائلا:

- كيف تعدون هذا الطعام؟

حينئذ أشاروا له على النار. وذهب الغريب إلى بيته وأخذ عنزة كى يبادلها بالنار، وقابله رجل آخر وسأله قائلا:

- إلى أين أنت ذاهب بهذه العنزة؟

رد الغريب قائلا:

- إنى ذاهب إلى فوفو لآخذ منه القليل من النار.

وهكذا، أصبح العديد من الناس يأتون، ويشترون النار حاملينها معهم إلى شتى بقاع الأرض. وبعد ذلك تعلموا إشعال النار من قطع الشجر الخشبية الصلبة. وكانوا يسمون الشجرة الطرية كيبونجورو، والأخرى أوفيتو. وصاروا يحتفظون بهاتين الشجرتين فى الحقول المتاخمة لأكواخهم ويقولون:

- نحتفظ بهم لنستخدمهم عندما يحل الليل الطويل، ويذهب جميع الناس للنوم، ولا يصبح بوسع أحد الحصول على النار من جاره.

٤٥ـ من أين جاء التبغ؟

كيف حدث هذا الأمر؟ قام العجوز بتنظيف حقله وغرس به الحبوب. وعندما أصبحت كيزان الذرة ناضجة جاء أبو شوك يأكل منها. ذهب العجوز في الليل لحراسة الحقل. لم ينم طوال الليل، لكن أبا شوك لم يظهر. وفي الصباح أعطى العجوز رمحا لابنته قائلا لها:

- خذى هذا الرمح وأعطه لخاطبك، وليقم بحراسة محصولنا من الذرة!

حملت الفتاة الرمح إلى خاطبها الشاب الذى دفع مهرها.

- إن والدى يطلب منك حراسة محصولنا من الذرة، وذلك بعد أن لاحظ حيوانا هناك، لكنه لم يظهر فى الليلة السابقة.

حمل الفتى الرمح وذهب لحراسة الحقل. وفى هذه المرة ظهر أبو شوك. فأطلق الشاب رمحه الذى أصاب أبا شوك. لكن أبا شوك استطاع الهرب والاختباء فى جحره مع الرمح الذى غرس فى جسمه. ركض الفتى من خلفه يطارده حتى الجحر، ثم عاد إلى البيت وقال لوالد خطيبته:

- لقد أصبت أبو شوك بالرمح، لكنه هرب مع الرمح إلى داخل الجحر.

صرخ الوالد:

- يا للمصيبة! إن لم تعد إلى الرمح فلن أعطيك ابنتى!

صمت الخاطب وهو يكرر فى نفسه قائلا: "إن لم أعد الرمح فلن يعطينى العروس".



خرج إلى الحقل حتى عثر على الجحر فتسلل إلى داخله. وظل يسير في الجحر لبقية اليوم، وسار طوال الليل حتى مطلع الفجر وطوال الصباح. وعندما توسطت الشمس كبد السماء وصل الفتى إلى بلد آخر. وهناك عثر على والده المتوفى الذى هتف يقول له:

- مرحبا يا ولدى!

- أوه!

- من أين أتيت؟

- لقد أتيت من قريتنا.

- وما الذى جاء بك؟

- جئت من أجل الرمح الذى أصاب أبا شوك. وقد فر أبو شوك مع الرمح. وهأنا قد جئت للبحث عن الرمح.

- لقد أصبت برمحك أمك عندما ذهبت تجمع الذرة في الصحن، والآن اذهب إلى هناك لتحيى أمك!

ذهب الفتى إلى حيث أشار له والده، وعند باب البيت رحبت به أمه قائلة:

- مرحبا ولدى فاكيا!

- أوه!

- من أين أتيت؟

- من قريتنا.

- وما الذى تبحث عنه هنا؟

- أبحث عن رمح والد عروسى.

تلفت من حوله ورأى رمحه، لكنه لم ينطق بشىء. وقامت الأم بإطعامه ثـم قالت له:

- لقد أصبتنى أنا بهذا الرمح عندما كنت أجمع الحبوب فى الصحن.

صمت الفتى ثم سأل قائلا:

- كيف يمكننى التكفير عن ذنبى أمامك؟ وما الذى على فعله؟ إنى لم أكـن أعرف أنك أنتِ يا أمى.

ردت الأم:

- ضع صخرة فوق النار، وعندما تذوب سوف أريك كيف تكفر عن ذنبـك نحوى.

وضع الفتى الصغير الصخرة فوق الموقد، وعندما ذابت خرج مـن النـار أكثر الخراف سمنة من قطيعه.

قال الفتى:

- لقد سرت إلى هنا لثلاثة أيام، فكيف ظهر خروفى هنا؟ خذيه يا أمى.

قامت الأم بفرك التبغ العطرى وسألت ابنها:

- هل شعرت، ولو قليلا برغبة فى البكاء عندما رأيتنى؟

- لا، لم أشعر.

- إذًا، شم هذا!

استنشق الفتى من الرائحة، فدمعت عيناه. وسألته الأم:

- هل أعجبك هذا أم لا؟

- نعم، لقد أعجبنى!

أحضرت الأم بعض حبوب التبغ وربطتها فى طرف الغطاء، ثم قالت:

- خذ الرمح ها هو! والآن اغلق عينيك.

فعل الفتى ما أمرته به. وعندما فتح عينيه رأى نفسه فى بيته داخل قريتـه. فكر لبعض الوقت ثم قال لوالد خطيبته:

- ها هو رمحك.

ونثر الفتى التبغ العطرى فى وعاء صغير أعطاه للوالد قائلا:

- فلتجربه إن كان جيدا أم لا!

استنشق الوالد رائحة التبغ حتى بكى على الرغم من أن أحدا لـم يـضربه. وقالت الفتاة:

- إى، إى! لو ضربت والدى فلن أتزوج منك.

لكن العجوز قال:

- يمكنك أخذ الفتاة يا صهرى! فهذا الشىء الذى أحضرته هو ما أحتاجـه الآن على وجه التحديد.

رد الفتى بعد تفكير:

- إن هذا هو الشىء الوحيد الذى أرضانى فى المكان الذى جئت منه.

أخذ الشاب الفتاة إلى بيته، وترك حبوب التبغ لحميه. وهكذا، وبهذه الطريقة ظهر التبغ فى العالم.

٤٦ـ كيف ظهر فن التنجيم؟



خرج الرجل للصيد وسمع صوتا فجأة: "كسا كسا"[١]. فقرر الذهاب لمعرفة مصدر هذا الصوت. وسار حتى رأى رجلا صغيرا مُنجما. فسأله الصياد:

– ما الذى تفعله؟

رد الرجل:

– إننى أنجم.

– وما الذى يعنيه هذا؟

– هذا يعنى أن بوسعى إرشادك للطريقة التى يمكنها أن تجعلك غنيا.

– وأنا أريد معرفة هذه الطريقة!

– إذًا، ضع سهمين[٢] هنا.

---

(١) صوت يقلد به حفيف الجذور وهى تتحرك داخل الوعاء الذى يرجه المنجم فوق جلد الفهد. كما أن الجلد والقوائم والأظافر والشوارب لدى الفهد تعد من الأشياء السحرية.

(٢) المعنى هنا هو الأجر مقابل التنجيم.

وضع الصياد سهامه المغروسة فى جلد فهد، ثم ألقى المنجم فوقها بعض الأحجار الصغيرة وتمتم قائلا:

- سوف تصبح غنيا من خلال الصيد.

رحل الصياد، واستطاع قتل عدد من الفيلة، ثم قام ببيع أنيابها، وحصل مقابلها على العديد من الماشية التى ساقها إلى قريته. وقال الجيران:

- من الذى استطاع التنجيم بهذا القدر؟ ها هو قد صار غنيا، أما نحن فليس لدينا شىء من الماشية! فلنذهب ونرغمه أن يرينا الشخص الذى تنبأ له بالنجاح!

ذهب الصياد معهم إلى نفس المنجم، فسأله أحد الحاضرين:

- هل يمكننى معرفة مستقبلى؟

رد المنجم:

- ضع سهمين هنا!

وضع الرجل سهمين وحصل على الإجابة:

- سوف تثرى من الصيد.

خرج الرجل الذى سأله إلى الصيد. وعندما شاهد الفيلة قتل الكثير منها، وأخذ أنيابها التى أدرت عليه الكثير من الماشية.

وهكذا، ظهر فن التنجيم، وما زال سائدا حتى الآن بصورة واسعة.

٤٧ـ كيف ظهر فن صناعة الفخار؟

حدث هذا الأمر منذ زمن بعيد بعيد. فقد كان لدى النـــاس الأوائـــل الـــذين خرجوا من الثرى كل أنواع الطعام، لكنهم كانوا يأكلونه دون سلق. وعندما كـــانوا يقتلون المواشى، كانوا يقومون بتحميرها فوق النار، حيث لم يكـــن لـــديهم شـــىء يسلقونها فيه.

وذات مرة خرجت امرأة إلى النهر لجلب الماء وجمعه فـــى أوراق الـــشجر الكبيرة. وهنا وقع نظرها على شظفة من الصخر تشبه القدح الفخارى. فقالت المرأة:

– يا له من شيء بديع، سوف أصب الماء بداخل هذه القطعـــة الـــصخرية، وأضعها على النار.

أخذت تلك الشظفة وصبت الماء بداخلها، ثم حملتها إلى البيـــت ووضـــعتها فوق النار. وفى الصباح التالى جاءت امرأة أخرى وسألتها:

– ما هذا الشيء؟



مضت الأولى تشرح لها:

– لقد خرجت إلى النهر أحمل أوراق الشجر لجمع المـــاء، ورأيـــت هـــذه الشظفة هناك وقلت لنفسى: "إن هذه القطعـــة مناســـبة للغايـــة للغلـــى والسلق"، وفى المساء ملأتها بالماء ووضعتها فوق النـــار، ثـــم ألقـــت بداخلها حبوب الفاصوليا والذرة، وبعد أن تركتها تغلى وأكلنـــا منهـــا، اكتشفنا أن مذاقها أطيب بكثير من مذاقها النيئ.

فسألت المرأة الأخرى:

- ألم تر هناك شظفة صخرية أخرى مماثلة لهذه؟

- لا، لم أر.

- هيا بنا نذهب إلى هناك، لنبحث عن قطعة مثلها!

خرجت المرأتان للبحث. وصارتا تبحثان على الشاطئ، لكنهما لم تعثرا على شيء مماثل. فقالت المرأة الأولى:

- إن الأرض هنا كلها ملساء.

قالت المرأة الأخرى:

- هيا نأخذ منها ونخلطها بالماء.

وأخذت المرأتان بعض الماء وصباه على الأرض، ثم ذهبت المرأة الأولى وقطفت بعض الأوراق وقالت للأخرى:

- من الأفضل وضع الأوراق على الأرض، ثم نضع فوقها هذه التربة الناعمة ونخلطها بالماء. وتقوم إحدانا بالخلط والأخرى تضع مزيدا من الماء فوق الخليط.

واستطاعت المرأتان أن تصنعا أوانى صغيرة من الطين. فى بادئ الأمر كانت الفتحات سيئة. وظلتا تصنعان الأوانى لخمسة أيام، حتى استطاعتا صناعة الكثير من الأوانى الجيدة، ثم جمعتا الأغصان وأشعلتا فيها نارا كبيرة. ووضعتا كل ما صنعاه فى النار. فتقست الأقداح وجفت وأصبحت صلبة قوية. وحملت المرأتان الأقداح إلى القرية، ونادتا على جميع النساء الأخريات:

- تعالين وانظرن لقد صنعنا أوانى من التربة، ويمكننا الآن سلق الطعام فيها، ولن يفيض الماء فوق النار بهذه الطريقة.

وقامتا بسلق الطعام، وأعطيتا منه للجميع حتى يجربوه. وسألت النساء:

- من أين أحضرتما هذه الأشياء التى تغليان فيها؟

- لقد أحضرناها من عند النهر.

- اصطحبانا إذًا إلى هناك كى نراها.

خرج الجميع إلى النهر.

- هل أخذتماها من هذا المكان؟

- نعم، هذا هو المكان الذى صنعناها فيه.

- فلتصنعا المزيد من أجلنا حتى يمكننا نحن الأخريات أن نغلى الطعام بها مثلما تفعلان.

ردت المرأتان:

- لكن هذا عمل صعب.

- اصنعا لنا ولو بعض القطع.

- وماذا تعطوننا فى المقابل؟

- نعطيكما كل ما تطلبانه.

ومن جديد مضت المرأتان فى العمل بالطين، وذلك بعد أن أصبحتا على قدر كبير من المهارة فى صنع الأوانى الفخارية الجيدة، ثم قامتا بحرق الأوانى فى النار. وسألتهما النساء:

- ما هو اسم هذه الأشياء؟

- إنها تسمى نيونجو[1]. هل لاحظتم أن الطعام يغلى بداخلها بصورة جيدة؟

---

(١) نيونجو هى الأوانى الفخارية.

وافقت النساء الأخريات على كلامهما:

- نعم، إنه بالفعل جيد. وأعطتهما المرأتان الأوانى الفخارية وفى المقابل أخذتا الخرز الأزرق.

والآن صارت المرأتان؛ اللتان عرفتا طريقة إعداد الأوانى الفخارية؛ يعملان بهذا العمل فقط. وكان كل من يرغب فى الحصول على مثل تلك الأوانى يذهب إلى هناك حيث تعمل هاتان المرأتان. فأصبح العديد من النساء تتواجدن عندهن. وذات مرة جاء إليهما العجوز نزاما[1]، ومنحهما ثورا. وقال زوجا المرأتين لهما:

- فلتأكلا هذا الثور!

وقالا للعجوز:

- فلتبارك هاتين المرأتين لقدرتهما على صنع الأوانى الفخارية.

رد نزاما قائلا:

- لم يحن الوقت بعد لذلك. ولتقم زوجاتكم بصنع وعاء ضخم لسلق اللحم، وليتعلم الرجال صنع الجعة!

وقامت المرأتان بصنع إناء كبير، وأعد الرجال كل ما يلزم لصنع الجعة. ونادوا على نزاما مرة أخرى. فقام بمباركة المرأتين، وبصق ثلاث مرات عبر أياديهما الممدودة نحوه، وأثنى عليهما قائلا:

- لقد أصبحتما على قدر كبير من الذكاء، وصنعتما الإناء الفخارى.

شرب الرجال من الجعة، وشربت النساء الحليب. وقبل أن يذهبوا إلى البيت قال نزاما للنساء:

- لا تسمحن لأى رجل ما بالاقتراب من المكان الذى تصنعن فيه الأوانى الفخارية.

ومنذ ذلك الحين والنساء تقمن بصنع الأوانى الفخارية.

---

(١) نزاما هو الشيخ، وهو الحكم فى القضايا الصغيرة.

٤٨ ـ كيف ظهرت تجارة العبيد؟



فى زمن من الأزمنة عاش زوج وزوجة، وكانا من الفقراء. كان لديهما ابنتان، وكانت الابنتان تحبان الذرة بشدة. لكن لم يكن لديهما مال لشرائه، ولا أرز لمقايضته. وذات مرة خرجت الأم لتسرق بعض الذرة من إتريموبى[١]، لكنها لم تتوقع أن إتريموبى كان مختبأ بين الرمال لحراسة حقله. وبعد أن قامت بملء الجوال أشارت لزوجها الذى جاء إليها حاملا سلة كبيرة. وسرعان ما امتلأت السلة، فصارا يملأن اللليامبا[٢]. وحملا كل هذا إلى البيت. رأى إتريموبى كل ما جرى، لكنه لم يظهر نفسه لهم.

عاد الزوج مرة أخرى إلى الحقل حاملا السلة، وفى هذه المرة اصطحب معه ابنتيه. وعندما مضوا يملئون السلة فى حماس وهمة برز لهم إتريموبى فجأة، وقام بضرب الأب ضربا مبرحا. وعندما رأت الفتاتان ما جرى صرختا:

– أوه، لقد سرقت أمنا الذرة، ووقع الذنب على أبينا!

قام إتريموبى ببيع الأربعة جميعا كعبيد. ومنذ ذلك الوقت – كما يقولون– بدأ الاتجار بالبشر وبيعهم كعبيد.

---

(١) إتريموبى– هو المارد آكل لحوم البشر.

(٢) ليامبا– هو الزى القومى فى مدغشقر، وهو يشبه الوشاح.

٤٩ـ كيف بدأ الأشانتى فى زراعة البطاطا؟

لم يعرف الأشانتى من قبل زراعة البطاطا. يقولون إنه فى القدم لم يعرفوا زراعة البطاطا، وكانوا يكدحون طوال العام فى سبيل الحصول على طعام لهم. وذات مرة جاء مسافر عبر أراضيهم. وكان يحمل من بين أغراضه بعضا من البطاطا. وعندما رأى أحد الأشانتى- ويدعى أبوو- البطاطا فكر فى نفسه ثم قال لأصدقائه:

- أه لو أننا استطعنا زراعة البطاطا، حينئذ لن نخشى الجوع أبدا.

قرر أبوو الذهاب للبحث عن البطاطا، كى يستطيع شعبه زراعتها فى حقوله.

حمل سلاحه وخرج فى طريقه. وسار للعديد من الأيام وهو يسأل الناس فى كل مكان حول البلد التى يمكن أن تنمو بها البطاطا. قال له البعض إنه يسير فى الطريق الصواب، وأشار الآخرون إلى طريق آخر تماما. لكنه فى النهاية نجح فى العثور على البلد التى تغطى البطاطا حقولها. وسأل أبوو عن بيت الزعيم فأشاروا له نحوه. دخل إلى بيت الزعيم وحكى له عما يبحث عنه وقال أبوو:

- فى بلادى لا توجد البطاطا، وكثيرا ما يعانى شعبى الجوع، فلو أعطيتنى قليلا من حبوب البطاطا، حينئذ يمكننا زراعتها فى قريتى، والتخلص من شبح الجوع إلى الأبد.

استمع الزعيم إلى أبوو وقال:

- سوف أفكر فى الأمر.

أمر الزعيم باستضافة أبوو بأحد البيوت وتقديم الطعام لـــه، وبعـــد مـــرور بضعة أيام، أرسل الزعيم فى طلب أبوو وقال له: .

- إنى أرغب فى تقديم العون لشعبك، لكنهم عندما يصيبهم الشبع ويمتلئون بالقوة والعافية، فما الضمان أنهم حينئذ لن يهاجموا جيرانهم الـــضعفاء ويشنوا الحرب عليهم؟

رد أبوو:

- لن يحدث هذا الأمر، لأن شعبى هو شعب مسالم، وهل يمكن لمن تعرض للجوع أن يشن حربا على من قام بمساعدته؟

قال الزعيم:

- فى جميع الأحوال إنى أخشى أن يكون شعبك محبـــا للقتـــال والحـــرب، ويصبح من الخطر مساعدته. والضمان من وجهة نظرى أن تحضر لى رهينة من أبناء شعبك يظل باقيا عندى، وحينئذ سوف أعطيك حبـــوب البطاطا.

عاد أبوو إلى الأشانتى. وذهب إلى أبيه وحكى له عن كل شىء، وقال:

- أيها الوالد إن لديك العديد من الأبناء، فلتبعث بأحدهم رهينة إلى بلاد البطاطا، حتى يمكننا الحصول على البطاطا، وإبعاد شبح الجوع عن شعبنا.



لكن والد أبوو رفض إرسال أحد من أبنائه إلى المنفى.

حينئذ ذهب أبوو إلى أشقائه وعرض عليهم مطلب الزعيم. وطلب منهم إرسال أحد أبنائه رهينة، لكنهم لم يحسموا الأمر بينهم مثلهم مثل الوالد.

حينذاك انطلق أبوو محبطا إلى بلاد البطاطا مرة أخرى. وأخبر الزعيم بأنه لم يستطع العثور على رهينة له. لكن الزعيم تمسك بعناد قائلا:

– اعذرني أيها الفتى، فإني لن أمنحك البطاطا دون رهينة.

عاد أبوو إلى البيت مهموما بعد أن فشل في العثور على وسيلة لإحضار البطاطا.

وعندما أصبح قريبا من قريته تذكر شقيقته التي كان لديها ابن واحد فقط. فذهب إليها وقص عليها كل شيء. فقالت له:

– ليس لدى سوى ابن واحد، ولو فارقني فسوف أظل وحيدة تماما.

هتف أبوو يقول:

– حينئذ سوف نموت جميعا. وإنى أعقد أملى الخيّر عليكِ. إن البطاطا تنمو فى العديد من البلاد عدا بلدنا، وشعبنا يعانى من الجوع.

وظل طويلا يحدث شقيقته عن أن البطاطا سوف تبدل مصير شعبه حتى اقتنعت بإرسال ابنها فى نهاية الأمر.

عاد أبوو إلى زعيم بلاد البطاطا، مصطحبا معه ابن شقيقته الذى أعطاه للزعيم رهينة.

استضاف الزعيم الصبى فى بيته، ومنح أبوو بذور البطاطا.

عندما عاد أبوو إلى قريته قام بتوزيع بذور البطاطا على سكان القرية لزراعتها. وكان الجميع سعداء للغاية.

نما محصول البطاطا وقاموا بجمعه. وأصبح لدى الجميع ما يفيض من الطعام. ومنذ ذلك الحين وبلاد الأشانتى تزرع الكثير من البطاطا.

قال أبوو:

- إن والدى لم يوافق على إعطاء أحد من أبنائه رهينة مقابل البطاطا. وكذلك لم يوافق أشقائى أن يقوموا بهذا الأمر. ومنذ هذه اللحظة لا أريد أية علاقة مع الوالد ولا الأشقاء، بل فقط مع شقيقتى التى منحت ابنها الوحيد فى سبيل عدم تعرضنا للجوع. فالمجد والشرف لها من أجل ما فعلته! وعندما أموت فإنى أوصى بإعطاء كل ما أملك لابن شقيقتى الذى يعيش فى بلاد البطاطا. فبفضله هو فقط لن نعانى الجوع مرة أخرى.

وكان هذا ما جرى. فعندما مات أبوو انتقلت ملكية ماشيته وأرضه إلى ابن شقيقته، وليس إلى ابنه ولا أشقائه.

قال الأشانتى:

- ينبغى علينا القيام بما أوصانا به أبوو، لأنه قام بعمل عظيم لنا ولشعبنا. فقد أحضر البطاطا إلى بلادنا. وسوف نفعل مثلما فعل أبوو ونحتفظ بذكرى مأثرته العظيمة.

ومنذ ذلك الحين يوصى رجل الأشانتى عندما يموت بنقل أملاكه لابن شقيقته.

وتمجيدا لأبوو يطلق الأشانتى على مثل هذه الأسرة "أبوو سوا" بما يعنى: "على درب أبوو".

وهكذا، أصبح الصبية والفتيان عند شعب الأشانتى يرثون عمهم لا والدهم.

٥٠ـ كيف استطاع الحداد صناعة أول قناع؟

فى زمن بعيد خرج أحد الصيادين إلى الأحراش كى يصطاد فريسة له. فوصل إلى مسقط المياه حيث رأى هناك الكثير من الجاموس. وتسلل الصياد بحذر، وصعد فوق شجرة حتى يمكنه إصابة الجاموس من أعلى. وشاهد من مكمنه أن الجاموس قد بدأ ينزع جلده. وبعد أن خلع الجاموس جلده تحول إلى هيئة البشر. وانطلق كل أولئك الناس يسبحون فى الماء. وبعد أن قاموا بالسباحة خرجوا من الماء مرة أخرى. وارتدوا جلودهم وأصبحوا من الجاموس ثانية، متخذين هيئتهم السابقة. وركض قطيع الجاموس مسرعا بين الأحراش.

خاف الصياد أن يصيب أحدا من الجاموس. وانتظر حتى اختفى الجميع بين الأحراش، ثم هبط من فوق الشجرة. عاد الصياد إلى بيته وذهب إلى الحداد وقال له:

– لقد كنت اليوم فى الأدغال عند مسقط الماء. وكان هناك الكثير من الجاموس. فتسلقت إحدى الأشجار حتى يمكننى إصابته من فوقها. لكن الجاموس نزع جلده وتحول إلى هيئة البشر، ثم مضى يسبح فى الماء. وبعد ذلك خرجوا من الماء وارتدوا جلودهم وعادوا ثانية إلى هيئة الجاموس، وفروا بين الأحراش. وقد خشيت إصابة أحد منهم. فما الذى يمكننى فعله؟ وهل يمكنك مساعدتى فى قتل الجاموس؟

قال الحداد:

– لا تقتل أحدا من هذا الجاموس، بل قم بجمع النمل الكبير. وخذه معك، واذهب ثانية إلى المكان الذى رأيت به الجاموس. وضع النمل جانبا، ثم اختبئ فى المياه. وعندما يأتى الجاموس وينزع جلده تسلل بحذر من الماء، وضع كل النمل فوق جلد الجاموس ثم اختبئ مرة أخرى وانتظر ما يحدث.

قال الصياد:

- سوف أجرب ما تقوله.

قام بجمع العديد من النمل وحمله معه متجها صوب نفس المكان مرة أخرى. ووضع النمل جانبا واختبأ فى الماء. وسرعان ما أتى قطيع الجاموس إلى المكان ونزعوا جلودهم، فصاروا فى هيئة البشر، ثم خرجوا إلى الماء يسبحون فيه. وعندما كان الناس- الجاموس يسبحون فى الماء، تسلل الصياد خلسة من الماء ووضع جميع النمل فوق واحدة من جلد الجاموس. فبدأ النمل فى الحال يأكل منها. واختبأ الصياد ثانية.

وعندما انتهى الناس الجاموس من السباحة خرجوا من الماء إلى الشاطئ، وارتدى كل منهم جلده وصاروا جاموسا، ومضوا بين الأدغال. وأراد الأخير أن يأخذ جلده هو الآخر. وكان هذا الجلد هو الذى وضع الصياد النمل فوقه. وكان النمل قد أكل من الجلد حتى أحدث به ثقوبا كبيرة. وعندما أراد الإنسان الجاموس أن يرتدى الجلد تمزق من فوقه وسقط على الأرض. فترك الجلد وفر هاربا من دونه، مقتفيا أثر بقية الجاموس بين الأحراش.

خرج الصياد من مكمنه وحمل الجلد الممزق وذهب به إلى المدينة نحو الحداد. عرض الجلد على الحداد وقال:

- لقد قمت بما أمرتنى به. وعندما أراد الإنسان الجاموس ارتداء الجلد وجده ممزقا بعد أن أكل النمل منه. فأخذت الجلد وأحضرته إلى هنا.

- لقد فعلت الصواب، وسوف أصلح الجلد.

بعد ذلك أخذ الحداد شجرة فقطع منها قناعا للجاموس ألصقه بالجلد. وكـــان الجلد قد تمزق ولم يتماسك ، فبدل الممزق منه بألياف نبات الحمـــام، ثـــم أعطـــى الحداد القناع للصياد.

وهكذا كانت هذه هى المرة الأولى التى صُنع فيها القناع. ومنذ ذلك الحـــين يشترى من الحداد كل من يريد أن يضع مثل هذا القناع.

٥١- كيف جاء الفرق فى نمط الحياة بين الجوتينتوت[١] والبوشمن؟

فى البداية كان هناك اثنان فقط من البشر. كان أحدهما يقوم بالصيد، أما الآخر فكان ضريرا. وذات مرة عثر الصياد على حفرة فى الأرض، والتى خرج منها وحش ما قام بقتل جميع الحيوانات الصغيرة. وشعر الضرير برائحة الطريدة، فقال للصياد:

- هذه ليست طريدة، بل إنها بقرة.

بعد مرور بعض الوقت أبصر الضرير. فذهب مع الصياد إلى نفس الحفرة فى الأرض، حيث شاهد هناك الأبقار تخرج منها مع صغارها. حينئذ قام على وجه السرعة ببناء سور حول هذا المكان الذى تحول إلى حظيرة، ثم قام بتغطية جسمه بالزيت الذى أذابه من الدهن، مثلما يفعل شعب الجوتينتوت حتى وقتنا هذا.

فى ذلك الوقت أصبح من الصعب على الصياد العثور على طريدة. فذهب إلى الحفرة وشاهد ما يجرى هناك. وأراد هو الآخر أن يدهن جسمه بالزيت. وقال الرجل للصياد:

- استمع لما أقوله. فى البداية عليك إذابة الدهن فوق النار، ثم دهن جسمك بالزيت المذاب.

---

(١) جوتنتوت- هى مجموعة قبائل السكان الأصليين لأفريقيا الجنوبية، والذين يعيشون الآن فى المناطق الصحراوية لجمهورية جنوب أفريقيا وناميبيا. ويبلغ تعدادهم عدة عشرات من الألوف. وتنتمى إلى لغة الجوتينتوت اللغات: ناما، وكورانا، وجريكوا وغيرها، وكذلك السانداوية، وهى لغة القبائل التى تعيش فى منطقة كوندوا (الواقعة فى شمال تنزانيا). وهذا الأمر يشهد على أن الجوتينتوت قد عاشوا فى وقت ما فى شرق أفريقيا.

قام الصياد بفعل ما قاله الرجل. لكنه ما إن ألقى بالدهن فوق النـــار، حتـــى تطاير اللهب وأحرق وجهه. وحملوا الصياد بالكاد من هناك. وكان ســـعيدا لأنـــه استطاع النجاة والهروب قبل أن يحترق. أما الآخر فصرخ فى أثره يقول:

- خذ هراوة معك واذهب إلى الجبل للبحث عن العسل.

وقد جاء جميع أفراد البوشمن من ذلك الصياد.

٥٢ـ أصل السود والبيض:



منذ زمن بعيد كان لدى مونى بوتا ابنان: أحدهما يدعى مانى كونجو، والآخر زونجا. وذات يوم، فى الصباح الباكر وعند صياح الديك، أمرهم الأب بالذهاب إلى البحيرة التى تقع بالقرب منهم والاستحمام فيها. وصل زونجا أولا ولاحظ بدهشة أن جسمه يتحول إلى اللون الأبيض ما إن ينزل إلى الماء. وسرعان ما انضم مانى كونجو إلى أخيه كى يسبح هو الآخر. لكنه ظل محتفظا بلونه الأسود. وبعد ذلك عاد الاثنان إلى كوخ والدهما الذى عرض عليهما أشياء مختلفة موضوعة على الأرض. وطلب من كل منهما أن يختار منها ما يناسبه. فأخذ زونجا ورقة وريشة ومنظارا وبندقية وبارودا. أما مانى كونجو فقد فضل أن يأخذ الأساور النحاسية والسيوف الحديدية، والأقواس والسهام. وبعد أن قاما باختيار تلك الأشياء، لم يستطيعا العيش معا كما فى السابق. وبعد مرور بعض الوقت قرر الوالد أن يفرق بينهما. ومضى الاثنان فى طريقهما، وسارا طويلا طويلا حتى شاهدا البحر. فغطس زونجا فى مياهه، وأصبح هو الأصل الذى انحدر منه البيض، أما نانى كونجو فقد ظل فى مكانه وأصبح منشأ السود.

٥٣ـ حكايات حول خيتسى إيبين[1]:

١ – عبور النهر:

كان خيتسى إيبين– أو كابيب– ساحرا مجيدا وعظيما فى قبيلة النماك. فقد كان بوسعه فك الأسرار والتنجيم بما سوف يحدث.



ذات مرة عندما كان يطوف الأرجاء مع الكثير من أتباعه، سار الأعداء يتبعونه. وعندما وصل خيتسى إيبين إلى النهر قال:

– تراجع إلى الخلف يا والد جدى حتى يمكنني العبور بسلام، وبعد ذلك عد وضم ضفتيك مرة أخرى.

كان هذا ما جرى بالفعل كما طلب الساحر، واستطاع كل من كان معه عبور النهر بسلام.

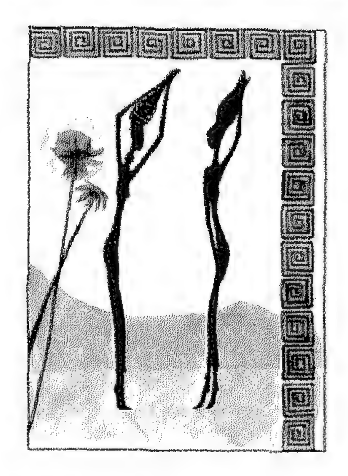
حينئذ حاول الأعداء العبور مثله. وطلبوا من النهر أن ينشق ويفسح لهم طريقا، ولكنهم عندما وصلوا إلى منتصفه ارتفعت المياه من حولهم حتى أغرقتهم تماما.

---

(١) خيتسى إيبين هو الشخصية الرئيسية فى أساطير الجوتينتوت، وهو الجد الأساسى لهم الذى يتمتع بقدرات خارقة سحرية فى الحكاية أو الأسطورة المذكورة.

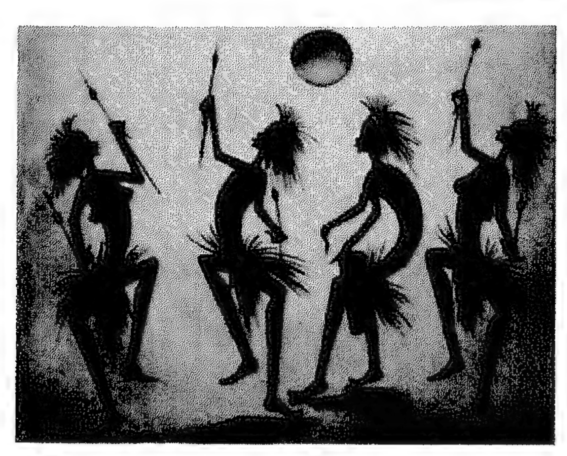
٢- انتصار خيتسى إيبين:

نموذج "أ" من الحكاية



كانوا فى البداية اثنين من السحرة. قام أحدهما بصنع حفرة كبيرة فى الأرض وجلس بجوارها وهو يسأل جميع المارين به أن يقذفوا بالصخور نحو جبهتهم، لكن الصخر كان يرتد فى نفس اللحظة ليقتل من قذفه، ويسقط ميتا فى الحفرة. واستمر الحال على هذا النحو حتى عرف خيتسى إيبين أن العديد من الناس قد ماتوا بهذه الطريقة. عندئذ ذهب خيتسى إيبين إلى ذلك الساحر الذى عرض عليه أن يرميه بصخرة فى جبهته. لكن خيتسى إيبين كان حذرا للغاية، ولم يفعل ما طلبه منه. وقام بصرف انتباهه مشيرا له إلى شىء ما بالخلف. وعندما التفت ذلك الرجل نحو ما أشار له خيتسى إيبين، قام الأخير بضربه على أذنه بقوة هائلة، حتى إن الساحر تدحرج على الأرض حتى وقع فى حفرته من فرط قوة اللطمة. ومنذ ذلك الحين ساد السلم البلاد وأصبح الناس يعيشون فى هدوء وسعادة.

نموذج "ب" من الحكاية



يقولون إن جاجوريب كان يدفع كل من يقترب من الحفرة إليها حتى يسقط بأسفل ويختفي بها، حيث إنه كان الوحيد الذى يعرف موقعها. وعندما جرى هذا الأمر. وصل خيتسى إيبين إلى هناك، وشاهد جاجوريب يتحدث إلى الناس.

أصبح الناس يتدافعون واحد بعد الآخر من حول الحفرة وهم يرددون:

- هيا ادفع هيجبيب لأسفل!

- هيا ادفع جاجوريب لأسفل!

- هيا ادفع هيجبيب لأسفل!

- هيا ادفع جاجوريب لأسفل!

وبهذه الكلمات مضوا يدفعون بعضهم بعضًا، حتى ذلك الوقت الذى ظهر فيه هيجبيب بالحفرة. عندئذ خاطب الحفرة قائلا:

- احمليني لأعلى أيتها الحفرة.

فعلت الحفرة ما أمرها به حتى أصبح خارجها. ومضى الناس يدفعون بعضهم بعضًا مرة أخرى ويسقطون بداخلها وهم يرددون:

- هيا ادفع هيجبيب لأسفل!

- هيا ادفع جاجوريب لأسفل!

لكن فى المرة الثانية، عندما وجد هيجبيب نفسه فى الحفرة طلب منها مجددا:

- ارفعينى لأعلى أيتها الحفرة.

وفى تلك المرة استطاع الخروج منها ثانية.

ومضوا يدفعون بعضهم بعضًا حتى ظهر فى الحفرة جاجوريب، لكنه لم يستطع الخروج منها. ومنذ ذلك الحين والناس يتجولون بحرية بعد أن تخلصوا من جاجوريب الذى انتصر عليه هيجبيب.

٣- كيف كان خيتسى إيبين يأكل العنب؟

يقولون إن خيتسى إيبين عندما كان يتجول مع أسرته ذات مـرة، وجـدوا أنفسهم فى أرض الوادى الذى كان مزروعا بالعنب الناضج. وهنا أصاب خيتـسى إيبين مرض شديد. عندئذ قالت له زوجته الصغرى:

- إن هذا الرجل الجسور قد مرض لأنه أكل العنب. فهنا يقبع الموت.



قال العجوز خيتسى إيبين لابنه أوريزيب:

- إنى أشعر بالموت يقترب منى. وعندما أموت عليك وضع الأحجار فوق قبرى، واختر منها الأحجار الخفيفة وليست الثقيلة. وهناك أمـر آخـر سوف أخبركم به وهو: ألا تأكلوا من عنب هذا الوادى، فإنـه سـوف يتسبب فى موتكم مثلما يجرى لى الآن.

رددت زوجته الصغرى قائلة:

- لقد أصابه المرض لأنه أكل من عنب هذا الوادى. فهيا بنا ندفنه ونرحل من هذا المكان بأسرع وقت ممكن.

وعندما مات قاموا بتغطيته بقطع الصخور الخفيفة كما أمرهم من قبل. وبعد ذلك رحلوا وغادروا المكان.

وصلوا إلى مكان آخر واستقروا به. لكنهم كانوا يسمعون أصواتا تتردد من ذلك المكان الذى أتوا منه، كما لو أن أحدا ما يأكل من العنب ويغنى.

أنا والد أوريزيب

أنا والد البائس الغريب،

وقد مت بعد أكل العنب،

لكنى بقيت حيا بعد الكرب.

لاحظت الزوجة الصغرى أن الأصوات تتردد من ذلك المكان الذى يقع به قبر العجوز فقالت لأوريزيب:

– اذهب وانظر لما يجرى هناك.

وعندما وصل الابن إلى قبر العجوز شاهد بعض الآثار فى المكان. فتعرف فى الحال على آثار والده. وعندما عاد قالت الزوجة الصغرى:

– إنه بالتأكيد خيتسى إيبين. وهذا ما ينبغى عليك فعله:

تسلل بحذر إلى ذلك الذى أكل العنب، واذهب إليه من الجانب الآخر، واقطع عليه الطريق إلى المقبرة حتى لا يتمكن من العودة إليها، وعندما تمسك به اقبض عليه بقوة ولا تتركه يفلت منك.

فعل أوريزيب ما قالته الأم. فقطع الطريق أمام والده إلى المقبرة. وعندما رأى الوالد ما جرى قفز من بين أشجار العنب وانطلق هاربا. لكن أوريزيب استطاع الإمساك به عند المقبرة.

عندئذ قال خيتسى إيبين:

– اتركنى حتى لا تصاب بالعدوى منى، حيث إننى كنت ميتا.

لكن الزوجة الصغرى قالت:

- أمسك هذا الكاذب بقوة أكثر.

وهكذا، اصطحبوه معهم إلى المنزل. ومنذ ذلك الحين عادت إليه عافيته مرة أخرى وأصبح يفيض قوة وحيوية.

٥٤ـ الحكايات حول أوكومفو آنوتشى[١]:

كانت هناك امراة تدعى كوبا، وكان زوجها يدعى أنو. وقد أنجب الزوجان ولدا أطلقوا عليه اسم كوامى فريمبونج[٢]. لم يكن كوامى ولدا عاديا. فقد بدأ فى الكلام عندما بلغ ستة أشهر من عمره فقط. وعندما كان يلعب مع الأطفال وهو فى العامين من العمر كان يقوم بالمعجزات. فعندما كان يلقى بصخرة إلى السماء تتحول الصخرة إلى طائر. وكان لدى كوامى فريمبونج القدرة على إنزال المطر والتنبؤ بالأحداث.

كان الناس يصابون بالدهشة لدى رؤيتهم معجزاته، فيخبرون بها أهله كى يذهبوا بالصبى غير العادى ليتلقى الدراسة عند أبوسوما[٣]. وفعل الوالدان ما اقترحه عليهم الناس.

---

(١) أوكومفو آنوتشى هو البطل الملحمى فى فلكلور الأكان (الأكان هى مجموعة عرقية تسكن المناطق الجنوبية من غانا وشاطئ ساحل العاج، ويزيد تعدادهم على ستة ملايين نسمة. ومن الناحية اللغوية تنقسم لغة الأكان إلى مجموعتين: الشرقية والغربية، وهى تنتمى إلى مجموعة اللغات الجوينية) الذى تتحدث عنه سلسلة كاملة من الروايات والترانيم والأغانى.

(٢) كوامى فريمبونج (كلمة تعنى:"السبت")، أما الجزء الأول من الاسم فهو يدل عادة على اليوم الذى وُلد فيه الصبى من أيام الأسبوع.

(٣) أبوسوما– هو الرب لدى الأشانتى، الذين يعتقدون فى أن نياما هو رب السماء.

عندما انتهى الفتى من الدراسة لدى أبوسوما، عاد إلى بيته، وصار الجميع يطلقون عليه بتبجيل اسم أوكومفو آنوتشى كاهن أبوسوما. وتحول الفتى إلى شخص ذى قدرات خارقة حقيقية. فعندما كان يتسلق النخلة، كانت آثار نعليه تنطبعان فوق جذعها. وعندما كان يجلس للعب مع أصدقائه لعبة الأوفار[1]، كانت أصابعه تترك آثارها فوق الصخور. كذلك كان هناك العديد من المعجزات المرتبطة بشخص أوكومفو آنوتشى.

كان أوكومفو آنوتشى كثير الترحال. وقد استقر بعد ذلك لدى صديقه أوسى توتو[2]، الذى ورث فى ذلك الوقت لقب الزعيم فى إحدى قبائل الأشانتى. وأصبح أوكومفو آنوتشى مساعدا مقربا للزعيم أوسى توتو.

كان أوسى توتو كثيرا ما يستمع إلى نصح صديقه، ويقوم بما يشير عليه به. وذات مرة تحدث أوكومفو آنوتشى مع أوسى توتو حول رغبته فى غرس شجيرتين صغيرتين من أشجار الكوم فى مكانين مختلفين. كان على إحدى الشجرتين أن تذبل وتموت، وعلى الأخرى أن تنمو وترتفع. وأعلن أوكومفو آنوتشى أن جميع الأشانتى ينبغى عليهم العيش تحت حماية تلك الشجرة وتأسيس عاصمة دولتهم فى موقعها.

وبعد أن انتهى أوكومفو آنوتشى من الطقوس اللازمة لرسم حدود أراضى الأشانتى، قام بغرس الشجيرتين. وبعد ذلك ماتت إحدى الشجيرتين بالفعل، أما الأخرى فقد نمت خلال يوم واحد وتحولت إلى شجرة عملاقة مترامية الأغصان. وأصبح الأشانتى يحضرون إلى هذا المكان ويعيشون به. وأقاموا مدينتهم حول هذه الشجرة، ليصبح موقعها عاصمة لهم. وأطلقوا عليها اسم كوماسى[3].

---

(١) الأوفارى- هى لعبة بثمار الجوز، تقوم على قذف الثمار لأعلى كى تسقط بعد ذلك فى تجاويف خاصة محفورة فى لوحة خشبية أو فى الصخر.

(٢) أوسى توتو- هو أحد حكام دولة الأشانتى (نهاية القرن ١٧ وحتى أوائل القرن ١٨). وفى عهده بدأت حركة توحد الأشانتى وتحررهم من سلطة القبائل المجاورة التى كانوا يفرضون عليهم الإتاوات. ويرتبط باسمه العديد من الحكايات والروايات.

(٣) اسم مدينة كوماسى يعنى: "تحت ظلال شجرة الكوم". وتقع مدينة كوماو على بعد بضعة عشرات من الكيلومترات منها، ويعنى اسم كوماو: "شجرة الكوم التى ماتت".

لكن قبائل الأشانتى لم تعش فى وئام مع بعضها بعضًا، وكثيرا ما نشبت العداوات بينهم. واستغل الأعداء تلك العداوات، فقاموا بالهجوم على الأشانتى، وأسروا الرجال والنساء، وفرضوا الإتاوات على شعبهم.

أصاب الغم أوسى توتو من جراء هذا الأمر، وشارك أوكومفو آنوتشى صديقه مشاعر الحزن. ووعده بتقديم العون فى سبيل عقد السلم بين الأشانتى، وتوحيدهم فى شعب قوى واحد يمكنهم من مواجهة أى عدو كان.

وذات مرة أمر أوكومفو آنوشتى بجمع كل أفراد الأشانتى عند شجرة الكوم. وعندما وصل الناس نظر أوكومفو آنوتشى إلى السماء ملوحا بالصولجان[١]. فزمجر صوت الرعد، وانشقت السماء، وهبط منها عرش ذهبى[٢]. تعالت آهات الناس. وأمر أوكومفو آنوتشى خلع علامات السلطة من الزعيم ودفنها فى الأرض، ثم أرغم الزعماء على القسم بالحفاظ على وحدة شعب الأشانتى.

أقسم الزعماء بالقسم المقدس. وقال أوكومفو آنوتشى:

- لقد بدأ الأشانتى منذ الآن حياة جديدة، وينبغى نسيان كل ما جرى قبل هذا اليوم إلى الأبد، وليصبح العرش الذهبى رمزا للوحدة.

قام الزعماء بقطع أظافر أصابع أقدامهم علامة على القبول. وقام أوكومفو آنوتشى بإعداد مسحوق خاص من تلك الأظافر، وأشعل النار به. وغطى الدخان المتصاعد العرش بأكمله، لتمتزج روح شعب الأشانتى مع الدخان المتصاعد وتظل هناك للأبد. ولا يوجد لدى شعب الأشانتى ما هو أكثر قداسة من هذا الأثر المقدس المتمثل فى العرش الذهبى الذى يسمى كومفى.

---

(١) الصولجان- يصنع من ذيل أحد الحيوانات- عادة ما يكون الحصان- وله مقبض جلدى، وهو يعد رمزا للسلطة، والجدارة.

(٢) هو الأثر المقدس عند الأكان. ويظل موقعه سريا، غير أن العرش الذهبى يعرض للناس مرة واحدة فى العام، وذلك فى أثناء الاحتفالات الكبرى.



قام أوكومفو آنوتشى بالعديد من المآثر المجيدة فى سبيل سعادة الشعب، وذلك عندما كان يعيش مع أوسى توتو الذى صار أول حاكم للأشانتى، حتى إن أوكومفو آنوتشى كان يأخذ على عاتقه مسئولية موت جميع الناس. وقد جرى هذا على النحو التالى:

قال أوكومفو آنوتشى ذات مرة إنه سوف يحضر الموت ويخدعه. وعندئذ سوف يتوقف الناس عن الموت. لكن أوكومفو آنوتشى حذر فى ذلك الوقت أنه عندما يخدع الموت، فلا ينبغى على أحد أن يبكى ويولول أو يلطم وجه، وإلا فلن يمكن خداع الموت.

أحضر أوكومفو آنوتشى الموت وأغلق البيت عليه. ومر يوم والآخر، وفى اليوم الثالث عاد ابن شقيق أوكومفو آنوتشى من كوماسى. وعندما اقترب من البيت خرجت لمقابلته امرأة عجوز تبكى وتولول. وعندما سألها ابن الشقيق عن سبب بكائها، ادعت المرأة أن أوكومفو آنوتشى قد مات فى الغالب، حيث إنه لا يخرج من البيت ولا يجيب النداء. أخذ ابن الشقيق يبكى مولولا. وحمل الطبل يضرب عليه ويخبر جميع الناس بالخبر المشئوم.

ركض الناس مسرعين وأحاطوا بالمنزل، ثم قاموا بتحطيم الباب. لم يكن هناك أحد. فقد أخذ الموت معه أوكومفو آنوتشى ورحل به[١].

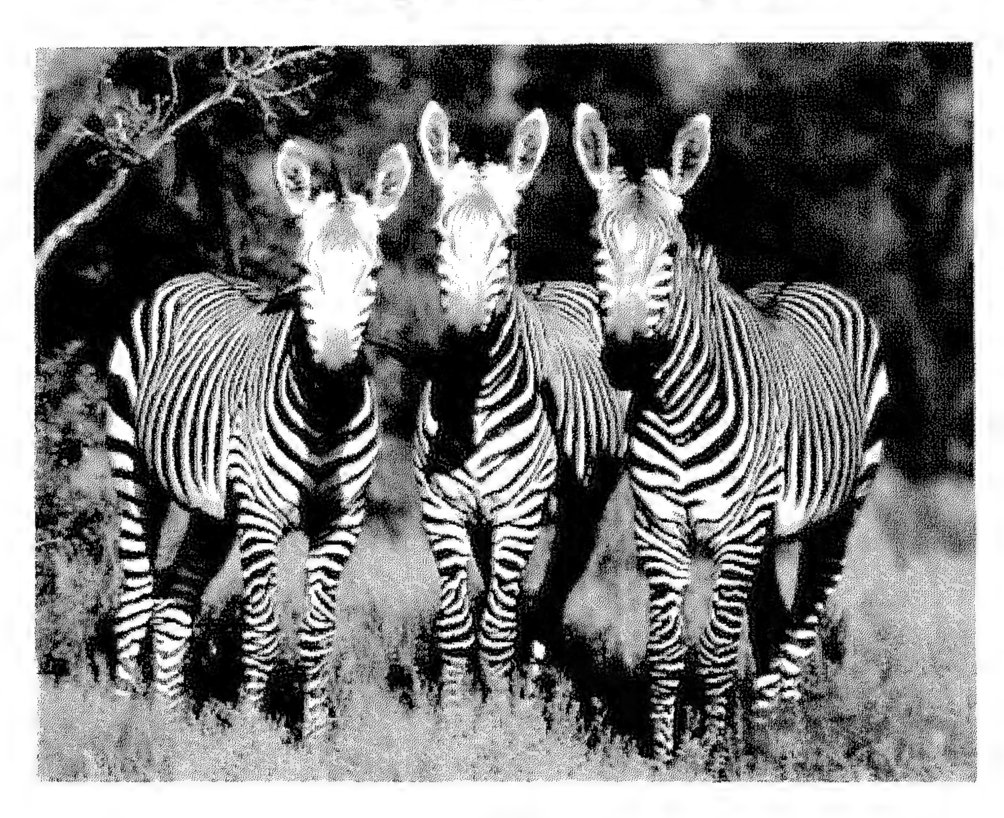
وهذا ما تقوله رواية الأشانتى.

---

(١) تعد هذه الفقرة نموذجا حديثا للخرافة حول أصل الموت، والتى تقوم على أساس موضوع خرق المحرمات.

(القسم الثانى)

الحكايات الشعبية حول الحيوانات



٥٥ـ لماذا يوجد القمر فى السماء؟



عندما أنجب أنانسى[١] ابنه الأول فكر قائلا: "ماذا أطلق عليه يـا تـرى؟". وفجأة نطق الصغير:

– لا داعى لأن تفكر فى اسم لى، فإن اسمى موجود بالفعل، وهو "أكاكاى".

تعنى كلمة أكاكاى "ذلك الذى يمكنه التنبؤ بالمصائب".

أنجب أنانسى الابن الثانى له، الذى أعلن لأبيه هو الآخر بأن لديـه اسـما. وقال له:

– اسمى "توا أكوان".

وتعنى كلمة توا أكوان: "الذى يشيد الطرق".

وُلد الابن الثالث الذى صرخ على الفور:

---

(١) أنانسى هو اسم العنكبوت الذى يعد بطلا شعبيا يتمتع بانتشار واسع فى فلكلور شعب الأكـان. ويوجـد لدى الأكان سلسلة كاملة من الحكايات الشعبية حول أنانسى.

- اسمى "هوا نسو". وهذا الاسم معناه: "القادر على تجفيف النهر".

ولد الابن الرابع الذى صرح بأن اسمه "أدفافو"، والذى يعنى: "ممزق الفرائس".

أما الابن الخامس "توتو أبو"، والذى يعنى: "قاطع الأحجار".

كان اسم الابن السادس "دايا"، ويعنى: "الراقد على الأرض مثل الوسادة".

فى تلك الأيام كان لدى أنانسى ستة أبناء فقط. ولم يكن قد ولد بعد "إنتى كوما"، و"كواكو تسين".

ذات مرة خرج كواكو أنانسى يجوب الأرجاء. ومرت بضعة أسابيع وهو لم يعد من ترحاله بعد. فاستطاع الابن الأكبر أكاكاى؛ الذى كان يتمتع بالقدرة على التنبؤ بالمصائب؛ معرفة أن أنانسى قد سقط فى النهر بمكان قريب من الأدغال.

قام الابن الثانى توا أكوان "الذى يشيد الطرق" بتمهيد الطريق فى الأحراش. فاستطاع الأشقاء الوصول إلى شاطئ النهر.

أما هوا نسو- القادر على تجفيف النهر- فقام بتجفيف مياه هذا النهر. ووجدوا فى القاع سمكة كبيرة كانت قد ابتلعت أنانسى.

أما إدفافو- ممزق الفرائس- فقام بتمزيق السمكة وأخرج والده منها.

قام الأبناء بحمل أنانسى إلى شاطئ النهر. وفجأة حلق طائر الرخ الكبير من فوقهم، واختطف أنانسى وحمله محلقا به بعيدا.

قام توتو أبو؛ قاطع الأحجار؛ بقذف حجر إلى أعلى أصاب به الرخ، فاضطر إلى ترك أنانسى.

وعندما أخذ أنانسى يسقط من عل نحو الأرض رقد دايا فوق الأرض كالوسادة وسقط الوالد فوقه.

وهكذا، أنقذ الأبناء الستة والدهم أنانسى كواكو. وذهبوا به إلى البيت فى قريته الأم.

بعد مرور وقت قليل خرج أنانسى ذات مرة يتجول فى الغابة. فشاهد هناك شيئا ما منيرا رائع الجمال. كان هذا الشيء هو القمر.

لم ير أنانسى شيئا بهذا الجمال من قبل. فقرر أن يهدى القمر لأحد أبنائه.

وأخبر نيامى رب السماء عن الشيء الثمين الذى عثر عليه. وطلب منه أن يمنح القمر لأحد أبنائه كهدية، وأن يستحقها منهم من تميز عن الآخرين فى إنقاذه من النهر.

ذهب رب السماء وأخذ القمر. وأرسل أنانسى فى طلب أبنائه. وعندما وصل الأبناء وشاهدوا القمر أراد كل منهم الحصول عليه هدية له. لكنهم اختلفوا فيما بينهم، وصرح كل منهم بأنه الأحق فى تلك المكافأة، بما فيهم ذلك الذى رأى أنانسى فى النهر، والآخر الذى مهد الطريق، والثالث الذى جفف مياه النهر، والذى مزق السمكة وأخرج منها أنانسى، والذى قذف بالحجر فأصاب الرخ، والأخير الذى رقد كوسادة فوق الأرض.

وامتد خلافهم بلا نهاية وهم لا يسمعون بعضهم بعضا. وقدم كل منهم مبرراته. وفى نهاية الأمر أخذوا يتشاجرون، ولم يستطع نياما رب السماء أن يحسم الأمر: من منهم الأجدر بالمكافأة؟

ظل يستمع للشجار القائم طويلا. وفى النهاية أصابه الضجر من الأمر، فنهض من مكانه، وارتفع صاعدا إلى السماء حاملا القمر معه.

وهذا هو السبب فى وجود القمر بالسماء الآن، وذلك بعد أن حمله نياما إلى هناك، ولم يتركه على الأرض حيث عثر عليه أنانسى.

٥٦ - أنانسى - أكبر الكائنات الحية عمرا:

ذات مرة اختلفت حيوانات الحقول والغابات فيما بينها حول من منهم أكبر عمرًا، وبالتالى أجدر بالاحترام والتبجيل من الآخرين. وأخذ كل منهم يؤكد قائلا: "أنا أكبر عمرا من الكل".

امتد الخلاف بينهم طويلا حتى اشتد وطال، وأخيرا قرروا اللجوء إلى القاضى ليحكم بينهم. فذهبوا إلى بيت العنكبوت أنانسى وقالوا له:

– كواكو أنانسى، إننا لم نستطع أن نحسم مسألة الأجدر منا بالاحترام والتبجيل. فافصل أنت فيما بيننا!

أمر أنانسى أولاده أن يحضروا له قشرة من الجوز، ثم تربع فوقها بوقار كزعيم حقيقى للقبيلة، ومضى يستمع إلى الحضور.

بدأ الحديث طائر الغرغر فقال:

– أقسم بأن هذه هى الحقيقة. وأننى الأكبر عمرا من جميع الكائنات الحية. فعندما وُلدت اندلع حريق هائل فى الغابة، ولم يستطع أحد فى العالم أن يطفئ هذا الحريق المروع عداى. وقد انطلقت إلى قلب النار واستطعت إخمادها، حتى إننى أصبت بحروق شديدة. ويمكنكم أن تتأكدوا بنفسكم من قولى لو نظرتم إلى أقدامى التى ما زالت حمراء حتى هذا الوقت.



حينئذ صاح الجميع فى صوت واحد:

- نعم، نعم! إنه أكبرنا عمرا!

نهض الببغاء وهتف:

أقسم بأننى أقول الحقيقة. فأنا أكبر جميع الكائنات الحية عمرًا. وعندما ظهرت فى هذا العالم لم يكن هناك أية أدوات ولا أسلحة. وقد قمت أنا بصنع أول مطرقة للحداد. وكنت أطرق الحديد بمنقارى، وأظل أضربه به حتى التوى منقارى كما ترون.



نظر الجميع إلى منقار الببغاء وهتفوا يقولون:

- نعم، نعم! إن الببغاء هو أكبرنا فى واقع الأمر.

جاء دور الفيل للحديث فقال:

- أقسم بأننى أقول الحقيقة. وأننى أكبر عمرا من الغرغر والببغاء. فعندما وُلدت منحنى رب السماء أنفا طويلا ومريحا للغاية. ولكن عندما مضى رب السماء فى خلق بقية الحيوانات لم تكفه المواد اللازمة لذلك، وأصبح لديهم أنوف صغيرة للغاية.

نظرت الوحوش بعناية إلى أنف الفيل وهتفت قائلة:

- نعم، نعم! إن الفيل هو أكبرنا عمرًا فى حقيقة الأمر.

تحدث الأرنب فى أثر الفيل:

- أقسم بأننى أقول الحقيقة. وأننى أكبر عمرا من الجميع. فعندما ظهـــرت إلى العالم لم يكن هناك نهار ولا ليل.

أخذ الجميع يصفقون للأرنب وهم يصيحون:

- نعم، نعم، نعم! أليست هى الحقيقة؟ إنه أكبرنا عمرا!

وتحدث أخيرا أبو الشوك:

- أقسم بأننى أقول الحقيقة. وينبغى عليكم جميعا الاعتراف بأننى أكبـــركم عمرا. فعندما وُلدت لم تكن الأرض قد اكتملت بعد، بل كانت طرية مثل الزبد ويصعب السير فوقها.

كان البرهان مقنعا. ورحب الحضور بأبى الشوك وهم يهتفون بصوت عال:

- نعم، نعم، نعم! حقا، من يمكن أن يكون أكبر عمرا منه؟!

خيم الصمت على الجميع، وجلسوا يترقبون قرار أنانسى.

جلس أنانسى متربعا فوق قشرة الجوز، ثم قال وهو يهز رأسه:

- لو أنكم جئتم إلىَّ من قبل، لما اختلفتم فيما بينكم، فإن أكبر الكائنات الحية عمرا هو أنا. فعندما ولدت لم توجد الأرض بعد، ولم يكن هناك شـــىء يمكن الوقوف عليه. وعندما مات والدى لم يكن هناك مكان لدفنه بـــه. لهذا؛ فقد اضطررت أن أدفنه فى رأسى.

هتفت الوحوش قائلة بعد أن سمعت كلام أنانسى:

- نعم، نعم، نعم! إن أكبر الجميع عمرا هو كواكو أنانسى. وهل يمكن الشك فى هذا الأمر؟

٥٧ـ كيف حصل العنكبوت على الحكايات من الرب؟

ذهب العنكبوت كواكو أنانسى ذات مرة إلى نيان كونبون رب السماء، وسأله قائلا:

– امنحنى حكاياتك.

فسأله نيان كونبون ساخرا:

– وهل يمكنك أن تدفع لى المقابل الذى أريده؟

رد العنكبوت:

– نعم، أظن أنه يمكننى.

قال نيان كونبون مستهجنا:

– لقد جاء من قبلك كوكومفو، وبيكوان، وأسومينجيا، ورحلوا خالين الوفاض، ثم تأتى أنت من بعدهم أيها العنكبوت البسيط لتطلب منى أن أعطيك الحكايات!



سأل العنكبوت:

– ما الذى تريده مقابل حكاياتك؟

- لن أعطيك شيئا قبل أن أحصل على حية الصخر أونينى، والفهد أوسيبو، وروح مواتيا، والدبور موبورو.

- حسنا، سوف تحصل على كل هذا، بالإضافة إلى أمى العجوز نسيو هدية منى إليك.

وافق رب السماء قائلا:

- حسنا، سوف تحصل على الحكايات لو قمت بما وعدت به.

عاد العنكبوت إلى بيته وقال لأمه:

- أريد الحصول على حكايات نيان كونبون، وقد وعدته أن أعطيه فى المقابل حية الصخر أونينى، والفهد أوسيبو، وروح مواتيا، والدبور موبورو، وكذلك أنتِ يا أمى.

مضى كواكو أنانسى بعد ذلك يتشاور مع زوجته آسو حول الطريقة التى ينبغى عليه اتباعها كى يحقق الرغبة الأولى للرب فى الحصول على حية الصخر أونينى.

قالت آسو:

- اذهب واقطع غصنا من النخلة، وقم بجدل بعض السيقان.

وعندما أحضر العنكبوت كل ما طلبته الزوجة قالت له:

- والآن عليك الذهاب إلى جدول الماء، واحمل معك الغصن والسيقان المجدولة.

ذهب كواكو أنانسى إلى جدول الماء الذى عاشت فيه حية الصخر. ومضى يتجول عند ضفته وهو يتحدث بأصوات مختلفة: "هذا أطول من ذاك، أما ذاك فأكثر من هذا. لا، لا هذا هو الأكثر وذاك هو الأطول".

استمعت الحية إلى ما قاله فسألت:

– ما الذى يعنيه هذا؟

– إنها زوجتى التى اختلفت معى فى أن غصن النخلة هذا أطول منكِ، وأنا أقول بأنك أطول منه.

قالت الحية:

– أحضر الغصن هنا، وسوف يُحسم الخلاف بينكما عندما تقيس طولى.

حمل أنانسى الغصن ووضعه موازيا لجسم الحية، ثم طلب منها قائلا:

– والآن تمددى ما بوسعك.

تمددت أونينى، فقام أنانسى على الفور بربطها إلى الغصن بالسيقان المجدولة.

قال أنانسى:

– أيتها الحية الحمقاء سوف أحملك الآن إلى نيان كونبون، وآخذ فى المقابل الحكايات منه.

مضى العنكبوت يجر من خلفه الحية، وذهب إلى رب السماء. وعندما رأى نيان كونبون حية الصخر أونينى قال:

– حسنا، لقد حصلت على الحية، لكن هذا ليس كل الأمر.

عاد كواكو أنانسى وقال لزوجته:

– والآن جاء الدور على الدبور. فكيف يمكننى الإمساك به؟

ردت آسو قائلة:

– خذ معك وعاءً مملوءًا بالماء واذهب إلى الغابة.

فعل العنكبوت ما قالته الزوجة. فذهب إلى الغابة يبحث عن عش الدبور حتى عثر عليه، ثم رفع غطاء الإناء ونثر منه الماء على الدبور. وصب فوق جسمه ما تبقى من الماء، ثم قطع ورقة من شجرة الموز وغطى بها رأسه. وبعد أن قام بكل هذا خاطب الدبور قائلا:

- انظر، إن المطر يسقط وسوف يبللك، وهأنا قد احتميت من المطر بورقة الموز. أليس من الأفضل لك أن تختبئ فى هذا الوعاء حتى لا يصل المطر إليك؟

هتفت الدبابير فى صوت واحد:

- شكرا لك يا كواكو، شكرا لك.

واندفعت جميع الدبابير من العش نحو الإناء. وفى هذه اللحظة أغلق العنكبوت الغطاء بسرعة البرق. وهتف قائلا:

- أيها الحمقى لقد أمسكت بكم. وسوف أعطيكم لرب السماء كى أحصل على الحكايات فى المقابل.

حمل العنكبوت الدبابير إلى نيان كونبون.

- حسنا، لقد حصلت على الدبابير، لكن هذا ليس كل الأمر.

عاد كواكو أنانسى وقال لزوجته:

- والآن لا بد لى من الحصول على الفهد أوسيبو. فكيف يمكننى الإمساك به؟

ردت آسو قائلة:

- عليك أن تحفر حفرة...

قاطعها العنكبوت قائلا:

- لقد فهمت غرضك.

وخرج من البيت يبحث عن آثار الفهد أوسيبو. وسرعان ما عثر عليها، وبدأ فى حفر حفرة بين الأحراش التى سار بها الفهد. قام العنكبوت بحفر حفرة عميقة للغاية، وغطى أعلاها بالأغصان، ثم ذهب للنوم حتى بزوغ أول خيوط النهار، ثم أسرع ينظر إلى الحفرة.

كان الفهد أوسيبو رابضا فى قاع الحفرة. فانحنى العنكبوت فوقها وأخذ يولول باكيا:

- أيها الابن الأحمق! هذه هى نتيجة سكرك. فإن لم تكن ثملا لما وقعت فى هذه الحفرة. والآن أنا الوحيد الذى يمكنه مساعدتك. ولكنى لو أخرجتك اليوم من هذه الحفرة، فإنك سوف تلتهمنى فى الغد أو تلتهم أحدا من أطفالى بلا أدنى شك.

هتف الفهد مستنجدا:

- لا، لا، لن أقوم بهذا! فأخرجنى من هنا!

عندئذ ذهب العنكبوت وقطع غصنين كبيرين، وأنزلهما فى الحفرة قائلا:

- ضع قدما هنا والأخرى هناك.

فعل الفهد كما أمره العنكبوت. ولكن ما إن برزت رأسه من الحفرة حتى أخرج العنكبوت سكينه وطعن بها مؤخرة الفهد، فسقط الفهد ميتا فى قلب الحفرة.

وهنا أنزل العنكبوت سلما فى الحفرة، ثم هبط عليه وحمل الفهد فوق كتفيه، وألقى به من الحفرة إلى الخارج.

وذهب يجر من خلفه أوسيبو إلى رب السماء وهو يردد:

- أوسيبو أيها الفهد عديم الذكاء،

سوف أبادلك بحكايات رب السماء.

وعندما شاهد رب السماء الفهد قال:

- حسنا، لقد حصلت على الفهد، لكن هذا ليس كل الأمر.

عندئذ ذهب العنكبوت إلى البيت، وأخذ ينحت فى شجرة دُمية الأكوا السنوداء الخشبية بوجه أملس، ثم قام بقطعها من الشجرة. وجمع بعض الصمغ دهن به جسم الدمية ووجهها. وبعد ذلك أعد كواكو أنانسى مسحوق البطاطا، ووضع الطعام فى يدى الدمية. وقام بربط خصرها بحبل لفه من حولها، ثم وضعها أسفل شجرة الأودوم[1]. كانت الأرواح تجتمع دائما بالقرب من هذه الشجرة لتمارس ألعابها. وهكذا، ظهرت مواتيا مع شقيقاتها من الأرواح. فاقتربت من الدمية أكوا، وعندما رأت فى يديها مسحوق البطاطا سألت:

- أكوا، هل تسمحين لى بأكل القليل؟

قام العنكبوت فى نفس اللحظة بجذب الحبل، فانحنت الدمية أمام مواتيا. والتفتت مواتيا إلى إحدى شقيقاتها قائلة:

- أترين، لقد سمحت لى بالأكل.

ردت عليها الشقيقة:

- إذا، فلتأكلى.

أكلت مواتيا وشكرت أكوا التى لم ترد عليها. فاعترت الدهشة مواتيا وقالت لشقيقتها:

- هل سمعتِ؟ لقد قلت لها "شكرا" ولم ترد علىَّ.

عندئذ نصحتها شقيقتها قائلة:

- الطميها فوق شفتيها.

---

(١) أودوم هى نوع من الأشجار المنتشرة فى منطقة أفريقيا، والتى يصنع من أخشابها الصلبة العديد من المشغولات الخشبية. (المترجم)

لطمت مواتيا الدمية بإحدى يديها، فالتصقت يدها بوجه الدمية، وصرخت مواتيا:

- لقد التصقت يدى!

نصحتها الشقيقة قائلة:

- الطميها بيدك الأخرى.

والتصقت اليد الأخرى لمواتيا بوجه الدمية. فصرخت مواتيا:

- لقد التصقت هذه اليد هى الأخرى.

- إذا ادفعيها ببطنك.

دفعت مواتيا أكوا ببطنها، فالتصقت البطن بجسم الدمية.

فى هذه اللحظة ركض كواكو أنانسى نحو مواتيا وقام بربطها.

- أيتها الحمقاء، لقد وقعتِ فى يدى! وسوف أمنحك لرب السماء كى آخذ الحكايات مقابلك.

ذهب العنكبوت راضيا إلى بيته. وهناك قال لأمه:

- استعدى، فسوف تذهبين معى كى أمنحك مع مواتيا إلى رب السماء، وذلك مقابل الحكايات.

وصل العنكبوت أخيرا أمام رب السماء يحمل هداياه الطيبة: مواتيا وأمه نسيو.

جمع نيان كونبون شيوخه والزعماء: كونتيرى، وأكواما، وأدونتينا، وجياسى، وأويكو، وأنكوبيا وكيدوما. وعرض عليهم كل ما حصل عليه من العنكبوت، وقال:

- لقد جاء إلى عظماء الملوك فى سبيل الحصول على حكاياتى، لكن أحدا منهم لم يستطع أن يدفع ثمنها. والآن سوف يحصل العنكبوت البسيط

كواكو أنانسى على حكاياتى، وذلك بعد أن نجح فـى تقـديم المقابـل لحكاياتى بالكامل. أترون؟: حية الصخر أونينى والفهد أوسيبو، والدبور موبورو، وروح مواتيا، إنهم جميعا لدى هنا. بالإضافة إلى ذلـك فقـد حصلت على العجوز نسيو أم العنكبوت هدية إضافية منه. لهذا، ينبغى علينا جميعا الثناء على كواكو أنانسى!

هتف الجميع فى صوت واحد:

- هيه!

وقال رب السماء:

- كواكو أنانسى، سوف تحصل من الآن وللأبد على حكاياتى، ومـن الآن فصاعدا سوف يسمونها حكايات العنكبوت وليس حكايات رب السماء.

إن الحكاية التى استمعتم لها- سواء أعجبتكم أم لم تعجبكم- هى حكايتى أنا، وتعود إلى أنا.

٥٨ـ كيف تم جلد الأطفال لأول مرة؟

ذات مرة حلت مجاعة كبيرة بالبلاد. وقام أنانسى ببناء كوخ صغير بالقرب من الغابة واستقر به. وعاشت معه زوجته آسو والأطفال: نيتيكوما، ونيفانكونفيا (صاحب الأقدام النحيلة)، وأفودوت فيدوتفى (صاحب البطن التى توشك على الانفجار)، وتيكو نوكونو (صاحب الرأس الكبيرة للغاية). كان أنانسى يذهب كل يوم إلى الغابة ويجلب ثمار البطاطا البرية، ثم تقوم آسو بإعدادها ليأكل الجميع منها.

ذهب العنكبوت ذات مرة إلى الغابة كعادته. وشاهد هناك قصعة رائعة الجمال، فصاح:

– يا لها من قصعة جميلة.

ردت القصعة:

– اسمى ليس جميلة.

– إذًا، ما هو اسمك؟

– اسمى هو امتلئى حتى آكل.

– إذًا، امتلئى، وسوف أنظر إليكِ وأنتِ تمتلئين.

وهنا امتلأت القصعة بالحساء مع زيت النخيل، وأكل منه أنانسى حتى شبع. ثم سأل قائلا:

– وما هو الشيء المحظور عليكِ؟

– المحظور علىّ بارود البندقية وقدح القرع.

حمل العنكبوت القصعة إلى البيت بعد ذلك. وهناك قام بإخفائها أسفل السقف، وذهب إلى الغابة ثانية. وعاد كعادته إلى البيت حاملا البطاطا البرية التى قامت آسو بإعدادها، ثم نادت على أنانسى لتناول الطعام، وقال أنانسى:

- إن الطعام ضرورى لكِ أنتِ والأطفال بالفعل، أما أنا فقد أصبحت عجوزا، والطعام لن يفيدنى، والأفضل أن تشبعوا أنتم ولا أسمع شكواكم من الجوع.

عندما انتهت آسو والأطفال من تناول الطعام، تسلل أنانسى إلى أعلى سقف الكوخ؛ حيث أخفى القصعة هناك. وقال لها:

- أيتها القصعة الجميلة!

- اسمى ليس جميلة.

- إذًا، ما هو اسمك؟

- اسمى هو امتلئى حتى آكل.

- إذًا، امتلئى فسوف أنظر إليكِ.

وهنا امتلأت القصعة بحساء الفول السودانى، وأكل منه أنانسى. ومنذ ذلك الحين صار يتسلل فى كل يوم إلى أسفل السقف، ويأكل من القصعة الممتلئة بالحساء اللذيذ.

لاحظ نيتيكوما؛ ابن العنكبوت فى ذلك الوقت؛ أن أباه لا يصيبه الهزال على الإطلاق، رغم أنه لا يأكل معهم. وقرر أن يعرف ما يفعله أبوه عندما يكون بمفرده. وعندما خرج أنانسى إلى الغابة كعادته، تسلق نيتيكوما إلى السقف ونظر أسفله فرأى القصعة. عندئذ نادى على أمه وأخوته. وأخذوا جميعا يتفحصون القصعة. وقال نيتيكوما:

- يا لها من قصعة جميلة.

ردت القصعة:

- اسمى ليس جميلة.

- إذًا، ما هو اسمك؟

- اسمى هو امتلئى حتى آكل.

- إذًا، امتلئى فسوف أنظر إليك.

وهنا امتلأت القصعة حتى فاضت بالحساء مع زيت النخيل.

سأل نيتيكوما القصعة؛ بعد ذلك قائلا:

- وما هو المحظور عليك؟

- المحظور علىَّ بارود البندقية وقدح القرع.

عندئذ قال نيتيكوما لأفودوت فيدوتفى:

- اذهب وأحضر لى تلك الأشياء.

أحضر أفودوت فيدوتفى بارود البندقية وقدح القرع. وقام نيتيكوما بوضعهم فى القصعة، ثم هبط الجميع إلى أسفل.

عاد أنانسى من الغابة حاملا البطاطا البرية. وقامت آسو بإعدادها، ونادت على أنانسى لتناول الطعام فرد عليها:

- يبدو أنك نسيتِ ما قلته من قبل. لقد قلت لكِ أنكم يمكنكم أكل البطاطا كلها، فهذا أمر ضرورى لكم، أما أنا فيمكننى البقاء بلا طعام.

أكلت آسو هى والأطفال. واغتسل أنانسى، ثم تسلل متسلقًا إلى السقف وصاح:

- يا لها من قصعة جميلة!

لكن القصعة لم ترد عليه. فكرر أنانسى عبارته مرة أخرى:

- يا لها من قصعة جميلة!

ظلت القصعة على صمتها.

- لا بد أنها لا تجيب علىَّ لأنى وضعتها فوق مفرش قبيح، سوف أحضر لها الآن مفرشا منقوشا وجميلا.

هبط أنانسى وأحضر مفرشا بديعا منقوشا بالرسومات، ثم ارتدى نعله وصعد إلى السقف مرة أخرى. وقام بوضع القصعة فوق المفرش الجديد مرددا:

- يا لها من قصعة جميلة!

لم تنطق القصعة بشىء، فكرر أنانسى عبارته مرة أخرى:

- يا لها من قصعة جميلة!

ظلت القصعة على صمتها. عندئذ مضى أنانسى يتفحص الحجرة حتى شاهد بارود البندقية وقدح القرع، فصرخ قائلا:

- لقد أدركت الآن حقيقة ما جرى. هذه فعلة نيتيكوما! لا بد أنه هو الحقير الذى فعلها.

حطم أنانسى القصعة فى ثورة غضبه، ومزق المفرش المنقوش بالرسومات، وخرج إلى الغابة منطلقًا عبر الأحراش وهو غاضب، وهناك رأى شيئًا رائعًا معلقًا فوق شجرة. كان هذا الشىء هو صوت مبيرى. ففرح أنانسى وهتف قائلاً:

- يا له من شىء جيد، إن هذا الصوت أجمل بكثير من القصعة، وهو بديع حقا!

سمع أنانسى صوتًا يتردد:

- اسمى ليس "بديع".

- وما هو اسمك؟

- اسمى هو عبيرى ديابرادا، أى اجلد ولا تترك الجروح تندمل.

- إذاً، إجلد وسوف أراقبك.

أخذ الصوت يجلد العنكبوت الذى صار يصرخ: "بوى، بوى!".



كان هناك طائر جالسًا بالقرب سمع صراخ العنكبوت وقال له:

- قل: أدفوبيرى، أى اسكن واهدأ!

ردد العنكبوت ما قاله الطائر، فتوقف الصوت عن جلده فى الحال. عندئذ حمل أنانسى الصوت إلى البيت، ووضعه فى نفس المكان الذى وضع به القصعة سابقًا.

فى ذلك الوقت أعدت آسو الطعام وصاحت تنادى:

- أنانسى! هيا لتأكل!

- لا بد أن أذنيك قد أصابهما الصمم ولم تسمعى ما قلته من قبل. فلتعرفى جيدا أننى لن أقرب الطعام ما دمتم أحياءً على الأرض.

صعد أنانسى إلى أعلى السقف، وظل فترة باقيا هناك، ثم هبط وخرج من البيت واختبأ بالقرب منه.

وما إن خرج أنانسى؛ حتى صعد نيتيكوما إلى السقف على الفور، وشاهد هناك الصوت بدلا من القصعة. فصاح مناديا:

- يا أمى، يا إخوتى، هيا تعالوا هنا بسرعة. لقد أحضر الوالد شيئا آخر أجمل بكثير من القصعة!

وعندما صعد الجميع فوق السقف هتف نيتيكوما:

- يا له من صوت بديع!

رد الصوت:

- اسمى ليس "بديع".

- وما هو اسمك؟

- اسمى هو عبيرى ديابرادا، اجلد ولا تترك الجروح تندمل.

- إذًا اجلد وسوف أراقبك.

أخذ الصوت يجلد الجميع بقسوة شديدة.

أما أنانسى الخبيث؛ فقد وقف على مبعدة من المكان وهو يردد:

- هيا اجلدهم، اجلدهم وبخاصة نيتيكوما الذى ينبغى جلده أكثر من الآخرين!

وأخيرًا، وعندما تأكد أنانسى أن زوجته وأطفاله قد تلقوا كفايتهم من الجلد، هتف قائلاً:

- اسكن واهدأ.

حمل أنانسى بعد ذلك الصوت وقام بتمزيقه إلى قطع صغيرة ألقى بها بعيدا.

وهكذا، ظهرت الأصوات لدى الناس. وعندما لا يقوم الأطفال على طاعتكم؛ فإن الصوت سوف يجلدهم كما جلد أطفال العنكبوت.

٥٩ ـ كيف ظهرت الديون لدى شعب الأشانتى؟

لم يعرف الأشانتى الديون فى الأزمنة البعيدة. ولم يكن أحد مدينا بشىء لأحد. ولكن ذات مرة جاء إلى بلادهم غريب قادم من الشمال. وكان عليه دين. فخصص لنفسه أرضا وبنى فوقها بيتًا، ثم قطع عشر نخلات كى يعدوا النبيذ منها. وجمع العصير فى زلعة فخارية ضخمة، وترك العصير حتى يتخمر، ثم ذهب بعد ذلك إلى أكرا لشئون عمله. ولكى يضمن عدم اقتراب أحد من نبيذه قال: "من يشرب من نبيذى فسوف يقع عليه الدين".

دخل العنكبوت أنانسى إلى بيت الغريب بعد رحيله. لم يكن بالبيت أحد. ورأى أنانسى الزلعة الكبيرة المملوءة بالنبيذ. فغمس أصبعه فى النبيذ كى يتذوقه. وعندما أعجبه المذاق أخذ يشرب ويعب منه حتى لم يدرك الليل من النهار. ومضى يترنح ويتمايل على الأرض.

عاد الغريب فى ذلك الوقت من أكرا، وشاهد أنانسى يترنح على الأرض وعلى وجهه ابتسامة عريضة. كانت الزلعة فارغة تقريبًا. لم يشرب أحد من قبل مثلما شرب أنانسى عصير النخلات العشرة الذى جمعه الغريب. فقال الغريب لأنانسى:

– لقد قلت من قبل إن من يشرب هذا العصير سوف يقع عليه الدين. وعليك الآن تسديد هذا الدين.

انتقل دين الغريب إلى أنانسى الذى عاد إلى البيت، وفكر طويلا فى الطريقة التى تخلصه من الدين، حتى واتته تلك الفكرة.

قام بزرع القمح، ثم وقف فى منتصف الحقل يصيح:

– إن كل هذه الحبوب ملك لى! وسوف يسد دينى من يسرقها.

نمت أعواد القمح ونضج الحب. وفى أحد الأيام حلق الغراب فوق حقل أنانسى عند الفجر، والتهم بعض الحبوب. استيقظ أنانسى وخرج إلى الحقل؛ فشاهد الغراب يلتقط الحب بمنقاره. فصرخ فيه:

- أوه! ألم تستمع لما قلته من قبل؟ عليك الآن تسديد دينى!



انتقل دين أنانسى إلى الغراب. وطار إلى عشه الواقع فوق شجرة الأفوكادو العالية، ووضع ثلاث بيضات:

- من يكسر هذه البيضات عليه تسديد دينى.

قال الغراب عبارته وابتعد محلقًا فى الهواء.

هبت عاصبة هوجاء جعلت الشجرة تتمايل؛ فسقط فرع منها فى العش وحطم البيض. وعندما عاد الغراب أخذ يصرخ قائلاً:

- لقد حطمت الشجرة بيضى. فعليها الآن تسديد دينى!

قالت الشجرة من يسرق ثمارى سوف يسدد دينى.

سار قرد بالقرب من شجرة الأفوكادو. وتسلق جزعها فأخذ يقطف الثمار منها. فهتفت الشجرة بفرح:

- أوه! عليك أن تسدد الدين!

وهكذا، أصبح القرد مدينًا، وفكر كثيرا فى كيفية التخلص من دينه، وأخيرا واتته فكرة:

- من يأكل لحمى عليه تسديد دينى.

سار القرد فى الغابة ومضى يقفز من غصن لآخر. وفجأة انقطع الغصن به فسقط على الأرض عند أقدام الخنزير البرى تماما.

هجم الخنزير على القرد وعضه بقوة. فصرخ القرد قائلا:

- لقد تذوقت لحمى فسدد دينى. وقد أصبح شأنك منذ الآن!

وهكذا أصبح الخنزير مدينًا وهتف قائلاً:

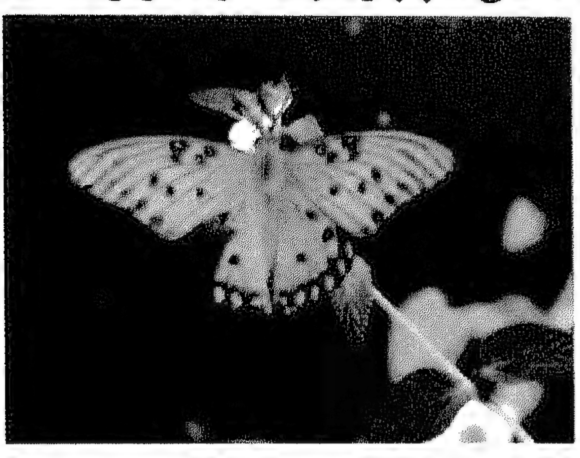
- سوف أردد ما قاله القرد! فمن يأكل من لحمى عليه أن يسدد دينى.

مر صياد بالقرب من المكان. وعندما شاهد الخنزير قتله وحمله إلى القرية. وقام بتقطيع لحم الخنزير إلى قطع صغيرة وزعها على سكان القرية. وأكلت القرية كلها من لحم الخنزير. جاء أنانسى بعد ذلك إلى سكان القرية وقال:

- بما أنكم أكلتم لحم الخنزير؛ فعليكم تسديد دينه.

وهكذا أصبح الأشانتى مدينين. واستطاع القليل منهم تسديد دينه، أما البقية فقد ظل الدين عليهم حتى وقتنا هذا. والمذنب فى كل هذا الأمر هو - أنانسى.

٦٠ـ لماذا يأكل أنانسى الذباب والفراشات والناموس؟



فى أحد الأيام خرج للصيد كل من: الذبابة، والفراشة، والناموسة. وذهبوا جميعًا إلى الغابة؛ حيث صادفوا العنكبوت أنانسى؛ فهتفوا معا:

– إننا سوف نأكلك!

هجموا عليه ونشبت بينهم معركة شرسة. لكن أنانسى كان الأقوى فى هذا الصراع ولم يستطع ثلاثتهم التفوق عليه.

وبعد صراع دام طويلا قرروا أخذ قسط من الراحة. عندئذ سأل أنانسى:

– لماذا هجمتم علىَّ؟

أجاب كل من: الذبابة، والفراشة والناموسة:

– لأننا جائعون، وأنت تعرف أن الكل ينبغى أن يأكل شيئًا ما.

– لكنى أنا الآخر أتضور جوعًا. فلماذا لا يمكننى التهامكم؟

ردوا عليه قائلين:

– لأنك لست قويا بالدرجة التى تجعلك تتفوق علينا.

قال أنانسى:

– وأنتم كذلك لست أقوياء كى تتفوقوا على. فهيا بنا نتفق على أمر. ليقم كل منكم بارتجال حكاية ما. فإذا لم أصدقها يمكنكم عندئذ أن تلتهمونى، ثم أقص عليكم بعد ذلك حكاية ما، وإذا قلتم أننى كاذب فسوف ألتهمكم.

وافق الجميع. وبدأت الفراشة قصتها فقالت:

– قبل أن أخرج إلى العالم انتقل والدى إلى أرض جديدة. لكنه فى ذلك اليوم جرح قدمه بمنجل الحقل ولم يعد بوسعه العمل. عندئذ قمت أنا بتنظيف الأرض من الأعشاب والطفيليات وإعدادها للزراعة، ثم جمعت المحصول ووضعته فى العنبر. وبعد مرور بضعة أيام وُلدت، وكان والدى قد أصبح غنيا بالفعل.

نظرت الفراشة والذبابة والناموسة إلى أنانسى فى انتظار أن يقول: "هذا أمر لا يمكن حدوثه!" كى يقوموا بالتهامه، لكن أنانسى صاح قائلا:

– يا لها من قصة واقعية. نعم، لقد حدث كل هذا بالفعل.

بدأت الناموسة فى الحكى بعد ذلك فقالت:

– عندما كان عمرى أربع سنوات جلست فى الغابة ارتاح بهدوء فوق أحد الأفيال الذى قتلته للتو. كنت فى مزاج رائع للغاية. وكانت لدى الرغبة فى اللعب. وهناك رأيت فهدا يتجول فى الغابة. فقمت بمطاردته. وما إن أوشكت على الإمساك به حتى التفتَ نحوى وفغر فاه كى يبتلعنى؛ فدفعت يده إلى حلقه بسرعة. وغصت بداخله حتى أمسكت ذيله من الداخل، ثم جذبته نحوى حتى أخرجت داخله إلى الخارج. وكان الفهد قد التهم خروفًا لتوه. وها هو الخروف قد أصبح فى الخارج والفهد بالداخل. قام الخروف بتقديم شكره وعرفانه لى من أجل ما فعلته له، ومضى فى سبيله يرعى العشب.

ونظرت الفراشة والذبابة والناموسة إلى أنانسى فى انتظار أن يقول: "هــذا أمر لا يمكن حدوثه!" كى يقوموا بالتهامه بعد ذلك، لكن أنانسى قال:

- إنها الحقيقة الجلية مثل الشمس بعينها!

والآن حل الدور على الذبابة لتحكى قصتها فقالت:

- هذه هى حكايتى. ذات مرة خرجت إلى الغابة للصيد، ووقعت على أثــر للظبى. فقمت بإطلاق النار عليه، ثم ركضت بــسرعة فائقــة للأمــام وأمسكت بالظبى وقلبته على جنبه. وسلخت جلده وقطعته إلــى أربعــة أجزاء. فى ذلك الوقت مرت الرصاصة التى كنت قد أطلقتها من بندقيتى بالقرب منى. فأمسكت بها ووضعتها فى البندقية ثانية. كنت جائعة؛ فرفعت اللحم فوق قمة الشجرة. وأشعلت نارا فى أغصانها كى أسلقه عليهــا، ثــم التهمت الظبى بأكمله. وعندما جاء موعد هبوطى من فوق الشجرة كنــت ممتلئة بالطعام حتى ثقلت بطنى، وأصبح من الصعب علىّ الهبــوط إلــى الأرض. فركضت فوق الشجرة أبحث حتى عثرت علــى حبــل ربطتــه بالشجرة، ثم نزلت عليه بحذر حتى هبطت بأمان إلى الأرض.

جلست فى هدوء كل من الفراشة والذبابة والناموسة فى انتظــار أن يقــول أنانسى: "هذا أمر لا يمكن حدوثه!" لكنه بدلا من ذلك قال:

- هذه أصدق الحكايات التى سمعتها طوال حياتى فى هذا العالم.

جاء الدور على أنانسى الذى مضى يحكى:

- قمت فى العام الماضى بغرس نخلة جوز الهند. لم يمر شهر حتى نمــت وترعرعت. كنت جائعًا للغاية، فقطعت من النخلة ثلاث ثمار. فتحــت الأولى منها بالسكين فطارت من داخلها ذبابة، وفتحت الثانية فطــارت من داخلها الفراشة. وعندما فتحت الثالثة طارت منها الناموســة، لكــن

تلك الشجرة التى كبروا بها هى نفسها التى زرعتها أنا، مما يعنى أن الذبابة والفراشة والناموسة ملك لى أنا. وقد أردت أن ألتهمهم، لكنهم فروا هاربين منى. ومنذ ذلك الحين وأنا أبحث عنهم كى ألتهمهم. وهأنا أخيرًا قد عثرت عليهم: يا ذبابتى، ويا ناموستى، ويا فراشتى!

صمتت الذبابة والناموسة والفراشة. فسألهم العنكبوت:

- ألا تريدون قول شيئًا ما؟

كانوا يريدون ترديد ما قاله أنانسى من قبل: "هذه هى الحقيقة بعينها! الحقيقة المطلقة!"، لكن الجرأة لم تتملكهم؛ لأن أنانسى كان ليأكلهم لو قالوا مثله.

ولم يستطيعوا القول إنه كاذب أشر، لأنهم عندئذ سوف يخسرون الرهان، وسوف يلتهمهم أنانسى فى جميع الأحوال.

لم يعد بوسعهم القول إنه محق أو إنه كاذب، لهذا فإنهم استداروا وولوا هاربين.

وحتى يومنا هذا، وفى كل مرة يمسك فيها أنانسى بالذبابة أو الفراشة أو الناموسة؛ فإنه يقوم بالتهامهم؛ لأنه استطاع خداعهم، وتفوق عليهم فى الكذب.

٦١. لماذا تتجول الأفيال فى كل مكان؟

كان العنكبوت أنانسى يتجول فى الغابة ذات مرة، عندما شاهد الفيل إسونو. كان إسونو يلهو، ويقوم بتجربة قوته فى اقتلاع الأشجار من بذورها وإلقائها. وبدا للعنكبوت أن الفيل يتباهى بقوته، فتملك منه الغضب وأخذ يتحرش بإسونو مرددا:

- من هذا الأحمق الذى ينزع العشب والأشجار؟

نظر الفيل بدهشة متلفتا حوله. وعندما شاهد أنانسى سأله:

- هل أنت الذى تتحدث معى؟

رد أنانسى:

- نعم إننى أتحدث إليك.

ثار الفيل ثورة عارمة وقال:

- ماذا جرى لعقلك؟ هل مللت حياتك؟ لو وطأتك تحت قدمى فلن يبقى منك سوى أثر مبلل.

استمر العنكبوت يقول بشجاعة:

- حسنا، فلنجرب من منا الأقوى.

وهنا كاد الفيل أن يفقد عقله وقال:

- إننى فى حياتى لم أسمع شيئًا مضحكًا على هذا النحو.

رد العنكبوت:

- حسنا، فلنجرب من منا يستطيع هزيمة الآخر!

بدا الأمر للفيل نوعًا من اللهو فقبل التحدى.

واتفق الاثنان على أن تكون الضربة الأولى للفيل. وكان عليه الذهاب إلى بيت أنانسى وضربه لثلاث ليالٍ متتالية، وبعد ذلك يذهب العنكبوت إلى بيت الفيل لثلاث ليالٍ متتالية.

فكر أنانسى طويلا وهو فى الطريق إلى بيته حول كيفية تحقيق هدفه. فقد كان يدرك أنه لن يتحمل الضربة الأولى، حتى واتته الفكرة.

ينبغى تدبر الأمر؛ بحيث ألا تقع ضربات الفيل علىَّ، بل تصيب أحدا آخر.

لم تطرح الأرض البطاطا فى ذلك العام. فذهب أناسى إلى البيت وملأ السلة بالبطاطا، ثم حملها إلى شاطئ النهر حيث جلس فى الانتظار. وأخيرا ظهر الأرنب أدانكو على الطريق. عندئذ بدأ أنانسى بإلقاء البطاطا فى النهر وهو يردد:

– والآن سوف يصبح المكان لدى فى البيت أكثر اتساعا.

نظر الأرنب إلى العنكبوت فى ذهول، وصرخ هاتفا:

– ما الذى تفعله يا أنانسي؟ لماذا تلقى بالبطاطا فى النهر بينما نعانى الجوع؟

رد أنانسى:

– هراء! إن لدى كميات من البطاطا لا أجد مكانا لها. فلتذهب معى وأدعوك لتأكل منها، وتساعدنى فى التهامها.

كان الأرنب يعرف العنكبوت جيدا، فسأله:

– ألا تخدعنى فيما تقول؟

– ولماذا أخدعك؟ اذهب معى وانظر بنفسك.

ذهب الأرنب إلى أنانسى الذى قام بسلق بعض البطاطا وأكلا منها.

بعد ذلك سأل أنانسى أدانكو أن يساعده فى الحصول على البطاطا. فسأل أدانكو:

– وما الذى تعنيه بالحصول على البطاطا؟

قال أنانسى:

- أترى يا صديقى، هناك خادم يأتى إلى شباكى فى كل ليلة حاملا سلة مملوءة بالبطاطا. فمن أجل الصداقة ساعدنى وخذ منه السلة. وعندما يسألك الخادم: "هل أنت مستعد؟"، فعليك أن تجيب: "نعم، أنا مستعد!". وهذا كل ما فى الأمر.

قال الأرنب:

- هذا أمر سهل، أنا موافق. وسوف أفعل ما تطلبه.

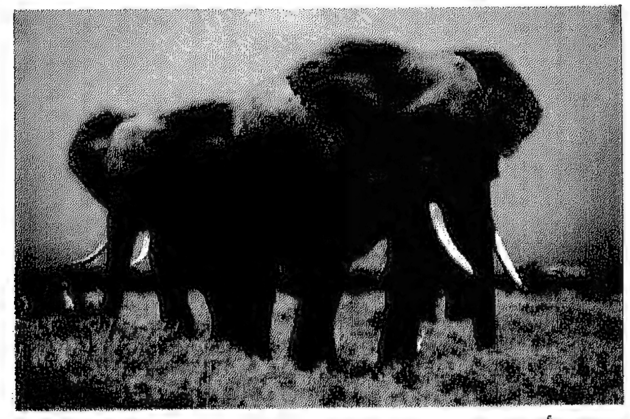
جلس الأرنب فى الانتظار. وذهب أنانسى للنوم، بينما ظل الأرنب عند الشباك.

وصل الفيل فى وقت متأخر من الليل وسأل:

- هل أنت مستعد؟

رد الأرنب:

- نعم، أنا مستعد وفى انتظارك.



ضرب الفيل الأرنب ضربة هائلة ورحل لسبيله. أما الأرنب فلقى نهايته على الفور.

خرج أنانسى فى اليوم التالى إلى النهر حاملا سلته المملوءة بالبطاطا. ومر بالقرب منه طائر الغرغر. فقام أنانسى بإلقاء البطاطا فى النهر مرة أخرى وهو يردد:

– والآن سوف يصبح المكان لدى فى البيت أكثر اتساعا.

نظر طائر الغرغر إلى العنكبوت فى ذهول. وصرخ هاتفا:

– ما الذى تفعله يا أنانسى؟ لماذا تلقى بالبطاطا فى النهر بينما تسود المجاعة كل مكان؟

رد أنانسى:

– هراء! إن لدى كميات كبيرة من البطاطا لا أجد مكانا أضعها به. فلتذهب معى وأدعوك لتأكل منها.

سأل طائر الغرغر:

– ألا تخدعنى فيما تقول؟

– ولماذا أخدعك؟ احضر إلى وانظر بنفسك.

ذهب الغرغر إلى أنانسى وأكل من البطاطا، وعندما جاء وقت النوم سأل أنانسى:

– أيها الغرغر العزيز ألا تساعدنى بالحصول على البطاطا فى الليل؟

رد الغرغر:

– وما الذى علىّ فعله؟

شرح له أنانسى:

– عليك أن تظل بالقرب من الشباك حتى يأتى خادمى إلى شباكى ويسألك: "هل أنت مستعد؟"، فتجيب ببساطة: "نعم، أنا مستعد لكل ما تعرضه!".

جلس الغرغر بجوار الشباك، وذهب العنكبوت للنوم.

وصل الفيل فى الظلام وسأل:

- هل أنت مستعد؟

رد الغرغر:

- نعم، هيا أعطنى ما لديك!

ضرب الفيل الغرغر بقوة هائلة كانت هى نهاية الطائر المسكين.

ذهب أنانسى فى اليوم الثالث إلى النهر وبدأ بإلقاء البطاطا فى النهر مرددا:

- والآن سوف يصبح المكان لدى فى البيت أكثر اتساعا.

فى هذه المرة وقع فى حباله الظبى كوتوكو. فاصطحبه أنانسى إلى البيت وكرر على كوتوكو ما قاله للغرغر والأرنب من قبل.

جلس كوتوكو عند الشباك فى الليل حتى وصل الفيل وسأله:

- هل أنت مستعد؟

رد الظبى:

- نعم أنا مستعد، هيا أعطنى ما عندك.

وحصل الظبى على نفس المصير الذى سبقه إليه الأرنب والغرغر.

والآن، جاء الدور على أنانسى ليضرب الفيل. فذهب إلى الحداد واشترى منه مطرقة ضخمة ثقيلة. وانطلق فى عتمة الليل إلى بيت الفيل، وهتف قائلا:

- هأنا جئت، هل أنت مستعد؟

- نعم.

ضربه أنانسى بالمطرقة فصرخ الفيل من شدة الألم: آى، آى، هل يعقل أن يضرب أنانسى بمثل هذه القوة؟!

فى الليلة التالية ذهب أنانسى مرة أخرى وسأل:

– هل أنت مستعد؟

تذكر الفيل الضربة السابقة فقال:

– أخ، لا، إنى ما زلت أفكر، ولكن يبدو أننى مستعد.

ضرب أنانسى الفيل بالمطرقة مرة ثانية، وأنّ الفيل من شدة الألم.

وفى الليلة الثالثة ذهب أنانسى ثانية إلى الفيل وهتف يقول:

– إسونو! هل أنت مستعد أم لا؟ فأنا اليوم سوف أذيقك الضرب كما ينبغى!

رد الفيل بصوت منخفض:

– أنا هنا.

– هذا يعنى أنك مستعد؟

– يبدو أننى مستعد، لا أعرف، نعم، ربما.

تذكر الفيل بعد ذلك الضرب الذى تلقاه فصرخ مستنجدًا:

– أغيثونى! إن العنكبوت هنا! إنه يتعارك معى!

اندفعت أسرة الفيل هاربة. وفرت بعيدا عن الأنظار إلى حيث قادتها أقدامها. فمنهم من ذهب إلى الشرق والآخر إلى الغرب، والباقى نحو الشمال. واختبأ البعض منهم فى الجبال، والبعض الآخر فى الأودية القاصية، وفر الآخرون إلى البلاد البعيدة المترامية.

وهذا هو السبب فى أن الأفيال تجوب كل الأرجاء.

٦٢- لماذا يتسم خصر الفيل بالعرض من الأمام والضيق من الخلف؟

ولماذا يعيش الفيل فى البلاد الغنية بالعشب الطويل؟

حدث أن ساد الجوع الأرض منذ زمن بعيد. وأخذ أنانسى يفكر فى وسـيلة للحصول على اللحم. فسألته زوجته آسو:

- فلتحصل لنا على بعض البطاطا!

لكن أنانسى رد قائلا:

- ومن أين لى العثور على الطعام بعد أن ضرب الجفاف الأرض كلها، ولم تعد هناك أية بطاطا؟ إنى أفكر فى طريقة أحصل بها على اللحم.

عندئذ سألت آسو أنانسى:

- ومن أين يمكنك العثور على اللحم؟

رد أنانسى:

- سوف أدبر الأمر على نحو ما.

ذهب أنانسى إلى الفيل ودعاه للخروج معه والبحث عن الطعام معا. وافـق الفيل إسونو. وانطلق الاثنان إلى الغابة. وقال إسونو لأنانسى:

- من أين لنا الحصول على البطاطا بعد أن جفت الأرض ولم تعد البطاطا موجودة فى كافة الأرجاء؟

أجاب أنانسى قائلا:

- إنى أعرف مكانًا واحدًا تنمو به البطاطا بصورة جيدة. ففى قلب الغابـة يوجد بستان كبير أذهب إليه فى كل مرة يسود فيها الجوع. وأجمع منه كل ما بوسعى حمله من البطاطا.

قال الفيل إسونو بدهشة:

- لم أسمع عن هذا المكان العجيب من قبل. هيا أرنى الطريق لأذهب معك.

قاد أنانسى الفيل عبر الأحراش، وسار معه بين الأشجار العملاقة.

وظلا يسيران بعيدا فأبعد، ويقطعان الممرات والدروب حتى عبرا منطقة الأشجار الاستوائية.

استطاع أنانسى اختراق الأشجار المتشابكة بسهولة لأن حجمه كان صغيرا، أما الفيل فكان يتحرك بصعوبة وسط الأشجار بسبب حجمه الضخم.

هبط الظلام وأصبح الفيل يتلمس طريقه بين الأشجار بصعوبة، فنادى على أنانسى:

- هل أنت هنا؟

أجاب أنانسى:

- نعم، أنا هنا، هيا اتبعنى!

قاد أنانسى الفيل إلى المكان الذى يتطلب الوصول إليه العبور بين شجرتين عملاقتين متلاصقتين. كان الفيل فى ذلك الوقت ذا مؤخرة أعرض من مقدمة جسمه. وعندما حاول المرور بين هاتين الشجرتين علق بينهما فصاح يهْتف مستنجدا:

- إنى لا أستطيع الحراك.

نصحه أنانسى قائلا:

- ادفع جسمك بقوة إلى الأمام.

حاول الفيل اختراق الشجرتين والتحرك للأمام، لكنه علق أكثر مع محاولاته، حتى صاح بيأس أخيرا:

- إنى لا استطيع أن أخطو خطوة واحدة. فقد علقت بالكامل.

قال أنانسى:

- لو بقيت هنا فسوف تصبح فريسة سهلة للفهد.

- وما الذى علىّ فعله؟

- لنرتاح قليلا حتى أفكر فى وسيلة ما أخلصك بها.

جلس أنانسى يستريح ومضى يفكر فى تنفيذ الفكرة التى راودته قبل أن ينطلق إلى الغابة. فصمت برهة ثم قال:

- لو أمكن قطع القليل من لحم مؤخرتك كى تصبح أنحف، عندئذ يمكنك المرور بحرية بين الشجرتين.

فأجاب الفيل:

- إذا فلتقطع إن لم يكن هناك مخرج آخر.

- ما دمت تريد بنفسك هذا الأمر فسوف أنفذ ما تطلبه.

وأخرج سكينه، وبدأ فى قطع قطع كبيرة من لحم فخذىّ الفيل.

أصبح الفيل أصغر حجما من الخلف فاستطاع العبور بين الشجرتين.

قال أنانسى للفيل:

- انتظرنى هنا حتى أعود لك قريبا!

لكنه لم ينو العودة، بل حمل اللحم واختفى سريعا من الغابة.

وعندما وصل إلى البيت هتف قائلا:

- ها هو اللحم قد أحضرته!

أغلق أنانسى الباب بعد ذلك، وقام مع زوجته بسلق لحم الفيل، وأكل منه حتى شبع.

انتظر الفيل طويلا عودة أنانسى، ثم عاد إلى البيت بعد أن طال انتظاره.

وعندما وصل إلى البيت صرخت به زوجته وأطفاله:

– ما الذى حدث لك؟ لقد تبدلت هيئتك تماما، وأصبحت مؤخرتك نحيفة بعد أن كانت سمينة!

التفت إسونو ونظر إلى نفسه. وعندما رأى ما حل به صرخ قائلا لابنه الأصغر:

– إنه أنانسى قد سرق لحمى! فاذهب إليه فى البيت وأطلب منه أن يعيد لى لحمى!

ركض ابن إسونو إلى بيت أنانسى مسرعا. وعندما سمع أنانسى وقع خطوات ابن الفيل، أسرع بإعطاء ابنه إنتيكوما طبلا، ولقنه الضرب عليه على هذا النحو: كاتاب كاتار! روتوتو! كاتاب كاتار! روتوتو!

ضرب إنتيكوما: كاتاب كاتار! روتوتو! كاتاب كاتار ومضى أنانسى فى الغناء:

– من الواقف بالباب هناك؟

– من الواقف بالباب هناك؟

– لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

أخذ الفيل الصغير يغنى على نفس الإيقاع.

– أنا الابن الأصغر لإسونو الكبير!

– أنا الابن الأصغر لإسونو الكبير!

– جئت أستعيد لحم أبى يا صغير!

عندئذ غنى أنانسى مرددا:

لقد تذوقنا لحمه شهى المذاق!

لقد تذوقنا لحمه شهى المذاق!

لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

لم يستطعْ الفيل الصغير أن يمسك نفسه عن الرقص، لأن الموسيقى قد دفعته إلى الرقص.

وأخذ يرقص حول البيت فى دائرة تلو الأخرى، ولم يستطع التوقف عن الرقص.

ظل الفيل إسونو ينتظر عودة الابن الصغير طويلا. وعندما طال انتظاره أرسل ابنه الثانى.

وصل الابن الثانى إلى بيت أنانسى، وشاهد شقيقه يرقص. وسمع صوت الطبل: كاتاب كاتار! روتوتو! كاتاب كاتار! روتوتو! كما سمع غناء أنانسى:

– من الواقف بالباب هناك؟

– من الواقف بالباب هناك؟

– لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

عندئذ أخذ الفيل الثانى يغنى مجيبا:

– أنا الابن الثانى لإسونو الكبير!

– أنا الابن الثانى لإسونو الكبير!

– جئت أستعيد لحم أبى يا صغير!

وأخذ أنانسى يغنى بدوره:

لقد تذوقنا لحمه شهى المذاق!

لقد تذوقنا لحمه شهى المذاق!

لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

ظل الطبل يصدر صوته: "كاتاب كاتار"، والفيل الثانى يرقص على صوت "كاتاب كاتار"، ثم يصدر الطبل "روتوتو"، فيضرب الفيل بأقدامه "روتوتو". وظل يرقص مع شقيقه ولم يستطع التوقف عن الرقص. وأخذ الاثنان يتحركان للأمام وللخلف ويدوران فى دوائر دون أن يتوقفا عن الرقص.

مرت نصف الساعة، وأرسل الفيل إسونو ابنه الأكبر إلى أنانسى.

سمع الابن الأكبر صوت الطبل وشاهد شقيقيه يرقصان، ولم يسعفه الوقت لنطق كلمتين لأنانسى حتى انخرط هو الآخر فى الرقص.

أما إسونو فظل ينتظر وينتظر. ولم يعد أحد من أبنائه. عندئذ تملكه الغضب أكثر فأكثر. وانطلق بنفسه إلى بيت أنانسى كى يستعيد منه لحمه.

وهناك شاهد أبناءه يرقصون رقصة وحشية. وسمع صوت طبل أنانسى يضرب: "كاتاب كاتار! روتوتو! كاتاب كاتار!" صرخ إسونو فى أبنائه كى يتوقفوا

عن الرقص فى الحال. لكنهم لم يستطعوا التوقف. فقرع الفيل باب بيت أنانسى، وأخذ أنانسى يغنى مرددا:

لقد تذوقنا لحمك شهى المذاق!

لقد تذوقنا لحمك شهى المذاق!

لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

صاح الفيل إسونو مرددا فى غضب:

أنا إسونو ابن والدى العظيم!

أنا إسونو ابن والدى العظيم!

جئتك أستعيد لحمى أيها اللئيم!



وغنى أنانسى مجيبا:

لقد تذوقنا لحمك شهى المذاق!

لقد تذوقنا لحمك شهى المذاق!

لماذا أنت واقف هناك؟

بينما عليك الرقص كى أراك؟

وفجأة، أخذ إسونو في الرقص هو الآخر. ولم يستطع أن يتمالك نفسه، فأخذت أقدامه ترقص من تلقاء نفسها وتتحرك على دقات الطبل. وظل يرقص ويرقص، تارة للأمام وتارة للخلف وتارة أخرى يدور حول البيت، ثم يرقص للأمام وللخلف ويدور ثانية. كان يقفز بأقدامه الكبيرة حتى ارتفع الغبار إلى السحب في السماء، ومن فرط ثقل خطواته حفر في الفناء حفرة عميقة. وصرخ إسونو بعد ذلك:

– توقف عن ضرب الطبل! فقد خارت قواى من الرقص!

لكن الطبل ظل يضرب: "كاتاب كاتار! روتوتو! كاتاب كاتار! روتوتو!".

وأخيرا توسل إسونو قائلا:

– توقف عن ضرب الطبل وسوف أرحل، ولن أحدثك عن اللحم بعد ذلك، بل سوف نقول إنك اشتريته ودفعت ثمنه بهذه الموسيقى. ولن أتفوه بكلمة واحدة عن هذا الأمر بعد ذلك.

عندئذ، توقف أنانسى عن ضرب الطبل. وتوقف إسونو وأبناؤه عن الرقص، وعادوا إلى بيتهم وهم فى حالة مزرية من الإنهاك والتعب.

كان هذا ما جرى، والسبب الذى جعل مؤخرة الفيل أنحف من مقدمته.

ومنذ ذلك الحين والفيل يتجنب السير فى الغابة التى خدعه أنانسى فيها، وهو الآن يفضل العيش فى البلاد التى ينمو فيها العشب الطويل.

٦٣ـ العمة الراقصة لأنانسى



لو تمعنتم النظر إلى العنكبوت أنانسى فسوف تلحظون أن رأسه ملساء. فما السبب فى هذا الأمر؟

يحكى أنه فى قديم الزمان كان الشعر يغطى رأسه، لكنه فقده بسبب غروره وتفاخره بنفسه.

وقد حدث الأمر عندما ماتت حماة أنانسى. ولما وصل الخبر إلى بيت أنانسى قامت زوجته آسو على الفور بالاستعداد للذهاب إلى الجنازة فى قريتها. وقال أنانسى لآسو:

- اذهبى الآن، وسوف ألحق بك لاحقا.

وبعد أن رحلت آسو فكر أنانسى فى نفسه: "عندما أذهب إلى بيت المرحومة حماتى ينبغى أن أظهر الحزن عليها، وعلى الامتناع عن تناول الطعام أمامهم، وبالتالى لا بد أن آكل حتى أشبع قبل الذهاب إلى هناك". وجلس أنانسى إلى الطعام، وأخذ يأكل منه بشراهة، ثم ارتدى ملابس الحداد، وانطلق إلى قرية آسو.

بعد الانتهاء من مراسم الجنازة بدأ تقبل العزاء وتقديم الطعام، لكن أنانسى رفض تناول الطعام تقديرا للمرحومة حماته وصاح:

- كيف يمكننى تناول الطعام وأنا أبكى والدة زوجتى؟ سوف أمتنع عن الأكل لسبعة أيام حدادا عليها، ولن أتناول شيئا إلا فى اليوم الثامن.

لم يطلب منه أحد القيام بمثل هذا الصيام الطويل. ولم يكن الإنسان مطالبا بالمعاناة من الجوع مقابل موت أحد أقاربه. وكان أنانسى أحد الذين يأكلون مثل فردين. وعندما كان يرقص فهو يرقص مثل فردين أيضا. وعندما كان يبكى ميتا، فهو يبكى ويولول أكثر من كل الأخرين. ولم يكن يترك لأحد الفرصة أن يتفوق عليه فيما يفعله. وعلى الرغم من جوعه الشديد، غير أنه لم يكن ليسمح أن يظن الناس به عدم الحزن لموت حماته بدرجة أقل من الآخرين، لهذا هتف قائلا:

– يمكنكم إطعام أصدقائى، أما بالنسبة لى فلا أريد طعاما.

أكل الجميع حتى شبعوا بما فيهم: الظبى، والأرنب، الثعبان، والغرغر، وغيرهم... الجميع عدا أنانسى.

وفى اليوم التالى بعد الجنازة قالوا له مرة أخرى:

– فلتأكل شيئا، ولا تعذب نفسك من الجوع.

لكن أنانسى رد:

– لن آكل شيئا إلا فى اليوم الثامن. فأى إنسان أُصبح عليه فى نظركم لو أننى أكلت؟

أكل الجميع ثانية حتى شبعوا عدا أنانسى.

كانت معدة أنانسى خاوية، وشعر بنفسه فى حالة يرثى لها. وقال له الأصدقاء فى اليوم الثالث:

– فلتأكل يا كواكو أنانسى، ولا داعى أن تعانى الجوع.

كان أنانسى عنيدا فرد قائلا:

– كيف يمكننى الأكل وأم زوجتى قد دفنت منذ ثلاثة أيام فقط؟!

وعندما جلس الآخرون لتناول الطعام، أخذ أنانسى يتشمم رائحة الأكل في شوق ومعاناة.

في اليوم الرابع ظل أنانسى في البيت بمفرده. وفى ذلك الوقت كان هناك وعاء مملوء بالفول يغلى على النار. وعندما اشتم أنانسى رائحة الفول ونظر إلى الوعاء، لم يعد بوسعه التحمل أكثر من ذلك، فأمسك بملعقة كبيرة وملأها بحبات الفول من الوعاء وهو ينوى حملها إلى مكان هادئ ليأكلها، حيث لا يراه أحد. لكن في ذلك الوقت عاد الكلب والغرغر والأرنب إلى المكان الذى كان الطعام يُطهى به، فألقى أنانسى الفول داخل عِمته بسرعة، ووضعها فوق رأسه كى لا يراه أحد.

جلس الأصدقاء حول الوعاء وصاحوا:

- أنانسى ينبغى عليك تناول الطعام.

رد قائلا:

- لا، ماذا أكون فى نظركم لو أننى أكلت الآن؟

أخذت حبات الفول الساخنة الراقدة فى عِمته تحرق فروة رأسه. فصار يقفز وهو يحرك عِمته ويعدل من وضعها بيديه.

وعندما رأى أصدقاءه ينظرون إليه قال:

- هناك عيد للعمم الراقصة قد بدأ بقريتى فى هذه اللحظة. وأنا أحركها فوق رأسى تحية لهذا العيد.

أخذت حبات الفول الساخنة تحرق رأس أنانسى أكثر فأكثر، وهو يحرك عمته ويديرها أسرع فأسرع، ثم صاح وهو يقفز من شدة الألم:

- إن الناس فى قريتى يرقصون مثل هذه الرقصة التى أقوم بها، وهى رقصة العِمم.

أخذ يرقص ويدير عِمته لأن الفول كان يحرق فروة رأسه. وأراد أن يخلع العِمة لكنه لم يستطع حتى لا تقع أنظار الحاضرين على حبات الفول. وصرخ قائلا:

- إنهم يحركون عِممهم فى قريتى على هذا النحو، وذلك بمناسبة الاحتفال الكبير، وينبغى على الذهاب إلى هناك.

قال الأصدقاء له:

- كواكو أنانسى، فلتأكل ولو قليلا قبل ذهابك.

لكن أنانسى ظل يقفز من شدة الألم، وظلت حبات الفول الساخنة تلهب فروة رأسه. فصرخ قائلا:

- لا، إنهم يديرون عِممهم ويقفزون فوق الأرض. وينبغى علىّ الذهاب إلى قريتى لأنهم ينتظروننى هناك!

ركض من الكوخ وهو يقفز ويدير عمته للخلف وللأمام، وسار الأصدقاء من خلفه ينادون:

- فلتأكل ولو قليلا قبل رحيلك!

هتف أنانسى:

- وكيف أكون فى نظركم عندما آكل وحماتى دفنوها للتو؟!

ركض الجميع من خلفه وعندما اشتد به الألم وأصبح لا يطاق، لم يستطع التحمل أكثر من ذلك فنزع العِمة من فوق رأسه.

وعندما نظر الكلب والغرغر والأرنب والآخرون، وشاهدوا حبات الفول فى عمة أنانسى، تسمروا فى أماكنهم، وأخذوا يضحكون ويسخرون منه.

أصاب الخجل أنانسى فانطلق نحو أرض أعشاب عالية وهو يردد:

- أخفنى بين جنباتك أيها العشب أخفنى!

قام العشب بإخفائه بين جنباته.

لهذا، فإننا كثيرا ما نرى أنانسى بين العشب الذى دفعه خجله إليه. وسوف تشاهدون رأسه الملساء الصلعاء من جراء حبات الفول الساخنة التى قام بإخفائها داخل عِمته، فأحرقت شعر رأسه كله.

وقد حدث كل هذا لأنه أراد أن يبدو أفضل مما هو عليه.

٦٤ـ لماذا يتمتع أنانسى ببطن نحيفة؟

قد يتساءل البعض قائلا: لماذا يمتلك أنانسى بطنا نحيفة؟ والسبب فى ذلك هو جشعه. فيحكى أنه فى عام واحد جرى الاحتفال بزفافين معا: أحدهما فى مدينة كيبيس، والآخر فى ديابى، وكان ذلك فى نفس اليوم. جلس أنانسى يفكر: "إلى أى من الزفافين أذهب يا ترى؟".

فكر لبعض الوقت ثم قرر فى نفسه: " فلأذهب إلى الاثنين، فإننى جوعان بدرجة كبيرة وأريد الأكل بشدة. فلأذهب إلى أحدهم الذى يقدم الطعام مبكرا، ثم أنطلق إلى الآخر وأكمل طعامى هناك".

لم يكن الأمر بهذه السهولة التى تسمح لأنانسى أن يعرف موعد الزفافين، وأيهما سوف يقام أبكر من الآخر. فذهب إلى ديابى وسأل:

– متى يحين موعد تقديم الطعام؟

لم يستطع أحد هناك إعطاءه جوابا شافيا. فذهب إلى المدينة الأخرى كيبيس وسأل ثانية:

– متى يبدأ تقديم الطعام؟

ولكن أحدا لم يستطع الإجابة. وظل أنانسى يسير للأمام وللخلف حائرا بين المدينتين حتى خارت قواه وأنهكه التعب. رغم ذلك لم يستطع التوصل إلى معرفة الإجابة على سؤاله: أى منهما سوف يقدم الطعام أبكر من الآخر؟

عندئذ قام كواكو أنانسى بشراء حبلين طويلين، وأرسل فى طلب أبنائه إنتيكوما وكواكوتسين. وقام بربط نفسه فى منتصف الحبلين، وأعطى طرف أحد الحبلين إلى إنتيكوما قائلا له:

- خذ هذا الحبل واذهب به إلى مدينة ديابى. وعندما يبدءون فى تقديم الطعام اجذب طرفه بشدة، وسوف أحضر على وجه السرعة.

وأعطى طرف الحبل الآخر إلى كواكوتسين.

- خذ هذا الحبل وانطلق إلى مدينة كيبيس. وعندما يبدءون فى تقديم الطعام قم بجذب طرفه وسوف آتى على الفور. وبهذه الطريقة سوف يمكننى معرفة الزفاف الذى يبدأ فى تقديم الطعام أبكر من الآخر.

انطلق كل من إنتيكوما وكواكوتسين إلى ديابى وكيبيس، وكل منهما يحمل أحد طرفى الحبلين. وظل كل منهما ينتظر فى مدينته للحظة التى يُقدم فيها الطعام.

لكن مأدبة الطعام بدأت فى كيبيسى وديابى فى نفس الوقت تماما. فأخذ إنتيكوما يجذب طرف الحبل بكل ما أوتى من قوة، كذلك فعل نفس الشىء كواكوتسين. وظل الاثنان يجذبان طرفى الحبلين بكل قوتهما، فلم يستطع أنانسى أن يتحرك من مكانه. وأخذا يجذبان أقوى فأقوى، ولم يتركاهما إلا بعد انتهاء الوليمتين، وبعد أن أكل الجميع حتى شبعوا. عندئذ ذهبا لمعرفة سبب عدم حضور والدهما إلى الزفاف.

عثروا على أنانسى فى نفس المكان الذى تركوه به. لكن هيئته لم تكن مثـــل سابقها قط. لقد جعل الحبلين كواكو أنانسى نحيفا من منتصف جسمه، بعد أن كادا يشطرانه إلى نصفين. وهكذا، ظل على هيئته هذه طوال عمره.

ومنذ ذلك الحين والعنكبوت أنانسى يحمل على عاتقه وزر بخله.

٦٥ـ لماذا يختبئ أنانسى فى الأركان المظلمة؟

حدث أن حل الجوع على الأرض ذات مرة. وكانت أسرة أنانسى تمتلك حقلها الخاص. وكان الطعام يكفى الجميع. لكن أنانسى تملكه الجشع عندما فكر فى الجوع الذى ساد البلاد. ومضى يشغل ذهنه بالوسيلة التى تمكنه من الحصول على محصول كبير، حتى واتته فكرة خبيثة فى رأسه.

قال أنانسى لزوجته آسو إنه متوعك ويريد الذهاب لالتماس النصح لدى الساحر.

رحل أنانسى ولم يعد حتى وقت متأخر من الليل. وبعد عودته قال لزوجته إن أحواله سيئة وإن الساحر قال له إن موته قريب. بالإضافة إلى ذلك، فقد أمره الساحر أن يرتب لدفنه فى أبعد ركن من الحقل، جنبا إلى جنب البطاطا المزروعة.

أثار هذا الخبر حزنا كبيرا لدى أسرة أنانسى: زوجته آسو وأبنائه كواكوتسين وإنتيكوما.

لم تقف أوامر الساحر عند هذا الحد، بل كان على الزوجة آسو أن تضع فى قبر أنانسى مدقة وجرن وطبق وملعقة وأقداح، وذلك حتى يستطيع أنانسى أن يرعى نفسه فى العالم الآخر.

بعد مرور بضعة أيام رقد أنانسى على حصيرته متصنعا الموت. وسرعان ما تظاهر أنه ميت.

قامت آسو بدفنه فى أبعد ركن بالحقل، جنبا إلى جنب المكان المزروع بالبطاطا. ووضعت فى قبره جميع الأغراض التى طلبها.

ظل أنانسى فى قبره حتى غروب الشمس. وما إن هبط الظلام حتى تسلل خارجا، وقطع أفضل ثمار البطاطا، وقام بسلقها وتناولها حتى شبع تماما. وعاد بعد ذلك إلى مكانه فى القبر.

ظل يخرج فى كل ليلة من القبر، وينتقى أفضل البطاطا ليأكلها، ثم يختبئ بالنهار داخل القبر.

لاحظت آسو وأبناؤها أن أحدا يسرق أفضل جذور البطاطا والذرة من حقلها، فذهبوا إلى قبر أنانسى، وأخذوا يُصلون ويتوسلون إلى روحه كى تقوم بحراستهم من اللصوص.

تسلل أنانسى من قبره فى هذه الليلة. وقام بجمع أفضل جذور البطاطا وأكواز الذرة، ثم أكل منها حتى التخمة.

وعندما رأت آسو وأبناؤها أن روح أنانسى لم تحرسهم من اللصوص، صاروا يفكرون فى وسيلة تمكنهم من القبض على ذلك اللص الذى يسرق طعامهم.

قاموا بصنع فزاعة شبيهة بالإنسان من الأعواد والأغصان (خيال المآتة)، وقاموا بتغطيتها بالصمغ، ووضعوها فى موقع الحقل الذى تنمو به البطاطا.

وفى تلك الليلة تسلل أنانسى من قبره ليأكل ثانية. فشاهد هناك الفزاعة تقف تحت ضوء القمر. فسأل أنانسى:

- لماذا تقف فى حقلى؟

لم ترد الفزاعة. فقال أنانسى بلهجة حاسمة:

- إن لم تبتعد عن حقلى فسوف أريك ما لم تره!

ظلت الفزاعة صامتة.

- إن لم تغرب عن وجهي فورا فسوف أريك ما لا يرضيك!

لم يتلق ردا. ولم تتحرك الفزاعة من مكانها. فثار أنانسي ثورة عارمة. وضرب الفزاعة بيده اليمنى ضربة قوية، فالتصقت يده بالصمغ الذي يكسو الفزاعة. ولم يستطع أنانسي أن يحررها فهتف مزمجرا:

- اترك يدي اليمنى. فقد نفذ كل صبري.

لكن الفزاعة لم تفلت يده. فصرخ أنانسي بغضب:

- أنت لا تعرف مدى قوتي. إن يدي اليسرى أقوى بكثير من اليمنى. فهل تريد أن تجربها؟

وضرب أنانسي الفزاعة بيده اليسرى دون انتظار رد منها.

التصقت يداه الاثنتان بالفزاعة. فصرخ أنانسي:

- أيها التافه! أنت لا تسمع ما قلت! اترك يدي الآن واغرب بعيدا عن حقلي، وإلا فسوف أضربك ضربا لن تنساه لقرن من السنين! هل سمعت من قبل عن قوة قدمي اليمنى؟

ظلت الفزاعة ساكنة. وضربها أنانسي بقدمه اليمنى التي التصقت هي الأخرى بالفزاعة، فصاح أنانسي:

- إذًا، هل أعجبتك هذه الضربة؟ فلتتذوق ضربة أخرى من القدم اليسرى!

وقام بضربها بقدمه اليسرى بكل ما أوتي به من قوة. وها هو أنانسي الآن وقد التصقت يداه وقدماه بالفزاعة. فهتف أناسي قائلا:

- إذًا، أنت من أصحاب العقول العنيدة! هل سمعت من قبل عن رأسي الصلبة؟

ضرب أنانسى الفزاعة برأسه التى التصقت بها هى الأخرى. وصاح أنانسى فى ثورة عارمة من الغضب:

- والآن سوف أمنحك الفرصة الأخيرة لتنجو بحياتك، ولن أشكوك لـزعيم القبيلة لو أنك رحلت الآن فى هدوء دون ضوضاء. أما إن لـم ترحـل فسوف أنكل بك تنكيلا تتذكره مدى حياتك!

ظلت الفزاعة على صمتها. عندئذ ملأ أنانسى صدره بـنفس عميـق مـن الهواء، وضربها بصدره بكل قوته. والآن، أصبح أنانسى ملتصقا بقوة، حتى إنه لم يستطع تحريك ساكنا.

وفى الصباح عندما ذهبت آسو وكواكوتسين وإنتيكوما إلى الحقل، عثـروا على أنانسى هناك ملتصقا تماما إلى الفزاعة.

أدرك الجميع ما فى الأمر. فقاموا بتحرير أنانسى من الفزاعة، وساقوه إلى الزعيم فى القرية للمحاكمة. وشاهد كل من صادفهم فى الطريق أنانسى وهو غارق فى الصمغ، فقاموا بالسخرية منه وترديد الأغانى المضحكة حوله.

كان أنانسى فى غاية الخجل، فغطى وجهه بقبعة حتى لا يراه الناس. وعندما توقفت آسو وكواكوتسين وإنتيكوما عند نبع للشرب، تملص أنانـسى مـنهم وفـر هاربا. ودلف إلى أقرب كوخ وتسلق أسفل السقف، حيث اختبأ فـى ركـن مظلـم تماما.

ومنذ ذلك الحين وحتى الآن لم يعد أنانسى يريد رؤية الناس لأنهم يسخرون منه، ولهذا السبب فهو يختبئ فى أكثر الأركان ظلمة وعتمة.

٦٦ـ لماذا تحرك العظاءة رأسها؟ ولماذا ينسال نسيج العنكبوت ويصيد الذباب؟

فى زمن المجاعة فكر أنانسى أن من الأفضل له ملأ عنبره بمخزون من الطعام. لقد سمع من ابنه إنتيكوما أن العظاءة أبوس تمتلك بستانا رائعا. فانطلق يلقى نظرة عليه، وبدا له كما حكى عنه إنتيكوما. فقد كان بستان العظاءة أخضر ومثمرا. وفكر أنانسى فى نفسه قائلا: "لو كان لدى مثل هذا البستان لما حملت همًّا".

عاد أنانسى إلى البيت وهو يفكر فى طريقة ينتزع بها البستان من العظاءة. وها هى الفكرة التى واتته.

ما إن نضجت الخضروات المزروعة فى بستان العظاءة حتى جمع أنانسى أبناءه ليلا وقال لهم:

- اتبعونى وافعلوا مثلما أفعل.

انطلق إلى بستان العظاءة والأبناء يسيرون من خلفه. ثم التفت عائدا إلى بيته. وقام مرة أخرى بالذهاب إلى بستان العظاءة ثم العودة إلى بيته مرة أخرى. أصاب الملل الأبناء من الذهاب والإياب بلا جدوى. فصاروا يشكون ويتململون، ويتساءلون إن كان والدهم نفسه يعرف سبب ما يفعلونه. لكن أنانسى صرخ فيهم بغضب:

- لا تقوموا بتوجيه أسئلة إلى الأكبر منكم أبدا! وافعلوا مثلما أفعل.

وهكذا، ظلوا فى ذهاب وإياب طوال الليل. وعندما بزغ الفجر، رعوا ممرات ممهدة مكان نمو العشب الطويل النامى.

عندئذ أعطى أنانسى أولاده سِلالا ومناجل. وصاروا يقتلعون البطاطا ويجمعون الفواكه من بستان العظاءة.

جاءت العظاءة إلى بستانها وشاهدت أسرة أنانسى وهى تجمع الخضروات منه فصرخت بهم:

- ما الذى تفعلونه فى أرضى؟

رد أنانسى:

- أرضك! إنها أرضى! ما الذى جاء بك إلى بستانى؟

اختلف الاثنان طويلا فيما بينهما حتى اقترحت العظاءة أخيرا:

- فلنذهب إلى الزعيم ليحكم بيننا.

ذهب الاثنان إلى الزعيم، وكل منهما يؤكد أنه على حق فيما يدعى.

تحدث أنانسى أولا فقال:

- إنها أرضى!

وقالت أبوس بعد ذلك:

- إنها أرضى أنا!

استمع الزعيم إليهما، وذهب إلى البستان ليتفقده بنفسه ويقرر أحقية البستان. وسأل العظاءة:

- أين يقع بيتك؟

أشارت العظاءة إلى بيتها. وعندئذ سألها الزعيم قائلا:

- وأين الممر الذى يفضى من بيتك إلى البستان؟

اعترت الدهشة العظاءة وردت:

- ليس لدى أى ممر. ونحن نادرا ما نذهب من نفس الطريق مرتين. فأحيانا نسير عبر الممر، وأحيانا أخرى نزحف بين العشب.

هز الزعيم رأسه لدى سماعه إجابتها. وقال بغضب:

- لم أسمع مثل هذا الشيء من قبل، ولو أن أحدا يذهب من بيته إلى بستانه بصورة دائمة، فلا بد أن يكون له ممر ممهد.

سأل الزعيم بعد ذلك أنانسى:

- وأين يوجد ممرك؟

أشار أنانسى للزعيم الذى أعلن قائلا:

- هذا هو قرارى إذًا: بما أن أنانسى لديه ممر مباشر إلى البستان، فذلك يعنى أن البستان مِلك له.

غضبت العظاءة لدى سماعها هذا القرار لدرجة أنها لم تستطع النطق بشيء. وظلت تحرك رأسها منادية رب السماء ليشهد على الظلم الذى وقع عليها.

رحل الزعيم والعظاءة كل إلى بيته. وقام أنانسى وأسرته بحمل الخضروات ووضعوها فى العنبر.

قررت العظاءة الانتقام من أنانسى. فحفرت حفرة كبيرة فى الأرض حتى تبدو البطاطا أقل حجما. وقامت بتغطية أعلى الحفرة بالطين تاركة فتحة صغيرة لا تتسع سوى لليد.

وجلست بعد ذلك أمام بيتها تصطاد الذباب الأزرق والأخضر. وقامت بصنع عباءة جميلة من ذلك الذباب والخيوط الرائعة. لم ير أحد فى البلاد مثل هذه العباءة البديعة من قبل! وكانت كلما تحرك العباءة قليلا يبدأ الذباب فى الطنين، فيصدر عنها صوت جميل وطنين مريح.

تزينت أبوس بتلك العباءة وانطلقت إلى سوق القرية. وأراد كل من رأى العباءة أن يشتريها. لكن العظاءة كانت تجيب عن الجميع:

- إنها كل ما تبقى لى، وذلك بعد أن انتزعزا منى الخضروات والبستان. ولم يتبق لدى شىء آخر. فلماذا علىّ بيع العباءة؟

عرضوا عليها أثمن الخضروات المختلفة مقابل العباءة، لكن العظاءة رفضت كل العروض.

سمع أنانسى بتلك العباءة. فذهب إلى السوق يشاهدها. وعندما رأى العباءة فكر فى نفسه: "إن هذا الشىء يناسبنى تماما وسوف أشتريه من أبوس". وفى نفس تلك الليلة ذهب إلى العظاءة فى المساء وسألها:

- كم تريدين ثمن عباءتك المصنوعة من الذباب؟

ردت أبوس:

- لقد استوليت على جميع خضرواتى بالمكر والخداع، حتى أصبحت أعانى الجوع الآن. وسوف أعطيك هذه العباءة الرائعة لو ملأت الحفرة الواقعة فى فنائى بالخضروات حتى قمتها.

ذهب أنانسى يتفحص الحفرة. وقرر أن العظاءة أغبى مما يظن، ويمكن الحصول على العباءة لو أعاد إليها القليل من البطاطا. وقال للعظاءة:

- حسنا، سوف أقوم بملء حفرتك بالبطاطا والخضروات، وتعطينى فى المقابل عباءتك المصنوعة من الذباب.

طلب الاثنان من الزعيم أن يصبح شاهدا على الأمر. وذهب أناسى لإحضار الخضروات.

أحضر سلة صغيرة مملوءة بالبطاطا وألقى بها فى الحفرة، لكن الحفرة لم تمتلئ. فذهب إلى البيت لإحضار سلة ثانية. لكنها لم تكف أيضا. فأحضر الكثير والكثير من سلال البطاطا والخضروات ثم نادى على أبنائه لمساعدته. ومضى الجميع يحملون السلال المملوءة إلى الحفرة، حتى أصبح البيت خاويا تماما، ولم يستطعوا ملء الحفرة بعد. وأخذوا يجرون سلال البطاطا والخضروات طوال الليل. وعندما طلع الصباح لم تكن الحفرة فى فناء العظاءة قد امتلأت بعد.

أخيرا حمل أنانسى آخر سلة من البطاطا والخضروات، وألقى بها إلى داخل الحفرة وهو يصرخ:

– لقد أعطيتك كل ما لدى، ولم يعد لدى شىء آخر!

نظرت العظاءة إلى الحفرة وقالت:

– إن الحفرة فارغة وأنت لم تحضر شيئا!

لكن أنانسى رد بغضب:

– لم يبق لدى شىء! وأصبح بيتى خاويا.

قالت العظاءة:

– إن الزعيم شاهد لدى! وأنت لم تف بوعدك.

صار أنانسى يبكى من شدة الحزن. وعندئذ قالت العظاءة له:

– حسناء سوف أغفر لك لو أعدت لى بستانى.

فرح أنانسى وقال:

– البستان ملكا لك! البستان ملكا لك!

وافقت أبوس قائلة:

- هذا أمر آخر! الأرض لى ويمكنك أخذ العباءة لنفسك.

خلعت العظاءة العباءة وأعطتها لأنانسى.

ألقى أنانسى بالعباءة فوق كتفه وأصبح سعيدا وفخورا بنفسه. لكن هبت رياح قوية فجأة، وأخذ الذباب فى الطنين، وقبل أن يدرك أنانسى الأمر طارت العباءة المصنوعة من الذباب من فوق كتفه. واندفع أنانسى محاولا إدراكها لكنه لم يلحق بها قط.

والآن يسعى أنانسى لحياكة مثل تلك العباءة المصنوعة من الذباب، والتى أخذها من العظاءة. لهذا تنسال منه دون توقف الخيوط التى يصطاد بها الذباب. وعندما يبدأ فى الطنين يتملكه الغضب فيلتهمه. ومهما سعى وحاول، فإنه لم يستطع الانتهاء من عمله.

وعندما تتذكر العظاءة خطأ الزعيم الذى أرغمها على منح أرضها للعنكبوت أنانسى، فإنها تحرك رأسها منادية على رب السماء ليساعدها.

٦٧ـ لماذا ترقد الأفعى على ظهرها عندما تموت؟

حدث ذات مرة أن وقع العنكبوت أنانسى فى ضائقة مالية. فذهب إلى الجيران يطلب العون منهم. لكن أحدا لم يرغب فى إقراضه المال، لأن بعض الأقاويل الخبيثة دارت حوله. وقد ذهب إلى الفهد ومن بعده إلى الفيل لكنهما رفضا مساعدته. وذهب إلى الغرغر والسلحفاة والصقر، لكنه لم يحصل على شيء منهم. عندئذ رحل إلى قرية بعيدة يعيش بها الثعبان أوفو. فأقرضه الثعبان ما يحتاجه من المال، بشرط أن يعيد الدين بعد واحد وعشرين يوما.

وبعد مرور واحد وعشرين يوما لم يستطع أنانسى الحصول على المال لدفع دينه. وفكر فى وسيلة للخروج من المأزق الذى وقع فيه. فذهب إلى مدينته وملأ سلة كبيرة بالبطاطا. ووضع السلة فوق رأسه وذهب بها إلى بيت الثعبان قائلا له:

– لقد حل اليوم الذى على فيه إعادة مالك. لكنى أحتاج إلى يومين أو ثلاثة بعد للحصول على المال. وأرجو أن يتسع صدرك وتوافق على الانتظار وتمديد المهلة. وقد جلبت لك بعض البطاطا عرفانا بجميلك وعونك لى.



أضاف أنانسى قائلا للثعبان العديد من العبارات الطيبة، حتى وافق الثعبان الانتظار لثلاثة أيام.

أعطى أنانسى للثعبان نصف كمية البطاطا، واحتفظ بالنصف الآخر فى السلة.

كان الثعبان مضيافا. ودعا أنانسى للمبيت فى منزله. فقبل أنانسى الدعوة شاكرا.

فى منتصف الليل نهض أنانسى من فوق الحصيرة متسللا فى هدوء، وخرج خلف الباب دون أن يلحظه أحد. وحمل نصيبه من البطاطا، وقام بإخفائه فى الأحراش.

وبعد عودته وضع السلة الفارغة أمام البيت، وذهب للنوم مرة أخرى.

خرج فى الصباح وسأل الثعبان قائلا:

- أين نصيبى من البطاطا؟

لم يعرف الثعبان شيئا عن البطاطا. فحمل أنانسى السلة الفارغة وعاد إلى البيت. وذهب إلى الزعيم، وأخذ يشكو أن أحدا سرق منه البطاطا.

ثار هرج ومرج بين الناس فى البستان، وصاروا يحدثون بعضهم بعضًا:

- من هذا اللص الذى جرؤ على سرقة أنانسى الذى يقدم الخير دائما؟

دعى الزعيم لعقد المحكمة للعثور على المذنب. واجتمع الناس هناك من كافة القرى. وصرح أنانسى:

- هناك طريقة واحدة للعثور على المذنب. فأنا أمتلك سكينا سحريا. وسوف ألمس به كل الحاضرين بالتناوب، ولن يجرح السكين أحدا من الحضور غير المذنب فقط.

عندئذ صارت الحيوانات تخرج بالدور كى تمر بالاختبار.

اقترب الغرغر من أنانسى كأول الحاضرين، فمرر أنانسى السكين حول ريشه، لكنه مرر السكين من جانبه المثلم وليس من جانبه الحاد. وكرر نفس ما فعله مع السلحفاة والأرنب وغيرهم من الحيوانات. فلم يصب أحدهم حتى بخدش صغير.

وأخيرا جاء الدور على الثعبان الذى هتف قائلا:

- أريد أنا أيضا المرور بالاختبار.

لكن أنانسى رفض قائلا:

- لا، ليس من المعقول أن أختبرك بعد أن أقرضتنى المال، ولا يعقل أن تكون أنت سارق البطاطا!

أصر الثعبان على موقفه قائلا:

- لا بد أن أخضع أنا الآخر للاختبار. فقد كنت فى بيتى عندما سُرقت منك البطاطا. لقد مرت جميع الحيوانات بالاختبار، وينبغى على أنا الآخر البرهنة على براءتى.

حاول أنانسى إثناء الثعبان عن رغبته، إلا أن الثعبان ألح مطالبا تبديد الشكوك من حوله هو الآخر. فقال أنانسى أخيرا:

- حسنا، ما دمت تريد هذا الأمر فسوف أعرضك للاختبار أيضا.

قام أنانسى بتمرير السكين فوق جلد الثعبان، ولكن من الناحية الحادة هذه المرة، فقتله.

هنا صرخ الجميع:

- لم يستطع الثعبان تحمل الاختبار! إذًا، هو المذنب!

عندما مات الثعبان أوفو انقلب على ظهره، فصارت بطنه فى مواجهة السماء وهى تنادى: "يا إلهى انظر بنفسك إلى بطنى! هل أنا الذى أكلت البطاطا من أنانسى؟!"

لهذا السبب ينقلب الثعبان على ظهره، وتواجه بطنه السماء فى كل مرة يقتلونه فيها، مناديا الرب كى يصبح شاهدا على براءته.

٦٨ـ العنكبوت والغربان والتماسيح:

ذات مرة حلت المجاعة بإحدى المدن. ولم يمكن الحصول على طعام من أى مكان. لكن الغربان عثروا على شجرة تين فى جزيرة واقعة بقلب النهر. فأخذوا يقطفون ثمار التين بمناقيرهم، ويحملونها إلى البيت.

وذات مرة عرف العنكبوت هذا الأمر. فأحضر صمغا دهن به بطنه. وعندما عادت الغربان إلى البيت حاملة التين، ذهب إليهم حاملا شقفة فخارية كما لو أنه ذاهب لجمع الحطب وإشعال الموقد فى بيته. أخذت الغربان فى أكل التين وإلقاء البقايا منه فوق الأرض. وطلب العنكبوت منهم مساعدته فى إشعال النار، ثم جلس منتظرا فى الأسفل مستلقيا على ظهره وبطنه لأعلى حتى تلتصق بها قطع التين الواقعة. وبعد أن أحضروا إليه قطعة من الفحم المشتعل، نهض وانطلق إلى البيت دون أن تلحظ الغربان أنه قد حمل معه قطع التين التى ألقوا بها.

عاد العنكبوت إلى البيت، وقام بإخفاء التين وألقى بالفحم جانبا، ثم عاد إلى الغربان ثانية طالبا منهم قطعة أخرى من الفحم. وجمع الكثير من قطع التين بنفس الطريقة السابقة. وعندما قام بهذا الأمر للمرة الثالثة هتف أحد الغربان:

– هل سوف تظل على هذا الحال طويلا؟ إنك تأتى فى طلب الفحم ثم تلقى به، وتعود مرة أخرى إلى هنا!

اعترض العنكبوت قائلا:

– أنا لا ألقى به، بل إن الفحم تخبو ناره فى البيت.

رد الغراب:

– أنا لا أصدقك. إنك تأتى هنا مرة أخرى فثانية من أجل التين، ولو لم تكن أيها العنكبوت خبيثا على هذا النحو، لكنا قد اصطحبناك معنا إلى الجزيرة.

بدأ العنكبوت يشكو بصوت عال لدى سماعه رد الغــراب. وأخــذ يبكــى ويولول:

- إهئ، إهئ، لم يعد أحد يرعانا بعد موت والدينا، وقد أوصيانا وهما على فراش الموت أن نقدم الخير للجيران، وأن نقتسم طعامنا مع الجميــع، إهئ إهئ!

- كفى بكاءً واذهب إلى البيت. وعد غدا إلى هنا فى الصباح الباكر، وسوف نصطحبك معنا إلى الجزيرة.

قال العنكبوت وهو يمسح دموعه:

- حسنا.

قام الغراب بإيقاظ العنكبوت فى الصباح الباكر، ثم حلقت الغربان فى الهواء حاملة العنكبوت معها وطارت نحو الجزيرة. وهبطوا فوق شجرة التــين الواقفــة هناك، وبدءوا يجمعون الثمار منها. وكان العنكبوت كلما رأى غرابا يهــم بقطــف ثمرة من التين يصرخ قائلا: "إنها ثمرتى، وأنا أول من رآها، فلا تقتــرب منهــا". فيترك الغراب ثمرة التين. ويقوم العنكبوت بقطفها ووضعها فى جواله. وهكذا جمع كل ثمار التين.

عندئذ قال الغراب الذى حمله إلى الجزيرة:

- والآن أيها العنكبوت، أظنك تدرك قصدى عندما قلت عنك بأنك خبيث.

وغضبت الغربان الأخرى كذلك من العنكبوت. فطــاروا جميعــا تاركينــه بمفرده فوق شجرة التين. ظل العنكبوت وحيدا على الجزيرة يحيطــه المــاء مــن الأمام ومن الخلف. ولم يعرف الطريق الذى يسلكه للعودة.

ظل العنكبوت هناك حيث ألقت به الغربان حتى غربت الشمس تقريبا، ثم قال فى نفسه: "لقد قفزوا لأسفل، وسوف أفعل مثلهم". وقفز لأسفل فوجد نفسه محاطا بالتماسيح فى قلب الماء. وصرخ العنكبوت عندما رآهم:

- فلينقذنى الرب من هذه المحنة! أنتم تعيشون هنا إذاً أيتها التماسيح!

اعترت الدهشة التماسيح لدى رؤيتهم العنكبوت فى الماء، فسألوه:

- من أين ظهرت هنا؟

رد العنكبوت:

- لا تسألونى أيها الأولاد. لقد مت منذ زمن بعيد وأنا صبى بعد، وذلك عندما كان أجدادكم على قيد الحياة. وقد بحثوا عنى فى كل مكان ولم يمكنهم العثور علىَّ، ثم عطف الرب علىَّ برحمته وأعادنى إلى الحياة بينكم.



قال العنكبوت قوله ودموعه تسح فوق خديه. فقالت التماسيح مواسية:

- كفاك بكاءً، وعليك الآن العودة إلى البيت.

حملوه بعد ذلك إلى كوخ خال بين بيوتهم، ثم قررت التماسيح فيما بينها:

- هيا نعطيه بعضا من حساء القاذورات، لنعرف إن كان أحد أقاربنا بالفعل أم لا، ولو أكله فهو يقول الحقيقة، ولو لم يأكله فهو غريب عنا.

قامت التماسيح بإعداد إناء كبير مملوء بحساء القاذورات، ووضعوه أمام العنكبوت فقال لهم:

- أبنائى! من الذى علمكم إعداد طعام الأسلاف اللذيذ هذا؟

خرجت التماسيح وحفر العنكبوت حفرة فى الأرض، وألقى بكل ما فى الإناء داخل الحفرة، ثم نادى على التماسيح وقال لهم:

- شكرا لكم يا أبنائى، هيا كلوا ما تبقى.

نظرت التماسيح إلى الإناء الفارغ فصاحت:

- لا شك فى أنه واحد من الأسرة.

كان بالكوخ الذى خصصوه للعنكبوت مائة بيضة وواحدة من بيض التماسيح التى رآها العنكبوت. وعندما ذهبت التماسيح للنوم قال للصغار:

- أطفالى الصغار! لو سمعتم صوت تكسر فى الليل فعليكم القول: "إن ضيفنا يطلق ريحا من بطنه".

فى منتصف الليل قام العنكبوت بوضع جميع البيض فى النار، وعندما سخن البيض بدأ يتكسر. سمعت التماسيح صوت تكسر البيض فأخذت صغار التماسيح تهتف قائلة: "إن ضيفنا يطلق ريحا! ضيفنا يطلق ريحا" وأخذت كبار التماسيح تحمى الصغار، لكن العنكبوت تدخل قائلا:

- لا تخشوا ولا تفزعوا، كل شيء على ما يرام. فأولئك الأطفال هم أحفادى. دعوهم يصرخون.

وهكذا، التهم العنكبوت طوال الليل كل البيض المتكسر عدا بيضة واحدة تركها.

فى الصباح التالى أمرت التماسيح الكبيرة صغارها بجمع البيض وإحصائه. فقال العنكبوت:

- اتركوا هذا الأمر لى، وسوف أحمله أنا بنفسى.

نهض واقفا بعد قوله، وحمل البيضة التى لم يأكلها بالأمس إلى التماسيح التى وضعت علامة عليها وقالت.

- ضعها هنا.

رد العنكبوت:

- لا، سوف أعود بها وأحضر لكم بيضة أخرى.

- حسنا.

ذهب العنكبوت ومسح العلامة التى وضعتها التماسيح، ثم عاد بنفس البيضة مرة ثانية. وظل يكرر ما فعله حتى أحصت التماسيح مائة بيضة وواحدة، واطمأنت إلى أن البيض كله موجود فى مكانه. وقال العنكبوت بعد ذلك:

- أظن أن الوقت قد حان كى أذهب إلى البيت وأحضر زوجتى وأبنائى، إنهم أقاربكم ويمكننا العيش معا. فالحياة الأسرية هى أهم ما فى الدنيا، حقا أم لا؟

صاحت التماسيح فى صوت واحد:

- بالطبع! ولتعد بسرعة حتى يمكنك اللهو مع أحفادك وأقاربك وإخوتك.

رد العنكبوت:

- حسنا.

- احملوه إلى البر الآخر من النهر.

قادت التماسيح العنكبوت إلى شاطئ النهر، وأجلسوه فى قارب. كان القارب راسيا فى منتصف النهر. وقال العنكبوت:

- اذهبوا وتأكدوا من أعداد البيض.

ذهبت بعض التماسيح إلى الكوخ، حيث عثرت على بيضة واحدة فقط. فانطلقت مسرعة إلى الشاطئ وهى تصرخ قائلة:

- ارجعوا بهذا النصاب! ارجعوا بهذا النصاب!

لكن التمساح الذى سار بالمركب كان أصما بعض الشىء، ولم يمكنه تمييز ما تصرخ به التماسيح. وعندما صرخت التماسيح قائلة: "ارجعوا به إلى هنا!"، قال العنكبوت للتمساح الذى ينقله بأنهم ينادون عليه قائلين: "أسرع قبل أن يبدأ المد!". وهكذا نجح العنكبوت فى الوصول إلى الشاطئ بسلام. وذهب إلى بيته وهو بصحة وعافية.

٦٩ـ لماذا توجد الحكمة في كل مكان؟ ولماذا لا يتمتع الجميع بها؟



كان العنكبوت أنانسى يعد نفسه أكثر الحكماء فى العالم. فقد كان بوسعه بناء الكبارى، وإقامة السدود، وتمهيد الطرق. كما كان ماهرا فى نسج الشباك والصيد. ولم يكن يرغب فى اقتسام حكمته مع أحد كان.

فى أحد الأيام المشرقة قرر أنانسى جمع الحكمة الموجودة فى العالم بكل أنواعها وإخفائها فى مكان بعيد لا يعرفه سواه.

وظل يجوب أرجاء الدنيا ويجمع الحكمة فى كل مكان يذهب إليه، مقتطفات صغيرة منها كانت أو أقساما. ويقوم بتخزينها فى وعاء فخارى كبير. وعندما امتلأ الوعاء فكر أنانسى فى إخفائه فوق قمة شجرة عالية، حتى لا يستطيع أحد العثور على الحكمة التى جمعها. فأخذ يتسلق الشجرة حاملا الوعاء بيده.

ثار فضول إنتيكوما ابن أنانسى لمعرفة ما يفعله والده. فاختبأ بين الأحراش، وصار يراقبه.

وعندما رأى والده يحتضن الوعاء إلى بطنه، مما أعاقه عن الإمساك بالشجرة بيديه، لم يتمالك الابن نفسه وهتف:

– والدى! هل يمكننى إبداء النصح لك؟

ارتعد أنانسى من المفاجأة وصرخ غاضبا:

- أنت تراقبنى إذًا!

اعترض إنتيكوما قائلا:

- لا، لقد أردت مساعدتك فقط.

- هذا ليس شأنك.

- لماذا أيها الوالد؟ إنى أرى أنه من الصعب عليك تسلق الشجرة حاملا هذا الإناء، فلو قمت بدفعه فوق ظهرك لأصبح الأمر سهلا عليك.

فكر أنانسى فى الأمر ثم وافق عليه. فقام بنقل الإناء من فوق بطنه إلى ظهره. واستطاع تسلق الشجرة بسهولة، ثم توقف ناظرا إلى إنتيكوما، وحانقا على نفسه لأنه يحمل إناءً كبيرا مملوءًا بالحكمة، ولم يعرف وسيلة لحمل هذا الإناء والصعود به فوق الشجرة.

وفى غمرة غضبه أسقط إناء الحكمة، فوقع منه على الأرض وتحطم. وتناثرت أجزاء وأقسام الحكمة فى كافة الأرجاء، وطارت إلى جميع أطراف البلاد.

ركض الناس لدى سماعهم ما جرى. وأراد كل منهم جمع ولو قليل من الحكمة.

والآن يمكننا أن نرى الحكمة فى كل مكان. ولو صادفكم أحمق فى يوم من الأيام، فعليكم إدراك أنه قد تأخر ولم يدركه الوقت للحصول على نصيبه من الحكمة.

يتذكر الأشانتى تلك الحكاية عندما يقولون: "من الجيد الحصول على رأس واحدة، ولكن من الأفضل الحصول على اثنتين".

٧٠ـ كيف استطاعت السلحفاة أن تخدع العنكبوت؟

تدور أحداث هذه الحكاية حول السلحفاة والعنكبوت. فذات مرة خرجت السلحفاة والعنكبوت يرتحلان فى بلاد الله خلق الله. وكان العنكبوت يقول فى كل مكان يذهبان إليه:

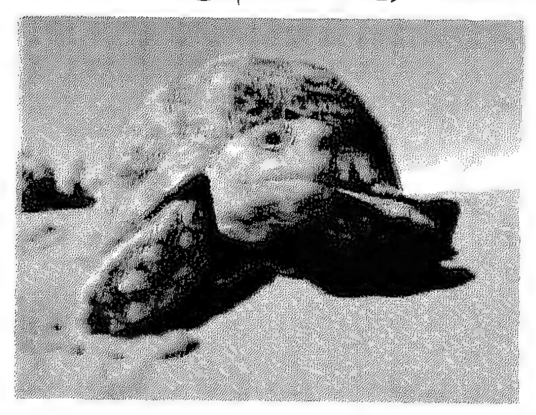
– سوف أحضر الطعام الآن. فإذا سمعتهم يقولون: "إن هذا الطعام للرحالة الغرباء"، فذلك يعنى أنه لى، وإذا سمعتهم يقولون: "إن هذا الطعام للرحالة الغريبة"، فهذا يعنى أنه لكِ.

فى المساء أحضروا الطعام إليهم وقالوا:

– هذا الطعام للرحالة الغرباء.

فقال العنكبوت:

– أترين أيتها السلحفاة؟ إن هذا الطعام لى أنا.



والتهم العنكبوت الطعام كله تاركا السلحفاة تعانى الجوع.

وفى الصباح التالى ذهبا إلى مدينة أخرى حيث قدموا لهم الطعام قائلين:

– هذا الطعام للرحالة الغرباء.

فصاح العنكبوت:

- إن هذا الطعام لى أنا.

والتهم الطعام كله مرة أخرى، تاركا السلحفاة والجوع يعتصرها، حتى أصابها الهزال تماما. وقامت ذات مرة بأخذ إناء صاحب البيت الذى توقفوا لديه، وبدأت فى لعق ما تبقى به من طعام. واستيقظ صاحب البيت فى هذا الوقت. وخرج حاملا عصاه كى يضرب بها من أزعج نومه. فصاحت السلحفاة قائلة:

- إنها أنا السلحفاة.

عندئذ سألها صاحب البيت:

- ألم تأكلى من الطعام الذى أحضروه إليكِ؟

ردت السلحفاة:

- لا لم آكل منه. فقد أخبرنى العنكبوت أنهم لو قالوا عند إحضار الطعام: "إن هذا الطعام للرحالة الغرباء"، فذلك يعنى أن الطعام له، ولو قالوا: "إن هذا الطعام للرحالة الغريبة"، فهذا يعنى أن الطعام لى.

تملكت الدهشة من صاحب البيت وقال:

- يا الله!! هذا ما فعله بكِ العنكبوت إذًا؟ اذهبى إلى النوم الآن، وفى الصباح سوف ترين ما سوف يجرى.

فى الصباح أمر صاحب البيت بتحضير الطعام وإعداد دجاجتين. ونادى على الخادم قائلا له:

- استمع جيدا لما أقوله لك، عليك حمل هذا الطعام إلى الضيفين والقول: "إن هذا الطعام للرحالة الغريبة".

ذهب الخادم حاملا الطعام وقال:

- إن هذا الطعام للرحالة الغريبة.

فهتف العنكبوت يقول:

- إنك كاذب! إننا اثنان هنا، فلماذا تقول: "إن هذا الطعام للرحالة الغريبة"؟

رد الخادم معترضا:

- لقد أمرونى بإحضار الطعام للرحالة الغريبة.

عندئذ قال العنكبوت:

- حسنا، كلى أيتها السلحفاة، فهذا الطعام لكِ.

غضب العنكبوت غضبا شديدا مما فعله رب البيت وقرر:

- سوف نرحل غدا من هنا.

عندما أخذا فى وداع مضيفهم قرر رب البيت أن يهديهم ثورا وعنزة. فساق الثور والعنزة إلى البيت. وربط الثور بحبل رفيع، والعنزة بمئزر جلدى، ثم أغلق باب البيت تاركا طرفى الحبل والمئزر فى الخارج. وقال صاحب البيت:

- فليختر كل منكما الحبل أو المئزر، ويأخذ لنفسه الحيوان المربوط به.

اندفع العنكبوت فى الحال يمسك بطرف المئزر وهو يدفع بالسلحفاة جانبا، وفى اعتقاده أن الثور هو المربوط بالمئزر.

وسألهم:

- هل تمسكان بالطرفين؟

رد الاثنان:

- نعم، نمسك.

عندئذ فتح رب البيت الباب وقال:

- فليأخذ كل منكما ما يجذبه بيده.

جذب العنكبوت طرف المئزر الجلدى حتى خرجت العنزة النحيفة إليه. وعندما جذبت السلحفاة طرف الحبل خرج إليها الثور الكبير المربوط به. فغضب العنكبوت وصاح:

- سوف أنتقم لهذا الظلم.

بعد ذلك رحل العنكبوت مع السلحفاة. وفى الطريق قام العنكبوت بذبح عنزته وقدم كبدها للسلحفاة. فوضعت السلحفاة الكبد فى جرابها. وسار الاثنان قليلا ثم قال العنكبوت:

- والآن أعطنى الكبد أيتها السلحفاة.

أخرجت السلحفاة الكبد من جوالها ومدت يدها به إلى العنكبوت الذى هتف يقول:

- لا أيتها السلحفاة، ألم تفهمى المزحة بعد؟ لقد كنت أمزح معك، التهمى هذا الكبد فإنى أهديه لكِ.

أكلت السلحفاة الكبد.

رأى العنكبوت السلحفاة وقد التهمت الكبد، ثم انتظر قليلا وقال:

- أعطنى الكبد أيتها السلحفاة.

ردت السلحفاة:

- لم يعد لدى الكبد.

عندئذ صرخ العنكبوت:

- أنتِ كاذبة، وعليكِ الآن قتل ثورك ومنحى كبده!

قتلت السلحفاة الثور وأعطت كبده للعنكبوت. لكن العنكبوت قال إن كبد عنزته أكبر. فغضبت السلحفاة وقسمت لحم الثور، وأعطت نصفه للعنكبوت الذى قال معترضا:

- إنى أرفض، فقد كان كبد عنزتى أكبر من كل هذا، وعليك أن تعطينى الثور بأكمله.

أخذ العنكبوت كل اللحم قائلا إنه قد استرد حقه.

صاحت السلحفاة:

- وأنا أيضا سوف أسترد حقى.

تركت العنكبوت ومضت فى طريقها. وفى أثناء سيرها شاهدت طباشير وصبغة زرقاء. فقامت بتلطيخ نفسها ورقدت على الطريق.

غربت الشمس وهبط الليل. ووصل العنكبوت فرأى السلحفاة وتملكه الخوف منها. فضرب صدره بيده وقال:

- افسحى الطريق أيتها الرقطاء.

لم تنطق السلحفاة بشىء.

قال العنكبوت:

- هل تريدين شيئا من لحم الثور.

صمتت السلحفاة وأخرج العنكبوت فخذ الثور ووضعه أمامها. لكن السلحفاة لم تتحرك. فألقى العنكبوت إليها بالفخذ الأخرى. وظلت السلحفاة على صمتها وسكونها. عندئذ سألها العنكبوت:

- ربما تريدين أخذ اللحم كله؟

ألقى بكل اللحم إليها، ولم تتحرك السلحفاة.

عندئذ هتف العنكبوت فى غيظ:

- ربما تريدين ثيابى وملابسى؟

ونزع كل ملابسه وأعطاها لها، وظل عاريا.

حينئذ ابتعدت السلحفاة جانبا، وأفسحت للعنكبوت طريقا يمـر بـه. وسـار العنكبوت مبتعدا عنها، فوقفت السلحفاة وحملت كل اللحم والأشياء الأخرى قائلة:

- والآن استرددت حقى أنا الأخرى.

٧١ـ العنكبوت والسلحفاة:

كان العنكبوت جائعا ليل نهار على الدوام. وكان نهمــا للطعـــام بــصورة مستمرة، وقد عرف كل فرد من الأشانتى خبر شراهته. بالإضافة إلى ذلــك كـــان بخيلا يسعى دائما للحصول على أكثر من نصيبه. لذلك، كان الجميــع يتحاشـــون العنكبوت.

ذات مرة جاء إلى كوخه عابر سبيل قادم من بلاد أخرى. كان هذا العـــابر هو السلحفاة. وكان بيتها يقع بعيدا. وقد سارت طوال اليوم تحت أشـــعة الـــشمس الحارقة حتى أصابها الجوع والتعب. واضطر العنكبوت- برغبته أو بغير رغبتـــه - أن يدعو السلحفاة إلى بيته، ويقوم على ضيافتها. وقد فعل العنكبوت هذا الأمـــر على مضض منه، فلو لم يستضف العنكبوت المسافر المنهك، لعلم جميع المحيطين بهذا الأمر، ولصاروا ينتقدون العنكبوت ويهجونه.

قال العنكبوت للسلحفاة:

- يوجد جدول ماء هناك حيث يمكنك غسيل أقدامك. فاهبطى عبر الممـــر إلى المجرى ريثما أعد لكى الغداء.

انطلقت السلحفاة بكل ما بوسعها من سرعة. وهبطت عبر الممر إلى جدول الماء. وقامت بغسل أقدامها فى حرص، ثم استدارت ومضت عائدة عبر الممر إلى بيت العنكبوت، كان الممر متربا. فاتسخت قدماها مرة أخرى عندما سارت عليـــه فى طريق العودة إلى بيت العنكبوت.

فى ذلك الوقت وضع العنكبوت الطعام على المائدة. كان البخار يتصاعد من الطعام مطلقا فى الهواء رائحة طيبة أثارت لعاب السلحفاة، فهى لم تأكل شيئا منذ غروب الشمس.

نظر العنكبوت نظرة استهجان إلى أقدام السلحفاة وقال لها:

- إن أقدامك متسخة للغاية، ألا تودين غسلها بالماء قبل تناول الطعام؟

نظرت السلحفاة إلى أقدامها، فبدت لها متسخة للغاية حتى إن الخجل اعتراها. فاستدارت منطلقة نحو جدول الماء ثانية.

قامت بوضع الإناء فى جدول الماء حتى امتلأ، ومضت تغسل نفسها بعناية، ثم ذهبت إلى بيت العنكبوت.

لم يكن من السهل على السلحفاة أن تتجول على هذا النحو. وعندما وصلت إلى بيت العنكبوت جلست مسرعة إلى مائدة الطعام وهى تلهث من التعب. وهتف العنكبوت:

- أليس الطعام لذيذا حقا؟

ثم نظر إلى السلحفاة نظرة إشمئزاز وقال لها:

- أوف، ألا تنوين الاغتسال؟

نظرت السلحفاة إلى أقدامها، فوجدتها متسخة من غبار الطريق الذى أسرعت فى العودة به. فقالت:

- لقد غسلت أقدامى، غسلتها مرتين، والذنب فى هذا هو ممرك المترب.

- أوه، أبعد كل هذا تهينين بيتى؟!

وملأ فمه بالطعام متصنعا هيئة الغاضب. فقالت السلحفاة وهى تشم رائحة الطعام:

- أنا لم أهنه، بل فقد أردت تفسير الأمر لك.

- حسنا، حسنا! هيا اذهبى واغتسلى مرة أخرى، وسوف نأكل معا بعد ذلك.

نظرت السلحفاة فرأت الطعام وقد اختفى نصفه، والعنكبوت يلتهم ما تبقى منه.

ذهبت السلحفاة للمرة الثالثة إلى جدول الماء وملأت الوعاء بالماء. وقامت بغسل أقدامها، ثم عادت إلى البيت. لكنها فى هذه المرة لم تسر عبر الممر، لكنها خطت فوق العشب بين الأحراش. وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد استغرق منها وقتا أطول، فإن أقدامها ظلت نظيفة فى المقابل.

وعندما دخلت إلى البيت رأت العنكبوت يلعق شفتيه. وقال لها:

- أوه، لقد أكلنا معا طعاما شهيا حقا!

نظرت السلحفاة إلى الطبق الذى لم يكن به شىء، وحتى الرائحة قد تبخرت منه. كانت السلحفاة تتضور جوعا. لكنها لم تنطق بكلمة للعنكبوت، بل اكتفت بالابتسامة وهى تقول:

- نعم، لقد أكلنا على نحو طيب. إنك مضياف للغاية نحو العابرين بقريتك، ولو قادتك أقدامك إلى حيث أعيش، يمكنك الثقة فى كرمى ورد الضيافة لك.

رد العنكبوت:

- ما الذى تقولينه؟ إن هذا أمر بسيط وكرم تلقائى وطبيعى.

رحلت السلحفاة، لكنها لم تخبر أحدا حول طريقة ضيافة العنكبوت لها.

مرت شهور وشهور عديدة. وكان العنكبوت مسافرا بعيدا عن بيته عندما ساقته الأقدام نحو المنطقة التى تعيش بها السلحفاة. فصادفها عند شاطئ البحيرة حيث كانت ترقد مستمتعة بأشعة الشمس. فما إن رأته حتى قالت:

- أوه، عزيزى العنكبوت! إنك الآن بعيد عن بيتك. فربما تقبل دعوتى إلى الطعام؟

رد العنكبوت الجائع:

- نعم، هذا هو العرف المتبع. فعندما يجد الإنسان نفسه بعيدا عن بيته، فإن ما قدمه من كرم سابق يستحق العرفان.

- اجلس هنا على الشاطئ، وسوف أهبط إلى أسفل وأعد لك شيئا من الطعام.

هبطت السلحفاة من الشاطئ إلى الماء حتى وصلت إلى قاع البحيرة، وقامت بإعداد الطعام، ثم سبحت إلى أعلى، وقالت للعنكبوت الذى جلس متحرقا للأكل من شدة الانتظار:

- كل شيء على ما يرام! لقد أصبح الطعام جاهزا! فهيا بنا نغطس لأسفل لتناول الطعام!

غطست السلحفاة إلى القاع.

كان الجوع يعتصر العنكبوت. فقفز إلى الماء، لكنه كان خفيفا، فظل طافيا فوق سطح الماء. ولم يستطع الغوص مهما حاول مرات ومرات، بل ظل طافيا كورقة الشجر. باءت جميع محاولات العنكبوت بالفشل، وظل طويلا يحاول الهبوط إلى القاع حيث كان طعام السلحفاة بانتظاره، لكنه لم ينجح قط.

سرعان ما صعدت السلحفاة إلى السطح وهى تلعق شفتيها بتلذذ. وسألته قائلة:

- ما الذى جرى؟ ألا تريد أن تأكل؟ إن الطعام لذيذ للغاية فهيا أسرع لتتناول نصيبك منه.

غطست السلحفاة إلى القاع ثانية. وقام العنكبوت بمحاولة يائسة أخرى، لكنه لم يفلح، وظل طافيا على السطح. وأخيرا واتته فكرة رائعة برأسه. فعاد إلى

الشاطئ، وقام بجمع عدد من الأحجار وضعها فى جيب سترته. وجمع الكثير من الأحجار حتى أصبح وزنه ثقيلا، وصار يتحرك بالكاد.

قفز إلى الماء من جديد. وغطس إلى القاع فى هذه المرة حيث جلست السلحفاة. كان نصف الطعام قد تبخر والعنكبوت يعانى الجوع. وما إن شرع فى تناول الطعام حتى قالت له السلحفاة بلطف:

- معذرة يا صديقى! فليس متبعا لدينا أن يتناول أحد الطعام مرتديا سترته. فلتقم بخلعها كى تبدأ فى الأكل.

ملأت السلحفاة فمها بالطعام حتى انتفخ، وأخذت فى مضغه. وبعد مرور بضع دقائق لم يبق شىء من الطعام! اعتصر الجوع العنكبوت، وملأت السلحفاة فمها بالطعام ثانية. وما إن نزع العنكبوت سترته، وهم بالانقضاض على الطعام، حتى صعد طافيا لأعلى مرة ثانية بعد أن خف وزنه من الأحجار.

لهذا يقول الناس:

- ينبغى تقديم الطعام مقابل الطعام.

٧٢ـ العنكبوت والغرغر والكروان:



فى أحد الأيام جاء العنكبوت إلى الغرغر وعرض عليه أن يصاحبه فى الطريق. وافق الغرغر وانطلق الاثنان فى الطريق معا. وبينما كانا يسيران ألقى العنكبوت عن عمد بالملاعق والزلعة التى كان يحملها، بالإضافة إلى الأشياء الأخرى. وعندما وصلوا إلى المدينة، توقفوا عند أحد البيوت. وقدموا إليهم حساء اللبن، لكن العنكبوت قال:

- أيها الغرغر، أظن أننا قد فقدنا الملاعق فى الطريق. فعد بسرعة واعثر عليها حتى يمكننا تناول الحساء.

التهم العنكبوت كل الحساء فى أثناء غياب الغرغر. وعندما عاد الغرغر قال له:

- لقد تأخرت كثيرا فى عودتك. وجاء صاحب البيت فى أثناء غيابك فحمل معه طبق الحساء. والآن، سوف نظل أنا وأنت بلا طعام.

أقام الاثنان فى ذلك البيت حتى حلول الليل. وفى المساء قدموا إليهم الفطائر المسلوقة مع قطع اللحم. وقال العنكبوت:

- يبدو أننا فقدنا أقداحنا أيضا. فأسرع وأحضرها حتى يمكننا تناول الفطائر المسلوقة.

التهم العنكبوت كل الطعام بمفرده فى أثناء غياب الغرغر. وعندما عاد الغرغر قال له:

- لقد تأخرت كثيرا! وجاء الكلب أثناء غيابك فالتهم الطعام كله. والآن سوف نظل جائعين.

قرر الاثنان فى اليوم التالى العودة إلى البيت. فحزموا أمتعتهم وخرجوا إلى الطريق. وبعد مضى بعض الوقت وصلوا إلى النهر. فأشعل العنكبوت نارا عند الشاطئ، وقال للغرغر:

- انتظرنى هنا حتى أتسلق تلك الشجرة، وأقفز منها إلى النهر. وعندما تسمع صوت ارتطامى بالماء عليك أنت الآخر القفز فى النار والسباحة فيها.

تسلق العنكبوت أعلى الشجرة، وألقى بحجر كبير من فوقها إلى النهر. وعندما سمع الغرغر صوت الارتطام قفز فى قلب النار حتى احترق.

عندئذ عاد العنكبوت إلى مكانه، وأخرج الغرغر المشوى من النار، ثم قام بتنظيفه من الريش والتهمه. بعد ذلك أخذ العنكبوت ما تبقى من الغرغر وربطه مع أغراضه الأخرى وعاد إلى البيت.

ذهب العنكبوت بعد ذلك لزيارة الكروان وقال له:

- مرحبا أيها الكروان. سوف أسافر لبعض الوقت ألا تريد مصاحبتى فى الطريق؟

- أريد بالطبع.

وهكذا، انطلق العنكبوت مع الكروان. وعندما أصبحا في الطريق أخذ العنكبوت في إلقاء الملاعق والأقداح مرة أخرى. لكن الكروان شاهد ذلك الأمر، وقام بإخفائها أسفل ذيله دون أن يراه العنكبوت.

وعندما وصل العنكبوت والكروان إلى المدينة، توقفا بأحد البيوت. فقدم إليهم صاحب البيت حساء اللبن. وقال العنكبوت:

- أتعرف أيها الكروان، يبدو أننا فقدنا الملاعق في الطريق إلى هنا. فهيا أسرع واذهب للبحث عنهم حتى يمكننا تناول الحساء.

رد الكروان:

- لا داعي، لأن لدي بعض الملاعق.

غضب العنكبوت غضبا شديدا ورد:

- يا له من أمر جيد. كل ما تشاء إذًا.

أخذ الكروان يغرف لنفسه من الحساء ويأكله بشراهة، حتى لم يبق شيء للعنكبوت سوى بعض القطرات.

وفي المساء قدموا للعنكبوت والكروان فطائر العجين المسلوقة مع اللحم. فقال العنكبوت:

- يبدو أننا قد فقدنا أقداحنا كذلك. فاركض سريعا وأبحث عنهم، كي يمكننا تناول الفطائر المسلوقة.

اعترض الكروان قائلا:

- لا داعي لهذا الأمر مطلقا. انظر، لدي هنا ما يكفينا من الأقداح.

استشاط العنكبوت غضبا وقال:

- حسنا، حسنا! كل من الفطائر إذًا.

التهم الكروان كل الفطائر تقريبا، ولم يترك سوى أصغر قطعة منها للعنكبوت.

فى الصباح التالى قررا العودة إلى البيت. فحزما أمتعتهما ورحلا إلى الطريق. وعندما اقتربا من شاطئ النهر أشعل العنكبوت نارا كبيرة وقال للكروان:

- انتظرنى هنا حتى أتسلق تلك الشجرة وأقفز منها إلى النهر. وعندما تسمع صوت ارتطامى بالماء، عليك أنت الآخر القفز فى النار والسباحة فيها أيضا.

رد الكروان قائلا:

- حسنا.

قام العنكبوت بتسلق الشجرة العالية، وقذف من هناك حجرا كبيرا إلى الماء. وعندما سمع الكروان صوت ارتطام الحجر بالماء حمل نعل العنكبوت وألقى به فى قلب النار، ثم اختبأ فى ركن بجراب العنكبوت. انتظر العنكبوت برهة من الوقت، ثم عاد يبحث بين جمرات النار. وعثر هناك على النعل، فأخرجه وشرع يأكله. فكر العنكبوت فى نفسه ممتعضا: "يا للملعون! إن لحم الغرغر كان أطيب مذاقا بكثير من لحم هذا الكروان".

عندما انتهى العنكبوت من التهام النعل، أخذ أمتعة الكروان وربطها بأمتعته، وانطلق إلى البيت.

بعد ما عاد إلى البيت بدأ فى حل أمتعته وإخراج أغراضه. وهنا طار الكروان من مخبئه، وحط فوق رأس زوجة العنكبوت. فصرخ العنكبوت قائلا:

- قفى ساكنة أيتها العنكبوتة!

وأخرج مطرقة ثقيلة، واستعد لضرب العنكبوتة على رأسها. لكن الكروان طار بسرعة البرق، فحطمت الضربة العنكبوتة وقتلتها.

حلق الكروان وحط فوق رأس ابن العنكبوت. وهجم العنكبوت عليـــه مـــرة أخرى، لكن الكروان أفلت محلقا ثانية، وحلت الضربة برأس ابن العنكبوت فقتلته. عندئذ وقف الكروان فوق رأس العنكبوت نفسه. فخرج العنكبـــوت مـــن البيـــت، ومضى يتسلق إحدى الأشجار. فصعد إلى قمة الشجرة العالية، وألقى بنفـــسه مـــن فوقها إلى أسفل، ظنا منه بأنه سوف يقتل الكروان بهذه الطريقة. لكن الكروان حلق مبتعدا، وارتطم رأس العنكبوت بالأرض فمات. وذهب الكروان إلى البيت، وحمل معه جميع أغراض العنكبوت إلى بيته.

٧٣- لماذا يصيب نبات التين الشوكى كل من يلمسه بالأشواك؟

حدث فى زمن من الأزمنة أن حل الجوع بالبلاد. وكانت عنابر رب السماء "نياما" هى الوحيدة المملوءة بكل أنواع الطعام. وأعلن نياما عن احتياجه لمساعد له، كى يبيع الطعام للناس.

جاء الكثيرون إلى بيت نياما كى يحصلوا على ذلك العمل. لكن رب السماء وضع هذا الشرط: من يريد العمل لدى عليه إزالة شعر رأسه، كى يعرف الجميع أنه خادم نياما.

لم يرغب أحد فى السير برأس حليقة. وكان العنكبوت أنانسى هو الوحيد الذى وافق على الشرط. وألحقه نياما بخدمته. فقام خدم نياما بحلق رأس أنانسى. وبدا الأمر لأنانسى مهينا، وذلك بسبب سخرية الناس منه وضحكاتهم العالية لدى ظهوره بالسوق فى كل مرة.

لكنه رغم ذلك استطاع بيع كل شىء أعطاه له نياما. وذهب فى اليوم التالى لإحضار المزيد.

قام خدم نيامى بإمساك أنانسى على الفور. وحلقوا له رأسه ثانية. فصار الناس يسخرون منه ويضحكون لهيئته.

كان خدم نياما يحلقون رأس أنانسى كل يوم. وقد أصابه الملل من هذا الأمر حتى إنه حمل بعض مخزون نياما وفر به هاربا إلى الغابة.

ذهب أنانسى إلى امرأة تدعى أبيرافا، تتمتع بمهارات فائقة فى السحر.

طلب أنانسى من أبيرافا حمايته من نياما، وعرض عليها دفع مقابل ما سرقه من نياما. فوافقت المرأة. وكان لدى رب السماء قطيع من الثيران المتوحشة، التى لم يستطع أحد الاختباء منها. فأمرهم نياما بالعثور على أنانسى وإحضاره إليه كى يكمل عمله.



عرفت الثيران على الفور مخبأ أنانسى. فانطلقوا فى أثره بالغابة. ووصلوا إلى كوخ أبيرافا وقالوا:

– لقد أمر رب السماء بعودة أنانسى إلى البيت.

ردت أبيرافا:

– لكنه ليس موجودا هنا.

– إنه هنا، وسوف نأخذه معنا.

كانت أبيرافا ساحرة جديرة باسمها. وكان لديها سيف طويل حاد يضرب من تلقاء نفسه.

كانت تأمر السيف أن يضرب فيأخذ فى الضرب، ثم تأمره بالتوقف فيتوقف عن الضرب.

حملت أبيرافا السيف من المنزل وأمرته قائلة:

– اقتلهم!

طار السيف من يدها وطعن جميع رسل رب السماء حتى قتلهم. عندئذ أمرته:

– اهدأ!

هدأ السيف وتوقف.

وهكذا نجا أنانسى وظل يعيش فى بيت أبيرافا. ولكن ذات مــرة خرجــت أبيرافا إلى القرية المجاورة فى زيارة لأحد البيوت. وطلبت من أنانسى قبل رحيلها أن يرعى البيت. وافق أنانسى، ولكن ما إن رحلت حتى سرق سيفها المسحور وفر هاربا به إلى المدينة التى عاش بها نياما رب السماء. وذهب إلى نياما وقال له:

- لقد خرقت الاتفاق معك، لإننى لم أتحمل حلاقة رأسى كل يوم. وأنا الآن أمتلك سيفا جبارا يمكنه حمايتك فى حالة الحرب. وقد أحضرته إليك.

تقبل نياما كلمات أنانسى الطيبةً، وغفر له ما فعله.

وفى أحد الأيام اقترب الأعداء من مدينة نياما كى يهجموا عليهــا ويأخــذوا رب السماء. أمر نياما بنفخ النفير وقرع الطبول. وسمع عسكره الإشارة فأسرعوا حاملين رماحهم ودروعهم. لكن نياما شاهد أن قوات الأعداء تفوقه قــوة وعــددا. وطلب أنانسى يساعده:

- هيا أرنى قوة سلاحك الجبار.

رفع أنانسى السيف السحرى وأمره قائلا:

- اقتلهم!

طار السيف من يده وانقض على الأعداء الذين اقتربوا من بوابة المدينــة. وأخذ السيف يطعن ويقتل هنا وهناك، ويقطع أوصال الأعداء، فلم يفلت منه أحد.

تناثرت جثث الأعداء وافترشت الأرض. وحاول بعض المحــاربين مــنهم الفرار، لكن السيف أدركهم بنصله الفتاك وصرعهم جميعا. وأخيرا رقــد جميــع الأعداء صرعى على أرض المعركة.

عندئذ أمر أنانسى السيف بالتوقف قائلا له:

- توقف!

لكن السيف لم يتوقف.

فصرخ أنانسى:

- عد إلى مكانك! استرح!

ونسى أنانسى كلمة "اهدأ" التى سمعها من أبيرافا، فلم يطعه السيف بسبب ذلك.

وعندما لم يبق أحد من الأعداء على قيد الحياة، أخذ السيف فى قتل محاربى نياما. وحاول أنانسى أن يأمر السيف بشتى الطرق والعبارات عدا الكلمة المطلوبة، وذلك بعد أن نسى كلمة "اهدأ"! فاستمر السيف فى سفك الدماء والقتل حتى أجهز على جميع قوات نياما.

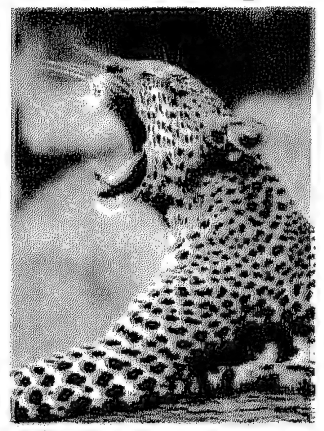
فى نهاية الأمر لم يبق على ساحة المعركة إلا أنانسى فقام السيف بقتله هو الأخر.

بعد ذلك اخترق السيف الأرض وتحول إلى نبات يسمى "التين الشوكى".

وحتى يومنا هذا فكل من يقترب من التين الشوكى تصيبه الجروح من الأشواك المتطايرة منه. وقد جرى كل هذا بسبب عدم نطق كلمة "اهدأ" فى الوقت المناسب.

٧٤ـ طبل أوسيبو:

في أحد الأزمنة القديمة كان لدى الفهد أوسيبو طبل كبير يثير إعجاب كل من الحيوانات والأرباب معا. وعلى الرغم من إعجاب الجميع وانبهارهم به، غير أن أحدا لم يجرؤ حتى على التفكير في الحصول على هذا الطبل لنفسه. وذلك لأن أوسيبو كان أقوى الوحوش على الأرض. وكان الجميع يخشونه. كان رب السماء هو الوحيد الذي أراد الحصول على الطبل من الفهد.



وقد حدث أن ماتت أم رب السماء نياما. وبدأ في الاستعدادا لمراسم دفنها. وأراد نياما إقامة جنازة لائقة لأسرته. كما تحدث الناس أيضا حول هذا الأمر:

- ينبغي الحصول على طبل كبير لمثل هذا الحدث المهيب، وهذا الطبل لا يوجد إلا عند أوسيبو!

لكن نياما لم يعرف وسيلة للحصول على هذا الطبل.

وأخيرا، طلب جميع الوحوش على الأرض للمثول أمامه. وجاء الجميع عدا الفهد الذي لم يحضر.

أحضروا مقعدا لنياما جلس عليه. ووقف الخدم يلطفون الهواء من حوله بالمراوح الريشية.

قال نياما:

- ينبغى أن أحصل على الطبل الكبير الذى يملكه الفهد من أجل جنازة أمى، فمن منكم يمكنه الحصول عليه؟

قال الفيل إيسونو:

- يمكننى القيام بهذا الأمر.

ذهب الفيل إلى حيث يعيش الفهد، وحاول الحصول على الطبل منه. لكن الفهد طرده. فعاد الفيل إيسونو إلى بيت نياما وقال:

- لم أستطع الحصول على الطبل.

عندئذ هتف الأسد جياتا:

- سوف أحصل لك على الطبل.

ذهب الأسد إلى حيث يعيش الفهد، وحاول الحصول على الطبل منه. لكن الفهد طرده هو الآخر. فعاد الأسد جياتا إلى بيت نياما وقال:

- لم أستطع الحصول على الطبل.

كذلك خرج الظبى أدوفا للحصول على الطبل. لكنه أخفق بدوره، ثم ذهب التمساح أودينكيم من أجل الطبل، ولم يستطع هو الآخر أن يأخذه من الفهد. كما انطلق الدب أوفيا وعاد بأيد خاوية. وذهبت العديد من الوحوش الأخرى، لكن الفهد طردهم جميعا.

عندئذ تقدمت السلحفاة أكيكيجى.

كان ظهر السلحفاة فى ذلك الوقت- مثله مثل الحيوانات الأخرى- طريا بعد. قالت أكيكيجى لرب السماء:

- سوف أحصل لك على الطبل!

ضحك الجميع لدى سماعهم تلك الكلمات، حتى إنهم صاروا يضعون أياديهم على أفواههم ليكتموا بها الضحكات، وصاحوا:

- إن أقوى الوحوش لم تنجح في الحصول على طبل أوسيبو، فكيف يمكنكِ أنتِ القيام بهذا الأمر؟ إنكِ صغيرة وضعيفة للغاية!

ردت السلحفاة قائلة لهم:

- لقد حاول كل منكم الحصول على الطبل، وأنا لست أقل ذكاءً من الآخرين.

وخرجت من بيت نياما تزحف ببطء وتسير على مهل، حتى وصلت أخيرا إلى المكان الذي يعيش به الفهد. وعندما شاهد الفهد أوسيبو السلحفاة صرخ بها:

- هل أرسلك نياما أنتِ الأخرى إليّ؟

ردت السلحفاة:

- لا! لقد جئت إليك بدافع الفضول.

قال الفهد:

- وما الذي أثار فضولك كي تشاهديه؟

- لقد صنع نياما رب السماء طبلا كبيرا لنفسه، وهذا الطبل صنع على نحو يسمح للرب بالاختباء داخله. ويقول الناس إن طبله هذا أكبر من طبلك.

رد أوسيبو عليها:

- لا يوجد طبل أكبر من طبلي على وجه الأرض.

نظرت السلحفاة أكيكيجي إلى طبل أوسيبو وقالت:

- إني أراه، أراه جيدا. لكنه ليس بحجم طبل نياما، وفي جميع الأحوال فهو ليس كبيرا إلى الدرجة التي تمكن المرء من الاختباء داخله.

قال أوسيبو:

- أتظنين أنه ليس كبيرا إلى هذه الدرجة؟

وقام أوسيبو بالقفز إلى داخل الطبل كى يثبت للسلحفاة أنها ليست على حق. وقالت السلحفاة:

- نعم إنه طبل كبير بالفعل، لكن مؤخرتك ما زالت ظاهرة منه.

دفع الفهد نفسه أكثر فأكثر إلى داخل الطبل. وقالت السلحفاة:

- والآن، ذيلك هو الذى يبدو ظاهرا من الخارج.

انكمش الفهد أكثر داخل الطبل، ولم يبق شىء من جسمه ظاهرا سوى طرف ذيله. فقالت السلحفاة:

- أوه لم يبق سوى طرف صغير من ذيلك حتى تنتصر!

تكور الفهد أكثر فأكثر داخل الطبل حتى اختفى طرف ذيله.

عندئذ أغلقت السلحفاة فتحة الطبل بوعاء مستدير. ومضت فى طريقها تسحب الطبل إلى بيت رب السماء نياما دون أن تلتفت لزئير الفهد وصرخاته. وحملت الطبل إلى البيت، ثم توقفت وبدأت فى الضرب عليه كى تعطى إشارة لرب السماء بأنها قد أوشكت على الوصول.

عندما سمعت الوحوش صوت الطبل الكبير لأوسيبو، ارتعدت أوصالها من الرعب، ظنا منها أن أوسيبو هو من يقرع الطبل بنفسه. وعندما شاهدوا السلحفاة وهى تزحف ببطء شديد وتجر من خلفها الطبل اعتراهم الذهول.

وقفت السلحفاة أمام رب السماء وقالت:

- ها هو الطبل قد أحضرته إليك، وبداخله يجلس أوسيبو. فما الذى أفعله معه؟

سمع أوسيبو من داخل الطبل كل هذا الحديث، وارتعد من الخوف. فهتف كى ينجو بحياته:

- اتركونى وسوف أرحل فى سلام.

ردت السلحفاة:

- هل تسمحون لى بقتله؟

هتفت الوحوش فى صوت واحد:

- نعم، نعم، هيا اقتليه!

لكن أوسيبو صرخ مستنجدا:

- أرجوكم لا تقتلونى! أطلقوا سراحى، وليبق الطبل لدى رب السماء، ولن أشكو هذا الأمر لأحد!

عندئذ قامت السلحفاة بنزع الوعاء الذى أغلقت به فتحة الطبل، فخرج منها الفهد أوسيبو المرعوب وهو يتقهقر للخلف بظهره دون أن يرى الطريق من ورائه، حتى سقط مباشرة فى موقد الرب، ولهذا أصبح جلده مبرقشا بدوائر سوداء جراء احتراقه من قطع الفحم المشتعلة.

وعلى الرغم من أنه استطاع بعد ذلك النهوض على قوائمه والفرار، لكن آثار النار انطبعت على فرائه، وظلت باقية حتى وقتنا هذا. وهذا هو السبب فى أن فراء جميع الفهود مبرقش ببقع غامقة اللون.

قال رب السماء للسلحفاة:

- لقد نجحتِ فى الحصول على طبل أوسيبو لجنازة والدتى! فما الذى تريدينه فى المقابل؟

نظرت السلحفاة إلى الجميع، ورأت نظرات مخيفة من الحسد فــي عيــون جميع الوحوش. فأصابها الخوف وفكرت فيما يمكن أن يصيبها منهم بسبب تفوقها عليهم جميعا. فقالت السلحفاة لنياما:

- أكثر الأشياء التى أريدها فى العالم هو الحصول على درع قــوى فــوق ظهرى.

منح رب السماء السلحفاة درعا قويا فوق ظهرها ظلت تسير به حتى الآن.

هل شاهدتم قط سلحفاة من دون هذا الدرع؟

٧٥ـ السلحفاة والفهد:

عندما عاش أرامبا أنجب جوامبو، وميلولى، وسيكومروندى.

وصل الفيل إلى قرية نزامبى كى يتقدم للزواج من جوامبو. وبعد أن وصل إلى القرية ذهب إلى بيت المجتمعين وقال:

– آتشى، آتشى[١]. لقد مات الغريب[٢] وكعوب رماحه فى الحقيبة[٣].

سألوه قائلين:

– ومن أنت أيها الغريب؟[٤]

رد عليهم:

– أنا الغريب الذى جئت أتقدم للزواج من جوامبو.

عندئذ نادوا عليها:

– جوامبو! تعالى لتتعرفى على الضيف.

قالت جوامبو:

– أيها الفيل فلنذهب إلى البيت.

ذهب الفيل إلى بيت أم جوامبو التى قامت بسلق الثمار. وحملت جوامبو الطعام وقدمته إلى الفيل.

---

(١) آتشى آتشى تعنى مرحبا.

(٢) كلمة الغريب تعنى العريس المتقدم للزواج.

(٣) كعوب الرماح هى البائنة التى تقدم للزوجة، والتى تحولت بعد ذلك إلى المال.

(٤) تعد هذه العبارة هى وكل الحوار شكلا طقسيا من أشكال الخطوبة.

وعندما هبط المساء دخل نزامبى إلى البيت الذى به الفيل وقال:

- أيها الفيل! إن الوالد الذى يعطى ابنته زوجة لا يخدع ابنته، أما صاحب البانة فهو يخدع بالبانة[١]. إن جوامبو سوف تصبح لك، ولكن هناك شجرة تقع فى حقلى الجديد وينبغى اقتلاعها. فاذهب واقتلعها[٢]. رد الفيل:

- أنا موافق.

بعد بزوغ الفجر حمل الفيل معولا وذهب مع جوامبو إلى الحقل الجديد، وعندما وصل إلى هناك قالت جوامبو:

- سوف أذهب لأقطع بعض أعواد القصب.

ظل الفيل واقفا فى مكانه، ونظر إلى الشجرة فخفق قلبه من الرعب لدى رؤيتها، لأن الشجرة كانت هائلة الحجم. وفر الفيل هاربا. عادت جوامبو ولم تعثر على الفيل. ونادت على الفيل فلم يرد. فعادت جوامبو إلى القرية وقالت:

- أيها الوالد، أنا لم أعثر على الفيل.

كان الجميع يريدون الزواج من جوامبو، وانتهى الأمر بهم إلى الفرار، بعد أن أصابهم الرعب من الشجرة لأنها كانت هائلة الحجم. وها هو الغَيلم[٣] قد وصل إلى قرية نزامبى وهتف قائلا:

- أريد الزواج من جوامبو.

نادى نزامبى على جوامبو، فجاءت إليه وقالت:

- إنى أوافق على الزواج من الغَيلم.

---

(١) البانة هى ما يدفعه الخطيب للزوجة.

(٢) المقصود هنا هو اختبار الزواج الذى يظهر لاحقا فى صورة: اقتلاع الشجرة.

(٣) الغَيلم هو ذكر السلحفاة. (المترجم).

وعندما هبط الليل قال نزامبي:

- أيها الغَيلم! إن الوالد الذى يعطى ابنته زوجة لا يخدع ابنته، أما الذين يدفعون البائنة فهم يخدعون بالبائنة. هناك شجرة تقع فى حقلى الجديد وينبغى اقتلاعها. فإذا نجحت فى اقتلاعها فسوف أزوجك من جوامبو. ولكن كبار الوحوش- التى لا يمكن مقارنتها بك- قد عجزت عن ذلك الأمر، وأظن أنك أيها الغَيلم سوف تفر هاربا من ضخامتها لدى رؤيتك لها.

رد الغَيلم:

- سوف أذهب وأجرب حظى.

وما إن بزغ الفجر حتى جمع الغَيلم جميع أفراد أسرته من السلاحف وصاح بهم:

- أيها الإخوة، فلتحضروا لمساعدتى فى قطع الشجرة النامية بحقل حماى.

ذهبت السلاحف للنوم. وعندما حل اليوم الموعود اجتمعت كلها أسفل الشجرة العملاقة.

رفع الغَيلم المعول وبدأ فى قطع الشجرة. وبعد أن تملك التعب منه حلت مكانه سلحفاة أخرى. وقامت جميع السلاحف بمساعدة أخيهم بالتناوب، ثم أحضروا حبلا متينا ربطوه بأعلى الشجرة وأخذوا يجذبونه ويشدونه. أما الغَيلم فاستمر فى قطع الشجرة بكل قوته، حتى سقطت هاوية فى النهاية.

عادت السلاحف إلى قريتها، وانطلق الخطيب إلى حماه. فأعطاه نزامبى جوامبو زوجة له.

سار مع زوجته الصغيرة إلى قريته، حتى قابل الفهد فى منتصف الطريق. فقال الفهد له:

- أيها الغَيلم البائس! لقد فشلنا نحن الوحوش القوية فى الزواج من ابنة نزامبى لتحضر أنت وتتزوج منها! فلتتقيأ كل ما فى معدتك.

قام الغَيلم بابتلاع الزوجة ومعها كل الأغنام التى أعطاها له نزامبى[١]. قال الفهد مواصلا حديثه:

- تقيأ أيها الغَيلم زوجتك التى ابتلعتها هى وجميع الأشياء التى منحها لك نزامبى.

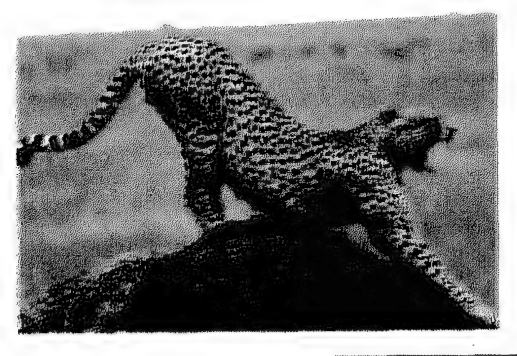
وأخذ يهدد الغَيلم قائلا:

- سوف أقتلك الآن، سوف أقتلك الآن.

وبدأ الغَيلم يعيد الأشياء ويتقيؤها مرددا:

- خى، خى[٢]، إن الفطر قد نضج، خى خى، ها هو الفطر يخرج مع الدجاج والأغنام.

وعندما أخرج كل شىء خرجت الزوجة معهم، فأخذ الفهد الزوجة والأغنام وجميع الهدايا الأخرى، وذهب بكل هذه الأشياء إلى قريته.



(١) بعد الانتهاء من مراسم الزفاف ينبغى على الحمو أن يمنح صهره خروفا وماعز وغيرها من الهدايا. كما تحصل العروس بدورها على مثل هذه الهدايا من أقاربها وأقارب الزوج.

(٢) تقليد صوت التقيؤ.

سار الغَيلم إلى قريته بلا زوجة وبلا هدايا وأخذت الوحوش تلقى باللوم عليه وتقول:

- ينبغى عليك أن تعيد زوجتك بأية وسيلة.

عندئذ قام الغَيلم بالاختباء داخل حفرة البالوعة. ووصل الفهد إلـــى هنـــاك وجلس على حافتها، فأمسك الغَيلم بالفهد من ذيله وأخذ يعتصره. فصار الفهد يحرك ذيله محاولا التملص منه وهو يقول:

- من الذى يفعل هذا؟ من الذى يفعل هذا؟

رد الغَيلم:

- أنا، أعد زوجتى ودجاجى والأشياء الأخرى، وحينئذ سوف أترك ذيلك.

صرخ الفهد من الألم الذى سببه له الغَيلم، فمضى ينادى على أبنائه مغنيا:

تعالوا وأحضروا أغراض الغَيلم وزوجته!

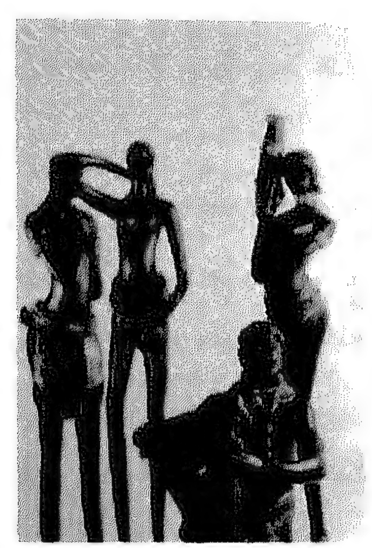
وإلا فسوف يقتلع ذيلى بقوته!

وصلت النساء من قرية الفهد ليطردن الغَيلم، لكنهن رأين الفهد وقد انحـــشر ذيله فى الحفرة التى قبع بها الغَيلم وقال الفهد لهن:

- أحضروا جميع أغراض الغَيلم وزوجته على وجه السرعة.

أحضرت النساء جميع أغراض الغَيلم.

عاد الفهد إلى قريته. وذهب الغَيلم هو الآخر إلى قريته ومعه جميع الهـــدايا وفى مقدمتهم زوجته.



٧٦- عرس ابنة أركو إيريس[1]:

كان أطفال الحيوانات يعيشون على الأرض، أما أركو إيريس فكان يعيش في السماء.

هبط أركو إيريس إلى الفيل وقال له:

– أيها الفيل أنا غريبك[2]. ادفع المهر لى، فلدى بنات غير متزوجات.

رد الفيل:

– حسنا.

وذهبوا للنوم. وفى الصباح أعطى الفيل المهر لأركو إيريس الذى قال:

– صهرى الفيل، سوف أرحل فاتبع خطواتى.

– سوف ألحق بك بعد أربعة أيام.

صعد أركو إيريس إلى السماء حيث ظل هناك، ولم يصعد الفيل معه لأنه لم يحزر الطريقة التى يصعد بها إلى السماء. كف أركو إيريس عن جمع المهر من الوحوش لأن أحدا منهم لم يستطع الصعود إلى السماء.

---

(١) أركو إيريس– تعنى: عاليا عاليا.

(٢) الغريب هنا تعنى الإنسان الذى يعرض بناته للزواج.

هبط أركو إيريس للمرة الأخيرة لزيارة قرية الغَيلم (ذكر السلحفاة). فوصل إلى هناك وقال:

- أعطنى المهر أيها الغَيلم فلدى ابنة عزباء.

أعطاه الغَيلم المهر. وقامت زوجات الغَيلم بسلق مبان[1]، وحملوه إلى كوخه بالأعلى. شرع أركو إيريس فى تناول الطعام وقال:

- يا صهرى الغَيلم، لقد أعجبنى هذا الطعام للغاية.

قال الغَيلم:

- يا زوجاتى! هيا اجمعن شجيرات المبان الصغيرة كى يأخذها أركو إيريس معه. ويا حماى أركو إيريس! سوف ترحل وتأخذ معك هذه الشجيرات الصغيرة. فاتركها عند المدخل فى القرية، وبعد مرور ثلاثة أيام سوف آتى إلى هناك مع زوجاتى، ثم أذهب إليك بعد أربعة أيام.

رد أركو إيريس قائلا:

- وأنا موافق.

قام الغَيلم بتوديع أبنائه وزوجاته وقال لهم:

- سوف أذهب إلى قرية أركو إيريس.

وقد قال كل هذا لأركو إيريس حتى لا يدرك نواياه الخفية. فقام بعد ذلك بالاختباء بين شجيرات المبان التى أعطاها له.

صعد أركو إيريس إلى السماء، وعندما اقترب من مدخل قريته جلس هناك مع أبنائه وزوجاته الذين خرجوا لمقابلته. وبدأ يحكى لهم عن رحلته، ثم راح فى النوم لثلاثة أيام.

---

(١) مباں هى نوع من الشجيرات تعنى ترجمتها من اللغة الإسبانية "هليون". وتستخدم غصونها فى تحضير الطعام، حيث تسلق مع الجذور الرفيعة التى تتمتع بمذاق طيب للغاية.

تسلل الغَيلم من بين الشجيرات، وخرج يتفحص بإمعان كل ما حوله، ثم مضى إلى القرية، وذهب إلى أركو إيريس ملقيا التحية على أبنائه وعلى الآخرين من الناس، وقال الغَيلم بعد ذلك:

- وهكذا، لقد جئت إلى هنا لأبنى قرية فى موقع قريتى السابق، ومحل رأسى الذى ولدت به. فأول ابن لى ويدعى نتونج بفولى، هو الذى قطع الشجرة النامية فوق الجبل. فقد قام بتونج بفولى بثقبها حتى يقتل بالى[١]. وقامت زوجاتى لوقت طويل بصيد الأسماك من النهر الواقع لأسفل، على الرغم من أنهن لم تنجحن فى صيد شيء عدا سمك النيان[٢].

ومضى الغَيلم فى تقديم العديد من البراهين الأخرى، موضحا معرفته بالكثير من علامات ذلك المكان.

اعترت الدهشة أركو إيريس وقال:

- أوه ذلك يعنى أن هذه القرية كانت تعود فى السابق إلى الغَيلم.

وطلب أركو إيريس بعد ذلك حضور ابنته الكبرى وقال لها:

- لقد وصل الغَيلم.

حملت المرأة المُكنسة وذهبت تكنس المنزل، ثم نادت على الغَيلم:

- تعالى إلى هنا فى البيت.

دخل الغَيلم البيت.

---

(١) بالى- حيوان ينتمى إلى فصيلة القوارض ويشبه السنجاب فى شكله.

(٢) نيان- السمكة التى تطلق شحنة كهربائية.

قامت النساء بسلق طعام الغذاء الذى دعت إليه الغَيلم. وأخذ أركو إيــريس حزمة شجيرات المبان، وبدأ فى توزيعها على زوجاته. وتملكت الدهشة الكبرى من أركو إيريس لظهور الغَيلم. فلم ينجح أحد من قبل فى التوصل إلى الوســيلة التــى يمكنه بها المجىء إلى قرية أركو إيريس.

ذهب الغَيلم خاطبا ابنة حميه. وبدءوا فى الإعداد للزفاف. وقال الغَيلم:

- حماى أركو إيريس! لو مت فى قرية غريبة فلا ينبغى عليهم دفنى بهــا، فهذا أمر محرم، ولا يجوز دفنى إلا فى قريتى الأم[1].

رد أركو إيريس:

- حسنا.

ذهب الغَيلم إلى البيت للنوم مع زوجته. وعندما دخل عليها قال:

- إن معدتى تؤلمنى.

قامت الزوجة بإعداد الكالا[2] له، وأخذت نبات نفولى[3] معها، وذهبت إلــى النهر مع الغَيلم. وقام الغَيلم بصنع لبوس من العقار، ثم عاد إلى البيت، ولكن الألم ظل مستمرا فى معدة الغيلم.

مرت بضعة أيام واختبأ الغيلم داخل درعه متصنعا المــوت. وبــدأ النــاس بالقرية فى البكاء عليه:

- لقد مات الغيلم، يا للمصيبة!

وتحدث أركو إيريس مع أبنائه قائلا لهم:

---

(١) استخدام فكرة "التحريم" يضع العوائق والصعوبات أمام عودة الغَيلم.

(٢) كالا- ثمرة ذات مذاق خاص تستخدم كنوع من الإضافات إلى الطعام، كما تستخدم كدواء.

(٣) نفولى- نبات علاجى يستخدم كمهدأ.

- هيا اصنعوا حمالة ضعوا فوقها الغيلم، ثم احملوه إلـى قريتـه لأن مـن المحرم دفنه هنا.

وضع الأبناء الغيلم فوق الحمالة وساروا به، وقامت جميـع بنـات أركـو إيريس بمرافقة الحمالة إلى قرية الغيلم.

وصلوا إلى قرية الغيلم. وقام أبناؤه بحفر مقبرة أسفل الفراش ودفنوه بهـا. وبعد مضى أربعة أيام جاء الجرذ فقال أبناء الغيلم له:

- احفر حفرة فى بيت الوالد، فربما تصل تلك الحفرة إلى القبر الواقع أسفل الفراش.

حفر الجرذ الحفرة. وذهب الجميع للنوم. وفى اليوم التالى بدأ الغيلم يتحرك فى قبره، ثم خرج منه. ففرح الناس وصاحوا يهتفون:

- إن الغيلم حى!

تملكت الدهشة من أركو إيريس:

- أى عقار هذا الذى استطاع الحفاظ على الغيلم؟

نادى الغيلم على أبناء جميع الوحوش، وعندما اجتمعوا فى البيت قال لهم:

- حسنا أيها الحمو أركو إيريس، فلتقم بتوزيع الزوجات.

قال أركو إيريس:

- أيها الفيل، ها هى زوجتك.

– أيها الثور، ها هى زوجتك.

– أيها الظبى، ها هى زوجتك.

أخذت جميع الحيوانات زوجاتهم. وأخذ الغيلم زوجته، وقال أركو إيريس:

– حسنا، لقد حان موعد عودتى.

قامت الوحوش بإعداد الغذاء لدعوة أركو إيريس إليه. فأكل وذهب إلى قريته.

قال الغيلم:

– يا إخوتى! أعلم أنكم تحتقروننى. ولكنى إن لم أذهب إلى قرية أركو إيريس لما حصلتم على زوجات لكم.

وقال أركو إيريس لجميع الوحوش:

– أنا مبهور بالغيلم. فهو يتمتع بطابع صلب عنيد أكثر من جميع الوحوش.

٧٧ـ السلحفاة والفيل والتمساح والغوريللا[١]:



١ - كنز "حتى"[٢]:

فى وقت من الأوقات ساد الجوع الأرجاء ولم تثمر الأرض. فماتت الوحوش جوعا. وعثروا على شجرة فقالوا:

- ما هذه الشجرة ؟ ولأى نوع من الأشجار تنتمى؟

ذهب الظبى إلى سى سيول[٣] وسأله:

- ما هذه الشجرة؟

رد سى سيول:

- إنها تسمى "حتى".

مضى الظبى عائدا أدراجه. وأخذ يردد حتى لا ينسى:

حتى حتى، ثمرة حتى،

فلا تنسى حتى حتى، ثمرة حتى.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس موضوع: "معرفة اسم الشجرة".

(٢) "حتى" - تعرف هذه الشجرة باسم "أياب"، واسمها العلمى هو: Toxixperma Baillonel.

(٣) سى سيول- المُنجم. وترجمة اسمه هى: الواقع بالأسفل.

وفجأة تعثر فى سيره، فسقط على الأرض ونسى اسم الشجرة "حتى". وصار يسأل:

- أيها الناس! ما هذه الشجرة؟

وصل إلى القرية وقال:

- لقد نسيت اسم الشجرة.

وتكرر نفس الأمر مع الفيل والفهد والغوريللا، وكذلك مع الشمبانزى.

عندئذ ذهبت السلحفاة إلى سى سيول وسألته:

- أيها الوالد سى سيول، أخبر أبناءك الوحوش عن اسم هذه الشجرة ثانية.

رد سى سيول:

- إنها "حتى". وأوراقها تشفى المرضى.

- إذاً، إنها "حتى".

وسارت السلحفاة وهى تردد:

حتى حتى، ثمرة حتى،

لن أنسى اسمها البتة،

حتى حتى، ثمرة حتى،

حتى حتى ولو تعثرت،

فلن أنسى الاسم حتى،

حتى حتى، ثمرة حتى.

وجمعت كل الوحوش وقالت لهم:

- إن اسم هذه الشجرة هو "حتى".

نهضت جميع الحيوانات كى تذهب وتجمع ثمار "حتى". وعندما وصلوا إلى النهر الكبير قالت السلحفاة لهم:

- من فضلكم أيها الإخوة، احملونى معكم.

فأجلسها الفيل فوق أذنه وقال:

- سوف تدفعين لى مقابل ذلك أيتها السلحفاة.

عبروا إلى الضفة الأخرى من النهر، وذهبوا إلى "حتى". وقاموا بجمع الثمار وإعدادها. وعندما استعدوا للعودة محملين بالثمار، واقتربوا من النهر قال الفيل:

- أيتها السلحفاة، هيا ادفعى لى أجرى.

أخذت السلحفاة بعض ثمار "حتى" وأعطتها للفيل. وعندما أصبحا فى منتصف النهر قال الفيل للسلحفاة:

- أيتها السلحفاة، هيا ادفعى لى أجرى.

أخذت السلحفاة بعض ثمار "حتى" وأعطتها له. لكن الفيل قال:

- أيتها السلحفاة، هيا ادفعى لى أجرى.

فأعطته السلحفاة المزيد من ثمار "حتى"، لكن الفيل ردد ثانية:

- ادفعى لى.

أخيرا قالت السلحفاة:

- أيها الأخ، لم يعد لدى شىء من ثمار "حتى".

اعترض الفيل قائلا:

- أيتها السلحفاة إن مزاحك هذا يمكن أن يكلفك حياتك. وسوف ألقى بك فى النهر الآن.

ردت السلحفاة:

- تفضل.

قال الفيل:

- أيتها السلحفاة، هيا ادفعى لى أجرى.

وألقى بها فى مياه النهر.

٢- عندما خدعت السلحفاة التمساح:



تشقلبت السلحفاة رأسا على عقب، وتدحرجت نحو سد التمساح ثم تشبثت بطرفه. وأخذت ورقة من أوراق الشجر الجافة، وخطت فوقها خطا وثانيا وثالثا وخطوطا أخرى. وبعد مرور الليل بزغ النهار، فألقت بتلك الورقة.

جاء أطفال التمساح من القرية إلى سد التمساح كى يشاهدوه. فعثروا على الورقة التى خطت السلحفاة بها الخطوط، وذهبوا إلى السلحفاة يسألونها:

- أيتها السلحفاة، من الذى رسم هذه الورقة؟

ردتَ السلحفاة بأنها هى التى قامت بهذا الأمر، فقالوا لها:

- فلنذهب إلى القرية ونعرض هذه الورقة على والدنا. فبما أنكِ استطعت رسم هذه الورقة، فبالطبع يمكنك الرسم على البيض. فلنذهب كى يعطيك الوالد البيض لترسمى عليه.

ذهبوا إلى القرية مع السلحفاة. فقال التمساح:

- أيتها السلحفاة، ارسمى فوق البيض كما رسمتِ هذه الورقة الجافة.

ردت السلحفاة:

- ضع البيض فى البيت، وأغلق جميع الأبواب وسد كل الحفر. وسوف أذهب إلى البيت وأرسم على البيض بشرط ألا ينظر أحد إلىَّ.

وضع التمساح البيض فى البيت، ودلفت السلحفاة إليه وهى تحمل معها طعاما ونارا ومياها، ولم يستطع أحد رؤيتها هناك.

قامت السلحفاة بالرسم فوق بيضتين، ثم دفعت بهما عبر الحفرة وقالت:

- هل ترون الرسم؟

ردوا عليها قائلين:

- نعم، إنه جيد للغاية.

أصبحت السلحفاة تعيش فى البيت. وبدأت فى التهام البيض حتى أكلته كله. وعندما انتهت منه قالت للتمساح:

- لقد انتهيت من رسم البيض، ولا ينبغى على أحد أن يفتح أبواب البيت لمدة يومين بعد رحيلى.

انقضت المهلة. وكان مايا بارا[1] قد شاهد السلحفاة وهى تلتهم البيض فقال:

- لقد التهمت السلحفاة بيضك. وأنا رأيتها وهى تأكله.

ردوا عليه:

- أغرب عن هنا، فما أنت سوى ثرثار كاذب.

وقال آخرون:

- عندما يتحدثون للأطفال فلا ينبغى الشك فى حديثهم[2]. فلنذهب ولننظر إلى الأمر.

---

(١) مايا بارا- يعبر اسم هذه الشخصية عن العديد من المعانى، وأكثر هذه المعانى شيوعا هو "الإنسان".

(٢) حكمة شعبية.

وذهبوا وفتحوا الأبواب، فلم يعثروا إلا على قشر البيض، ولم يجدوا بيضة واحدة. فقالوا:

- آخ! إن مايا بارا على حق.

فى ذلك الوقت كانت إجوانا قد نقلت السلحفاة على القارب. وأخذت الوحوش فى الصراخ:

- إجوانا، إجوانا!

عندئذ قالت السلحفاة لإجوانا:

- اصرخ.

فصرخ إجوانا:

- أوه!

قالت التماسيح له:

- هيا عد بالسلحفاة، فقد التهمت بيض والدنا.

وقالت السلحفاة لإجوانا:

- إنهم يخدعونك، فجدف بسرعة حتى أصل إلى الشاطئ وأخرج إليه، وكى لا أبتل من المطر.

أخذ إجوانا يجدف بسرعة حتى وصل إلى الشاطئ الآخر ورسا بقاربه هناك.

هبطت السلحفاة من القارب الذى جلس به إجوانا مرة أخرى وعاد إلى القرية.

صار الجميع يلقون باللوم عليه قائلين:

- لقد صرخنا عليك: "عد سريعا بالسلحفاة فقد التهمت بيض والدنا".

٣- عندما خدع الغيلم الغوريللا:

سار الغيلم وسار حتى وصل إلى أطراف قرية الغوريللا فقام بتغطية جسمه بالطين، وذهب لمقابلة الغوريللا التى سألته:

- أيها الوالد الغيلم، لماذا يغطى الطين جسمك؟

أجاب الغيلم:

- يا ابنتى العزيزة، لقد قمت للتو بنقل جميع حفرى وجحورى من القريـــة إلى أخرى جديدة.

قالت الغوريللا فى دهشة:

- أحقا ما تقول أيها الوالد الغيلم؟

- نعم، هذه هى الحقيقة.

- أيها الوالد الغيلم فلنذهب وننقل حفرى أنا الأخرى إلى قرية جديدة.

رد الغيلم:

- حسنا، فلنذهب.

ورحلا معا حتى وصلا إلى قرية الغوريللا. وقامت الغوريللا بإطعام الغيلم الذى قال بعد ذلك:

- والآن اذهب واحفر حفرا جديدة.

ذهبت الغوريللا لحفر الحفر، وقالت السلحفاة بعد ذلك:

- أيتها الغوريللا، فلنذهب مع أسرتك إلى الحفر حتى يشاهدوها.

ذهبوا جميعا معا حتى وصلوا إلى مواقع الحفر، فقال الغيلم:

- سوف أهبط إلى قاع الحفرة، وعندما أقوم بالرقص فلا ينبغى على أحد أن يضحك لذلك. وإذا ضحك أحد فسوف تقتلينه أيتها الغوريللا. وبعد أن تقتليهم سوف أبعثهم إلى الحياة. وعليهم الالتزام بهذا التحريم الوحيد: ينبغى ألا يضحك أحد كى تنتقل الحفر إلى القرية الجديدة.

هبط الغيلم إلى قاع الحفرة وأخذ معه نبات السوندا وصار ينخز نفسه فى ردفه. وبدأ يرقص فى الحفرة وهو يردد:

- لو ضحك أحد فاقتليه فورا.

ضحك واحد منهم فحملت الغوريللا مطرقة وهوت بها فوق أنفه: "كـراك"، وسقط الضاحك ميتا.

وهكذا، مات كل أفراد أسرة الغوريللا.

أما الغيلم فصعد من الحفرة وقال:

- سوف أذهب للبحث عن وسيلة لبعثهم إلى الحياة.

وفر هاربا إلى حيث قادته أقدامه.

٤- انتقام الغوريللا:



انتظرت الغوريللا عودة الغيلم دون جدوى. وأخيرا نصبت شركا فى المكان الذى يسير به الغيلم فى العادة.

وذهبت الغوريللا بعد ذلك للنوم. وفى اليوم التالى ذهبت تتفقد الشرك. وعثرت بداخله على الغيلم. فأمسكت به وقامت بربطه.

قال الغيلم:

- لو أردتِ ألا أهرب فاربطينى بحبل رقيق. وحينئذ لن يمكننى الفرار.

أخذت الغوريللا حبلا رقيقا، وقامت بربط الغيلم به، ثم حملته إلى القرية. وذهبت به إلى النساء قائلة:

- أنظرن إلى الغيلم الذى قتل كل أفراد أسرتى. وسوف أقوم بسلقه والتهامه.

ذهبت الغوريللا إلى الغابة، وظل الغيلم مع نيتولى مورا[١]، وموا بارا[٢].

قال الغيلم:

- إنى أجيد رقصة واحدة.

فقاموا بحل وثاقه وقالوا:

(١) نيتولى مورا- هى العجوز أم نزامبى.

(٢) موا بارا- هو ابن نزامبى.

- فلترقص لنا إذًا.

شرع الغيلم فى الرقص وقال:

- سوف أذهب لأقطف ورقة "الدواء" من الفناء الخلفي، وذلك كى أرقص معها.

خرج الغيلم وفر هاربا بلا عودة.

عادت الغوريللا وقالت:

- أين الغيلم يا موا بارا؟

رد موا بارا:

- لقد أطلق نيتولى مورا سراح الغيلم، ولم يعد إلينا ثانية.

تملك الغضب من الغوريللا، وثارت على نيتولى مورا وموا بارا وقالت:

- سوف تموت يا نيتولى مورا بدلا من الغيلم الذى قتل جميع أفراد أسرتى.

وقتلت الغوريللا نيتولى مورا وانطلقت مسرعة إلى الغابة.

عندما شاهد الغيلم الغوريللا عاد إلى البيت الصخرى(١).

---

(١) الحديث يدور هنا - طبقا للمصادر - حول أملاك نزامبى وبيوته.

٥- عندما خدعت السلحفاة الجرذ:

نصبت الغوريللا فخا مرة أخرى، وذلك حتى يقع به الغيلم لدى خروجه من البيت الصخرى.

عاش الغيلم فى البيت الصخرى، لكن الطعام نفذ لديه فخرج يبحث عن شىء يؤكل. وعندما اقترب من الباب وقع فى الفخ.

جاء الجرذ يبحث عن طعام مصدرا جلبة.

سأل الغيلم:

- من الذى يتحدث هنا؟

رد الجرذ:

- إنه أنا!

فسأل الغيلم:

- وما الذى تبحث عنه؟

قال الجرذ:

- إنى أبحث عن ثمار لآكلها.

فصاح الغيلم من داخل الفخ:

- تعال هنا! ولنذهب معا.

دخل الجرذ إلى الفخ، فتسلق الغيلم ظهره وهرب من الفخ، ثم عاد إلى البيت.

جاءت الغوريللا فى اليوم التالى، ونظرت إلى الفخ فرأت الجرذ بداخله وقالت:

- إنه أنت إذا أيها الجرذ، لقد ظننت أنه الغيلم.

وقامت بإلقاء الجرذ خارج الفخ.

عاد الغيلم إلى البيت الصخرى ونام. وفى اليوم التالى صنعت الغوريللا شركا جديدا. وخرج الغيلم فى الليل فوقع فى الشرك. وسمع وهو جالس فى الشرك دبيب خطوات الظبى كوان. فقال الغيلم:

- من الذى يسير هناك؟

رد كوان وهو يدب بخطواته:

- إنه أنا كوان.

فسأله الغيلم:

- وما الذى تبحث عنه؟

رد كوان:

- إنى أبحث عن شىء يؤكل.

فقال الغيلم:

- تعال هنا إذًا يا كوان.

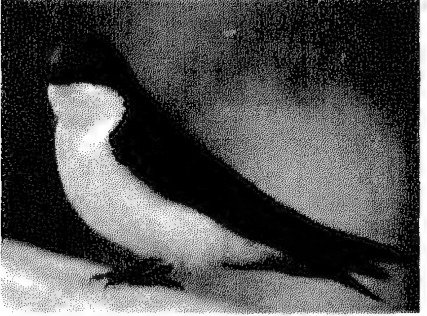
ذهب كوان فشاهد الغيلم فى الشرك. فانطلق إلى الغوريللا وقال لها:

- اذهبى وانظرى، فالغيلم قد وقع فى الشرك.

ذهبت الغوريللا وشاهدت الغيلم فى الشرك، فأمسكت به وأخذت تقتلع يديه ثم قدميه. ومنذ ذلك الحين أصبح من المألوف أن تقتلع الغوريللا يدى وقدمى ورأس وذيل الغيلم كلما عثرت عليه.

٧٨ـ السلحفاة والسنونو (عصفور الجنة):

كان هناك اثنان- السنونو ممن يطيرون فى الهواء، والسلحفاة ممن يزحفون على الأرض.



ذات مرة قال السنونو للسلحفاة:

- فى هذا العام سوف تدفعين لنا إتاوة أيتها السلحفاة.

صمتت السلحفاة لبرهة ثم قالت:

- وكيف هذا أيها السنونو؟ أنتم الطيور تحلقون عاليا فى السماء. فلماذا على الزاحفين فى الأرض أن يدفعوا لكم إتاوة؟

قال السنونو:

- حسنا، فلنذهب إلى المحكمة لتفصل فى نزاعنا.

كتب السنونو ملخص النزاع فى ورقة، وذهب بها إلى الشيوخ. فأخذوا الورقة وأرسلوها إلى القضاة الذين نظروا فى القضية وأرسلوا فى استدعاء السنونو والسلحفاة برسالة بعثوها إليهما.

كانت الرسالة تقول: "من يحضر إلى المحكمة أولا يكسب النزاع. والمهلة الممنوحة للطرفين من أجل الوصل إلى المحكمة هى أسبوع فقط".

فرح السنونو لدى معرفته هذا الأمر، وفكر فى نفسه: "سوف أطير محلقا كالبرق، وأصل أولا بالطبع".

عشية تلك الليلة سألت السلحفاة السنونو:

- أيها السنونو، احمل معك إعلانى للمحكمة ودعه لديك، وعندما تنطلق فى طريقك سوف أعرج إليك لأخذه.

وافق السنونو وأخذ إعلان السلحفاة وذهب به إلى البيت. وذهبت السلحفاة هى الأخرى إلى بيتها. لكنها فى المساء راحت إلى السنونو الذى كان نائما. فقالت السلحفاة:

- أيها السنونو، أعطنى إعلانى. فقد قررت الذهاب الآن. ورغم معرفتى بأنك سوف تسبقنى إلى هناك، وبأنى أحتاج إلى تسعة أو عشرة أيام للوصول، فإننى سوف أذهب فى جميع الأحوال.

حمل السنونو حقيبته لدى سماعه ما قالته السلحفاة، وأخرج منها ورقة الإعلان وأعطاها للسلحفاة. واستطاعت السلحفاة فى أثناء ذلك استراق النظر إلى المكان الذى يضع السنونو به حقيبته. وخرجت من البيت، واختبأت بالقرب منه بين العشب، كان السنونو واثقا من أن السلحفاة قد أصبحت فى طريقها، بينما كانت فى حقيقة الأمر تختبئ بالقرب منه بين العشب.

عندما راح السنونو فى النوم تسللت السلحفاة نحو الحقيبة، ورقدت مستلقية فوق قعرها واختبأت تحت الأوراق.

استيقظ السنونو مع صياح الديكة وفكر فى نفسه: "لا بد أن السلحفاة قد أصبحت بعيدة الآن". وحمل الحقيبة وألقى بها فوق كتفه، وانطلق محلقا فى طريقه.

مضى السنونو يحلق طويلا. والتمس بعض الراحة ثم واصل الطيران في طريقه ثانية. ولم يبق سوى القليل حتى وصل إلى هدفه المرتقب. وسأل طيور السنونو التي صادفها قائلا:

- ألم ير أحد منكم السلحفاة هنا؟

فردوا عليه بسؤال:

- أتسأل عن السلحفاة طرف النزاع معك؟

- نعم، إنها هي بعينها.

- ومتى انطلقت في طريقك؟

- صباح اليوم.

اعترت الدهشة الجميع وقالوا:

- لقد طرت في صباح اليوم، وهأنت صرت هنا. أما السلحفاة فتسير ببطء شديد. وعلى الأرجح فعليها عبور ثلاثة محاور بعد. فلماذا لا تستريح قليلا وتذهب لشرب قدح من نبيذ البلح في القرية؟

وما إن سمع رفيقنا بنبيذ البلح أيها الأصدقاء، حتى ابتسم كما لو أن الحديث يدور حول الحساء بالدجاج. فقال السنونو للفتيات:

- احملوا حقيبتي إلى البيت، بينما أذهب لاحتساء النبيذ وتناول بعض الطعام، حيث إن الجوع قد حل بي.

ذهب السنونو لاحتساء النبيذ، أما السلحفاة فتسللت خارجا من الحقيبة وهي تحمل إعلانها. وانطلقت إلى المحكمة. وقدمت ورقتها إلى القضاة الذين حكموا لصالحها. وكتبوا حكمهم في الإعلان.

وعندما ظهر السنونو فى المحكمة قيل له:

- لقد سبقتك السلحفاة فى إحضار الإعلان. ونظرت المحكمة فى القـضية وحسمتها لصالحها.

أصاب الذهول السنونو وأسقط فى يده. وكان هذا درسا له.

٧٩- السلحفاة المائية والكيتاتانج[1] "Kitatange":

يحكى أنه فى قديم الزمان اجتمع جميع سكان البحر فى العالم، من أجل الوصول إلى وسيلة تجنبهم دهاء الإنسان ومكره. وذلك لأن الإنسان قد ألحق بهم الكثير من الأذى. فقد كان يصيدهم بالخطاف تارة وبالشباك تارة أخرى. واجتمع الكل كى يقرروا وسيلة تخلصهم من شراكه. فنفخوا النفير. ونادوا على الجميع للتشاور فى المجلس مع سلطان كيتا.

حل يوم الاجتماع للتشاور. وحضرت جميع الحيوانات البحرية عدا السلحفاة البحرية. فغضبت الحيوانات وقالت:

- ما هذا الذى يجرى؟ لقد جئنا جميعا وهى لم تحضر. أتظن نفسها أفضل منا؟ هيا نبدأ مجلسنا للمشاورة، ثم نطلب منها بعد ذلك توضيح سبب غيابها عن الاجتماع.

حضر المجلس كيتاتانج الذى كان صديقا حميما للسلحفاة. فأرسل أحد أبنائه إليها، ليحكى لها حول كل ما جرى.

وصل الصغير إلى السلحفاة وقال:

- لقد أرسلنى والدى كى أحذرك حتى تسرعى بالذهاب، فلو انتهى الاجتماع دون حضورك فسوف تأتى إليكِ جميع الحيوانات بعد أن تملكها الغضب لعدم حضورك المجلس.

---

(١) "Kitatange"– اسم سمكة بحرية ذات أشواك على جسمها، كما تترجم الكلمة أيضا فى سياق آخر بمعنى "سواحيلى".

ردت السلحفاة:

- وهل أتى الرب العظيم معهم إلى هناك؟

أجاب الصغير:

- لم أره، ولا أعرف هيئته.

صاحت السلحفاة:

- وأنا أيضا لا أعرف هيئته، لكنى أسأل لمجرد السؤال.

رحل الصغير. فأرسل كيتاتانج الابن الثانى كى يحذر السلحفاة بدوره. وسألت السلحفاة ثانية:

- وهل أتى الرب العظيم أيضا إلى هناك؟

أجاب الصغير:

- لم أره، ولا أعرف هيئته.

ردت السلحفاة:

- إذاً، لن أذهب إلى أى مكان.

وعندما رأى كيتاتانج أن الحيوانات تستعد للذهاب إلى السلحفاة، أرسل إليها زوجته قائلا لها:

- اذهبى بسرعة من فضلك إلى السلحفاة واطلبى منها أن تختبئ. فالحيوانات كلها تستعد للذهاب إليها.

أسرعت زوجة كيتاتانج إلى السلحفاة وأخبرتها بكل شيء. فسألت السلحفاة من جديد:

- هل الحيوانات قادمة بمفردها أم أن الرب العظيم معها؟

ردت زوجة كيتاتانج:

- أنا لم أره ولا أعرف هيئته.

فقالت السلحفاة:

- إذًا، لن أذهب لمكان.

وعندما صارت الحيوانات قريبة للغاية ذهب كيتاتانج بنفسه إلى السلحفاة وقال لها:

- عزيزتى، كيف تجلسين هنا وقد تملك الغضب منهم جميعا؟ هيا اختبئى بسرعة.

فقالت السلحفاة لكيتاتانج:

- هل الرب العظيم قادم معهم؟

أنا لم أره، لكن جميع الحيوانات قادمة إليك.

ردت السلحفاة:

- حسنا، سوف يُحل الأمر بطريقة أو بأخرى.

سرعان ما وصلت الحيوانات البحرية إلى المكان الذى تعيش به السلحفاة.

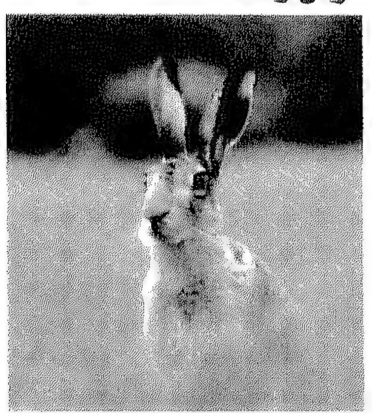
وقام الرب العظيم بمكافأة السلحفاة. فقد تقوقعت داخل درعها، وأخفت بداخله أقدامها ورأسها. وبحثت عنها الحيوانات وبحثوا، لكنهم لم يعثروا عليها. وعلى الرغم من وجود السلحفاة فى المكان فإنهم ظنوها صخرة من الصخور.

عندئذ قالت الحيوانات:

- لقد حذرها أحد ما فاختبأت منا، وإلا كنا لقناها درسا لتعرف السلوك الجيد.

وتفرقت الحيوانات بعد ذلك إلى بيوتها.

٨٠ـ الأرنب المكار، والوحوش والماء:



كان الجفاف سائدا على الأرض. فاجتمعت الوحوش فى الأدغال وصار كل منها يشكو الحال للآخر:

– يا للشمس الحارقة! من أين لنا الحصول على الماء؟!

وسألوا الفيل:

– أنت العجوز الأكبر عمرا بيننا. وقد وُلدت قبلنا جميعا منذ زمن طويل طويل. فمن أين يمكننا الحصول على الماء؟

رد الفيل بحسم:

– عليكم حفر بئر. فهيا بنا نجتمع بعد الغد. وليحضر الجميع حاملين المعاول والجواريف.

تفرقت الحيوانات إلى بيوتهم. وفى مساء اليوم الثالث عادوا إلى الأحراش، وجلسوا تحت ظلال الأشجار. وكان الجميع يحملون معهم المعاول والجواريف. وتوسطهم الفيل قائلا:

– لقد اجتمع الكل هنا! فمن لن يشارك فى حفر البئر، لن يشرب الماء منه.

قفز الأرنب من مكانه وصاح:

- لا بد من أنك تقصدنى أنا بحديثك! فأنت تقف ضدى لأنى لم أحضر معولا ولا جاروفا.

ردت الوحوش على كلامه:

- لن تشرب من الماء هنا.

فأجاب الأرنب:

- سوف نرى!

أخذت الوحوش تحفر الأرض وتحفر حتى حفروا بئرا كبيرا، ثم أحاطوه بسياج شائك. وقالوا للأرنب ثانية:

- إننا لا نسمح لك بالشرب هنا، فاغرب عنا!

- لدى ماء عذب صافى. فلماذا أشرب من مياهكم القذرة؟

رد الأرنب وذهب إلى البيت. أما الوحوش فجلست تتشاور حول اختيار أحد منهم للبقاء وحراسة البئر، كى لا يشرب الأرنب من مائه. فعينوا الظبى ليبدأ الحراسة وسألوه:

- لو أتى الأرنب هنا فما الذى سوف تفعله؟

- سوف أضربه بحوافرى وأنطحه بقرونى. وسوف ترونه معلقا فوق قرنى عندما تحضرون فى الغد.

تركت الوحوش الظبى عند البئر، وتفرقت إلى بيوتها.

خرج الأرنب فى ذلك الوقت يبحث عن العسل حاملا وعاء معه. وعثر على خلية نحل فأخذ منها عسلا. وذهب إلى البيت حيث أفرغ الوعاء من العسل عدا القليل منه. وذهب به إلى البئر فرأى الظبى جالسا بالقرب من شجرة عجوز واقعة

على الأرض. فذهب الأرنب إليه وألقى عليه التحية، وبادله الظبى إياهـا. وسـألـه الأرنب:

- ما الذى تفعله هنا؟

رد الظبى:

- أحرس البئر.

- وما الذى جرى للبئر؟

شرح الظبى قائلا:

- أحرسه كى لا يحدث شىء، وحتى لا تشرب منه.

- أنا لا أشرب من المياه القذرة لهذا البئر، فلدى مياهى الرائقة العذبة.

وغمس الأرنب قشة فى الوعاء، ثم أخرجها وصار يلعقها بتلذذ قائلا:

- أووه! عندما أشرب من هذه المياه أخشى ألا تحملنى قدماى وأسقط علـى الأرض من فرط حلاوتها!

سأله الظبى راجيا:

- أعطنى أتذوق هذه المياه التى تثنى عليها على هذا النحو.

غمس الأرنب طرف القشة فى الوعاء حتى اكتست بالعسل، وأعطاها للظبى قائلا:

- تفضل وتذوق. فليس من عادتى شرب المياه السيئة.

لعق الظبى القشة وقال:

- دعنى أشرب من مائك وأنا أسمح لك بالشرب من مياهنا.

- أنا لا أحب مياهك هذه، وسوف أرحل لحالى.

- أرجوك دعنى أشرب من مائك.

- المربوط فقط هو الذى يمكنه الشرب من مائى.

- حسنا، اربطنى، ثم أعطنى ماءك أشرب منه.

جلس الظبى، وقام الأرنب بربطه إلى الشجرة، وملأ الوعاء من ماء البئر. ثم اغتسل بالماء. وبعد ذلك حمل ثيابه وانطلق فى طريقه إلى البيت، بينما أخذ الظبى ينادى عليه:

- أيها الأرنب الصديق، فك وثاقى!

- دع مياهك تحررك.

قال الأرنب ما قاله ورحل.

جاءت الوحوش فى الصباح، وشاهدوا الظبى مربوطا إلى الشجرة، فسألوه عمن قيده فرد الظبى:

- آخ، آخ ! لقد كان هناك حبل يتدلى من فوق الشجرة.

حررت الوحوش الظبى، ثم شربت من الماء. وقبل أن تذهب لبيوتها تركت الفهد للحراسة فى هذه المرة، وقالت له:

- انتبه جيدا لبئرنا! ولا تبتعد عنه إطلاقا.

رقد الفهد بجانب البئر وصاح:

- اذهبوا واطمئنوا. وغدا لدى عودتكم سوف تجدوننى فى نفس هذا المكان.

سرعان ما راح الفهد فى النوم حتى مطلع الفجر. وفى ذلك الوقت ظهر الأرنب حاملا إناءه الذى وضع به قليلا من العسل. فذهب وجلس فوق الشجرة الواقعة وهتف بصوت مرتفع:

- مرحبا أيها الفهد!

استيقظ الفهد وشاهد الأرنب فرد عليه:

- مرحبا أيها الأرنب. من أين أتيت؟

- كنت أجلب الماء.

- ومن أين جلبت الماء؟

- من بئرى الخاص الذى حفرته بنفسى.

- أعطنى أتذوق بعضا منه.

- خذ وتذوق.

غمس الأرنب القشة فى العسل وأعطاها للفهد الذى لعقها وقال معترفا:

- أنا لم أذق فى حياتى مثل هذه المياه الحلوة من قبل.

لم يرد الأرنب بشيء على كلام الفهد، بل حمل الإناء ومضى به قائلا:

- حسنا، وداعا أيها الصديق، فإنى ذاهب للبيت.

لكن الفهد هتف متوسلا:

- أرجوك، دعنى أتذوقه مرة أخرى.

- لا.

- ألست صديقى؟ دعنى أتذوقه مرة ثانية.

- ما الذى تقوله؟ إن المربوط فقط هو الذى يمكنه الشرب من مائى.

- حسنا، اربطنى، ثم أعطنى ماءك أشرب منه.

جلس الفهد بجانب الشجرة. وقام الأرنب بربطه إليها، وملأ الوعاء من ماء البئر. ثم اغتسل بالماء. وانطلق إلى البيت بعد ذلك.

جاءت الوحوش وشاهدت الفهد مربوطا إلى الشجرة، فسألوه:

- من الذى ربطك هكذا؟

- آخ! لم يربطنى أحد، ولكن هناك حبلا يتدلى من فوق الشجرة.

حررت الوحوش الفهد، ثم شربت من الماء. وقالت للأسد:

- والآن جاء الدور عليك لحراسة البئر.

جلس الأسد عند طرف البئر. وجاء الأرنب فى الفجر حاملا إناءه، ثم جلس فوق الشجرة الواقعة وألقى التحية على الأسد. فسأله الأسد:

- من أين أتيت؟

- من حيث جلبت الماء.

- ومن أين حصلت على الماء؟

- من هناك، حيث حفرت بئرى بيدى.

- أرنى لأنظر إليه.

- تعالى وانظر.

قال الأرنب، وغمس القشة فى العسل، ثم مد يده بها إلى الأسد قائلا:

- تذوقها بنفسك أفضل من النظر إليها.

لعقها الأسد وصاح منبهرا:

- أووه! لم أذق فى حياتى مثل هذه المياه الحلوة من قبل!

- وأنا لا أشرب إلا من هذه المياه طوال الوقت. ابتعد جانبا كى أحمل إنائى. فقد حان وقت عودتى للبيت.

- آخ أيها الصديق الأرنب! أعطنى أتذوقه ثانية!

- ما الذى تقوله؟ المربوط فقط هو الذى يمكنه الشرب من مائي.

- وهل تتركنى أشرب منه ما شئت لو تركتك تربطنى؟

- نعم سوف أتركك تشرب.

- حسنا، أين الإناء؟

مد الأرنب يده بالإناء نحو الأسد قائلا:

- أترى؟ ها هو مملوء حتى قمته. وعندما تشربه كله سوف أحضر لك إناءً آخر.

وافق الأسد:

- حسنا، هيا اربطنى ثم أعطنى لأشربه.

- اجلس بجانب الشجرة لأربطك بها، وعندما ترتوى تماما سوف أحل وثاقك.

جلس الأسد بجانب الشجرة، فربطه الأرنب إليها، وملأ الوعاء من البئر، ثم اغتسل بالماء. وانطلق إلى البيت.

جاءت الوحوش وشاهدت الأسد مربوطا هو الآخر، فسألوه فى دهشة:

- من الذى ربطك؟

- لقد ربطتنى الشجرة بحبلها.

- ألم يحضر أحد إلى هنا عند البئر؟

- لا، لم يحضر أحد. لكن هذه الشجرة لديها حبل.

والآن، جاء الدور لحراسة البئر على الفيل أكثر الوحوش حكمة. لكن الأرنب استطاع خداعه بنفس الطريقة، على الرغم من قوته وذكائه. وبعد الفيل قامت جميع الوحوش بالحراسة واحدا بعد الآخر، ولم يختلف مصيرها جميعا عن مصير سابقيها. ولم يبق سوى السلحفاة التى قالت:

- سوف أقبض على من اعتاد ربط الوحوش!

زحفت السلحفاة إلى الماء وراحت فى النوم. وفى الصباح الباكر سمعت صوت ارتطام الأوانى الفارغة للأرنب فاختبأت ساكنة فى مكانها.

جاء الأرنب وتلفت حوله فلم ير أحدا، وقال:

- هاه! لم يبق أحد منكم إذًا كى أربطه! لقد قلت لكم من قبل أن من يريد الشرب من مياهكم سوف يشربها فى جميع الأحوال!

جمع الأرنب الماء، ثم نزع ثيابه وغطس يستحم فى البئر. وخرج منه بعد ذلك فأمسكت السلحفاة بقدميه وهى فى الماء. ظن الأرنب أن قدميه قد انحشرتا بين جذور الشجرة حتى سمع فجأة:

- اطلب العون مهما شئت! لكنك لن تجد أحدا يساعدك.

حاول الأرنب خداع السلحفاة، فأنزل ذيله فى الماء قائلا:

- لقد أمسكت بجذر الشجرة وليس بى، فها هى قدمى امسكى بها!

لكن السلحفاة لم تنخدع ولم تفلت قدميه. فغضب الأرنب وصاح:

- سوف أضربك إن لم تتركينى!

وضربها الأرنب بكفيه فأمسكت بهما كذلك. وصاح الأرنب يردد عاليا:

- آسى آسى آسى، كوى كوى.

جذبته السلحفاة تحت الماء قائلة:

- لن تساعدك هذه الجلبة التى تصدرها!

وعندما جاءت الوحوش أخرجت السلحفاة الأرنب من الماء، فأمسكوا به وقيدوه إلى جذع شجرة الموز. فتوسل الأرنب قائلا:

- انقلوني إلى ذلك المكان المشمس كي أتدفأ ويجف جسمي بينما تشربون الماء.

وضعوه تحت أشعة الشمس، وذهبوا يشربون الماء. فقام الأرنب بقرض الحبل حتى حرر يديه ثم قدميه، وفر هاربا. صرخت الوحوش وهي تطارده:

- أمسكوا الأرنب قبل أن يختبئ!

وصاح آخرون:

- هيا اقبضوا عليه، إنه هناك، أمسكوا به!

لكن الأرنب ركض بسرعة كبيرة. وسرعان ما اختفى عن الأنظار. وصعد فوق قمة الجبل مناديا من هناك على الوحوش:

- لقد قلت لكم من قبل أن من يريد شرب مياهكم فسوف يشربها في جميع الأحوال!

قررت الوحوش بعد تفكير:

- لا يمكن التفوق على الأرنب المكار، ومن الأفضل لنا عقد الصلح معه.

ونادوا عليه:

- أيها الأرنب! فلنصبح أصدقاء من الآن فصاعدا.

واستمر الأرنب في شرب الماء من بئرهم.

٨١ـ الفيل وفرس النهر والأرنب:

الفيل حيوان ضخم وقوى. وتعيش الأفيال على اليابسة. وفرس النهر حيوان قوى للغاية هو الآخر، لكنه يعيش فى الماء. ولهذا فإن الكثيرين يعدونه من الأسماك. وهذا أمر خاطئ. أما الأرنب فهو أمكر الحيوانات جميعا.

ذات مرة جاء الأرنب إلى فرس النهر وقال له:

- يا فرس النهر! لدى رجاء كبير إليك.
- قل ما عندك أيها الأخ الأرنب.
- أنت أقوى الجميع، فساعدنا نحن الضعفاء.
- وما الذى جرى؟

رد الأرنب:

- لقد انزلقت بقرتى فى المستنقع. وحاول أقربائى إخراجها منه بكل وسعهم بلا جدوى. فلتساعدنى فى هذا الأمر.
- هذا هو الأمر إذًا! احضر حبلا طويلا ومتينا واربط طرفه إلى قرنى بقرتك، ثم أعطنى الطرف الآخر. وسوف أقوم بجذبه وإخراجها من المستنقع الذى علقت به.



قال الأرنب إنه سوف يفعل ما طلبه فرس النهر.

ذهب الأرنب وأحضر حبلا طويلا أعطى طرفه لفرس النهر، وقال له:

- يا فرس النهر! لقد ربطت الطرف الآخر من الحبل حول قرنى بقرتى. فما إن تسمع صوت طبلى وهتافى وأنا أصيح: "جراو جراو" حتى تجذبه. هل فهمت؟

أجاب فرس النهر بأنه فهم. فأضاف الأرنب:

- لكن عليك يا فرس النهر ألا تجذبه حتى تسمع صوت الطبل.

وعده فرس النهر أن يقوم بالأمر على أكمل وجه. وركض الأرنب بكل سرعته إلى الفيل وقال له:

- أيها الأخ الأكبر الفيل! أنت الوحيد الذى بوسعه مساعدتى.

- ما الذى حدث معك يا أرنب؟

- أيها الأخ الأكبر الفيل! لقد سقطت بقرتى فى المستنقع. وحاول أقربائى إخراجها منه بكل السبل دون جدوى. ولهذا جئت أحكى لك عن مصيبتى.

- نعم، إنه أمر محزن حقا. لكن لدى من القوة ما يكفى لإخراجها من أى مستنقع كان وقعت به. فاذهب واربطها بحبل، وسوف أجذب طرفه وأخرج لك بقرتك من هناك.

قال الأرنب إنه سوف يفعل ما طلبه الفيل، ثم أضاف:

- عندما أربط الحبل حول بقرتى سوف أضرب على طبلى. وما إن تسمع صياحى: "جراو جراو" حتى تقوم بجذبه. هل فهمت؟

- وهل هذا أمر صعب كى لا أفهمه؟ هيا اذهب!

انطلق الأرنب فى طريقه، ثم عاد وأعطى الفيل الطرف الآخر من الحبل الذى أمسك به فرس النهر. ولم يدرك فرس النهر ولا الفيل أنهما يمسكان بنفس الحبل. أما الأرنب فوقف خلف شجرة حاملا طبله، ثم بدأ فى الهتاف:

- جراو، جراو، جراو.

سمع فرس النهر والفيل الصوت، وبدأ كل منهما فى جذب الحبل. أخذ الفيل يجذب بكل قوته وكذلك فرس النهر. فيتراجع أحدهما تارة والآخر تارة أخرى. وحاول كل منهما بكل قوته، لكن أحدا لم يستطع التغلب على الآخر. كانت الغلبة لفرس النهر فى الماء، وللفيل على الأرض. وجاهد كل منهما مرة أخرى فى جذب الحبل بكل ما لديه من قوة، ولكن دون جدوى.

ثار فرس النهر غاضبا وقال: "ما هذه البقرة ؟ لم أر مثلها من قبل".

فكر الفيل هو الآخر قائلا فى نفسه: "أيعقل ألا تكون هذه البقرة قد خرجت من المستنقع بعد؟ لا بد أنها بقرة غير عادية، وينبغى الذهاب والنظر إليها".

سار كل من الوحشين بمحاذاة الحبل حتى تقابلا معا. فسأل فرس النهر:

- ما الذى تقوم به أيها الفيل؟ هل تريد تجربة قوتك معى ولهذا تقوم بجذبى؟

- بل أنت الذى تقوم بهذه الحماقة. فقد أخبرونى بأن هناك بقرة ينبغى جذبها. وهأنا أجدك مربوطا بالحبل! ولكنى الآن أدرك ماهية الأمر! فأنت تريد إظهار تفوقك على!

ثار الاثنان من الغضب. وأخذ كل منهما فى جذب طرف الحبل حتى انقطع فى منتصفه فوقع فرس النهر فى الماء، وتدحرج الفيل على ظهره.

ظل الأرنب يضحك لأسبوع كامل من مهارته فى الإطاحة بالوحشين العملاقين.

٨٢. الفهد والأرنب وقرد البابون:

كان الفهد يعيش منذ زمن بعيد فى أطراف الغابة بعد أن ضـــرب الجفـــاف السهول. كانت الغابة كثيفة الأحراش، لكن لم يكن بها شيء من الطعام. وكان من الصعب على المرء إطعام نفسه، فما بالك بأسرته. لهذا قرر الفهد الانتقـــال إلـــى مكان آخر، والبحث عن موطن له تسهل به الحياة.

وفى صباح أحد الأيام خرج الفهد من الغابة، ورقد فى السهول يبحث عـــن مكان جديد يستقر به. وظل راقدا طويلا طويلا حتى شاهد أخيرا أشجارا مورقـــة على البعد. ففرح قائلا فى نفسه: "أخيرا عثرت على المكان الذى توجد به الميـــاه بوفرة لتلطف الحلق الجاف وتروى البستان. وانطلق إلى هنـــاك بوثبـــات رشـــيقة عالية. وعندما وصل إلى المكان رآه حقا أفضل من أى موقع آخر يمكن العثـــور عليه. كانت النباتات تطل عليك من تحت الأرض، وتجرى الجداول والقنوات التى تفيض بالماء فوق الأرض، والأرض ذاتها خصبة وطرية تصلح لزراعة البستان. والثمار يانعة فوق الأشجار.

سال لعاب الفهد، وصار يحلم بالسعادة المرتقبة. وقرر فى نفـــسه: "ســـوف أنتقل للعيش هنا". وقام بقطف مختلف الثمار الناضجة من فوق الأشجار، ثم عـــاد مسرعا يحكى لزوجته حول المكان الرائع.

استمعت الزوجة إلى الفهد ثم قالت:

- عد إلى هناك مسرعا وقم ببناء بيت لنا.

ما إن أشرقت الشمس فى اليوم التالى، حتى كان الفهد الوالد يركض بكـــل سرعته ليقوم ببناء البيت. وبعد أن وصل إلى المكان لم يضع الوقت هبـــاء. وقـــام باختيار الموقع الملائم وتحديده، ثم جمع قطع الأشجار، وظل طوال اليـــوم يعمـــل ويكدح، لكنه لم ينجح فى إتمام العمل. فقد بدأت الشمس فى المغيب. فـــذهب إلـــى موقع البستان المرتقب ورقد يستريح.

فى نفس تلك الليلة مر الأرنب المكار بذلك المكان الذى بدأ فيه الفهد بناء بيته. وما إن رأى الأرنب أساس البناء حتى أخذ يقدح فكره وقرر إكمال بناء ما بدأه. فأكمل حفر الأساس، وقطع الجذوع اللازمة للحوائط وأعد كل شيء. وما إن طلع الصباح حتى ذهب للنوم.

جاء الفهد بعد طلوع الشمس ليكمل البناء، ونظر ليرى المعجزة أمامه! لقد قام أحد بالعمل بدلا منه، وأنجز الكثير من العمل. فكر الفهد فى نفسه: "حقا، إن الرب يمد يده بمساعدة من تواجهه الصعاب. فقد أنهى وضع الأساس والأعمدة! فشكرا لك يا حامينا وراعينا!" وبعد أن شكر الرب شرع فى العمل دون راحة حتى المساء. فصنع الحوائط من الأطواق، والسقف من الأغصان والجريد. وعاد إلى عرينه بين الأحراش ثانية فى الليل.

فى تلك الليلة جاء الأرنب للعمل مرة أخرى. وقام بقطع الأحجار وغطى بها السقف، ودهن الحوائط. وأصبح البيت جاهزا وحاضرا للسكنى. وما إن انتهى حتى أسرع عائدا إلى زوجته.

جاء الفهد فى الصباح ورأى البيت جاهزا. فقفز من فرط السعادة وأخذ يزأر من شدة الانفعال. وبعد أن هدأ هبط عائدا إلى بيته القديم، كى يأخذ أسرته التى تعيش فى الموطن المقفر. وأسرع يحكى لزوجته عن الأمر. فجمعوا أغراضهم على وجه السرعة، وانطلقوا إلى المكان الجديد.

فى أثناء ذهاب الفهد فى الطريق، كان الأرنب المكار قد وصل بالفعل إلى البيت الجديد مع جميع أفراد أسرته. فقد عرف أن الفهد سرعان ما يعود، وقرر أن يخيفه كما ينبغى. وما إن دخل الفهد إلى الفناء حتى قرص الأرنب صغيره الذى صرخ متألما، فقال له الأرنب:

– لماذا تصرخ؟

أجابه الصغير:

- أريد تناول لحم الفهد!

ومضى يصرخ من جديد. فقال الأرنب:

- اهدأ قليلا كي لا تخيفه! فإنى أشعر أن الفهد قريب من هنا. وسوف أمسك به على الفور ما إن يدخل إلى البيت! فانظر إليه إن كان سمينا أم لا. ولا تبكي واصبر قليلا!

سمع الفهد ذلك الحديث فأطلق ساقيه للريح، ونسى كل شىء عن البيت. أما الأرنب فتسلل مع زوجته ينظران عبر الشباك، ويقهقهان من الضحك.

مر بعض الوقت، ومضى الأرنب مع زوجته يجمعان الخضروات من بستان الفهد. وبعد أن جمعا ما استطاعا، عادا إلى البيت وقاما بسلق الخضروات، ثم جلسا لتناولها.



فى ذلك الوقت مر البابون بالقرب منهم. فشاهد الأرنب يجلس مع أسرته يتناولون الخضروات. وأراد هو الآخر أكل الخضروات، لكن أحدا لم يدعه إلى المائدة. وظل يدور حول البيت دون أن يحصل على شيء، ثم رحل عن المكان. سار البابون حزينا حتى صادف الفهد الذى كان يبكى مع أسرته. فسألهم البابون:

- لماذا تبكون؟

رد الفهد عليه:

- وكيف لنا ألا نبكى؟! فقد قمت ببناء البيت وكدحت فى إقامته، وأعددت البستان للزراعة، ثم أخذوا منى كل شىء. ولا أعرف من الذى قام بذلك!

قهقه البابون من الضحك:

- هاهاها! هاهاها! ألا تعرف من فعل ذلك حقا؟ إنه الأرنب! وقد رأيته للتو جالسا يأكل الخضروات، ولم يقم بدعوتى إلى المائدة!

اعترت الدهشة الفهد وزأر قائلا:

- الأرنب! لا يمكننى تصديق هذا أبدا!

ظل البابون يقنعه قائلا له:

- ما لك جالس! هيا انهض، وسوف أصطحبك كى ترى بنفسك!

عندئذ قرر الفهد قائلا:

- حسنا، فلنرَ إن كنت لا تكذب، ولنربط ذيلينا معا ثم نذهب، فإن لم يكن الأرنب هناك فلن أسمح لك بالذهاب لأى مكان!

ربط الاثنان ذيلهما معا وانطلقا إلى البيت. وعندما اقتربا منه شاهدهما الأرنب وقرر ممارسة المكر مرة أخرى. وبعد أن اقتربا تماما قرص صغيره ثانية فبكى الصغير. وهتف الأرنب مثلما فعل فى المرة السابقة:

- لماذا تبكى؟

رد الصغير:

- أريد لحم الفهد.

- إذًا، اصمت وإلا سوف تخيفه مرة أخرى! ألا ترى أن صديقى البابون؛ الذى أرسلناه إليه؛ قد ربطه من ذيله، وها هو يسوقه إلينا!

وما إن سمع الفهد تلك الكلمات حتى فر هاربا والبابون معه. وبعد أن ابتعدا ظل يتصارع مع البابون ويلطمه بكفه حتى قتله. وعندما شاهد الفهد أن البابون قد مات قطع ذيله واستمر فى الركض. لم يسمع أحد شيئا عن الفهد فى تلك الأرجاء بعد ذلك. وظل البيت والبستان فى حوزة الأرنب. وعاش هناك فى رفاء وراحة حتى إنه نسى أن البابون قد فارق الحياة بسبب الأرنب.

٨٣ـ الشجرة التى تتكلم:

فى أحد الأيام ذهب الضبع يتجول فى الغابة، وشاهد هناك شجرة غريبة الهيئة. فقد كان لديها فم وأنف وعينان. اعترت الدهشة الضبع وقال: "يا للمعجزة! إن الشجرة تتكلم!" مدت الشجرة فرعا كبيرا من فروعها، وضربت الضبع به حتى سقط فاقدا الوعى.

وعندما عاد الضبع إلى وعيه قالت له الشجرة:

- لو تكلمت معى بمثل تلك الحماقة "إن الشجرة تتكلم!" فسوف أريك.
- لا، لا! لن يحدث هذا الأمر ثانية.
- إذًا، اذهب واخبر جميع الوحوش كى لا ينطقوا هذه العبارة، وإلا فإنى سوف أقتلهم.



فى اليوم التالى صادف الضبع غزالا فى الغابة. وعندما هم الغزال بالفرار، استوقفه الضبع:

- انتظر يا عزيزى، وإن لم تكن تتعجل الذهاب فلتذهب معى، وسوف أريك ما لم يره أجدادك من قبل، ولا حتى والداك.
- وما هذا الشىء أيها الأخ الضبع؟

- إنها الشجرة التى تتكلم!

- شجرة تتكلم؟

- نعم، إنها تتكلم مثلك ومثلى. ويمكننى أن أريها لك. ولكن عندما نـذهب إليها فعليك ألا تنسى أن تصيح: "إن الشجرة تتكلم!" وإلا فأنهـا سـوف تغضب منك.

فعل الغزال ما قاله الفهد وصاح:

- "إن الشجرة تتكلم!"

فقتلت الشجرة الغزال، وأكله الضبع.

وسرعان ما صادف الفهد جاموسا فى الغابة. فقال له:

- عزيزى الجاموس! إن لم تكن تتعجل الذهاب فلتذهب معى، وسوف أريك ما لم يره أحد من سلالتك.

- وما هذا الشيء أيها الضبع؟

- إنها الشجرة التى تتكلم!

- شجرة تتكلم؟

- نعم، تتكلم مثلك ومثلى تماما. ولكن عندما نذهب إليها فعليك أن تـصيح قائلا: "إن الشجرة تتكلم!" وإلا فأنها سوف تغضب منك.

وقتلت الشجرة الجاموس، وأكله الضبع.

بهذه الوسيلة أكل الضبع العديد من الحيوانات، حتى قابل الأرنب ذات مرة. وكان الأرنب فى الغابة عندما شاهد الضبع الشجرة لأول مرة، وعرف أن الشجرة تغضب لعبارة "إن الشجرة تتكلم!". لكنه تكتم الأمر. وقال الضبع للأرنب:

- أيها الأخ الأرنب! لدينا فى الغابة معجزة حقيقية. إنها الشجرة التى تتكلم، ويمكننى أن أريها لك.

- يا له من أمر عجيب حقا! هذه أول مرة أسمع فيها عنها. وأكاد لا أصدق أذني.

- فلنذهب كي تشاهدها بنفسك. ولكن عندما تقترب منها عليك أن تهتف قائلا: "إن الشجرة تتكلم!" وهذا أمر سهل.

ذهب الاثنان إلى الشجرة. وبدأ الأرنب:

- الشجرة... الشجرة... الشجرة...، التي .. التي.. آخ.. لقد نسيت أيها الضبع العزيز.

- تعالى هنا لأذكرك. عليك أن تقول"إن الشجرة تتكلم!" هيا كرر العبارة لأتأكد من حفظك لها.

- "إن الشجرة تتكلم!"

- أحسنت، ولكن عليك نطقها بصوت عال، فاذهب الآن.

اقتربا من الشجرة مرة أخرى، وفغر الأرنب فاهه ونطق:

- الششششجرررة... التي.. الشجرة...

- هيا، انطق العبارة، فأنت ما زلت تتذكرها!

- التي... الشجرة...

- أه يا عديم العقل يا ابن الحرام! ألا يمكنك قول "إن الشجرة تتكلم!".

مدت الشجرة فرعا ضخما من فروعها نحو الضبع وقتلته. أما الأرنب فركض مسرعا إلى بيته.

٨٤ـ الأرنب والأسد والضبع:

كان ياما كان أن مرض الأسد ملك الوحوش. فبعث برسوله الضبع إلى كافة الأرجاء يعلن: على جميع حيوانات الغابة الحضور والاجتماع، لتصف وسيلة لعلاج الملك.

وهكذا، ذهب الضبع إلى الأرنب.

- هيا أسرع أيها الأرنب! فقد مرض الملك. وعلى الجميع المثول أمامه. فربما يعرف أحد وسيلة لعلاجه.

- لن أذهب. فالدواء من المرض موجود لدى. ولكن ليس لدى دواء يعالج الشيخوخة. وقد أصاب العجز الأسد ببساطة. وسوف يصبح الجميع أفضل حالا بعد موته.

ركض الضبع بكل سرعته إلى الملك. وأخبره بقول الأرنب. فغضب الملك، وأرسل خدمه للقبض على ذلك الوغد وإحضاره له.

فى أثناء ذلك أخذ كل من الوحوش يصف وسيلة لعلاج الأسد. وبدأ التمساح الحديث:

- لقد مكث الملك فى الغابة لأكثر من الوقت اللازم. وأصبح نادرا ما يستحم فى النهر. ولو أنه ذهب للاستحمام فسوف يبرد جسمه الساخن، ثم يشفى بالطبع ويعود معافا.

وقالت البوا (الأفعى العاصرة):

- هناك الكثير من الظل فى الغابة التى يعيش بها الأسد. فلو أنه خرج إلى المناطق المشمسة فى السافانا، فسوف يبرأ من مرضه.

قال القرد:

- هناك الكثير من الطفيليات تعشش فى فراء الملك، وتقوم بمص الدماء منه على الدوام، ولو قمت باصطيادهم وأكلهم فسوف يشفى الملك بالطبع.

وأضاف جرذ الأرض:

- إن الأسد يأكل القليل من الفول السودانى، وينبغى علينا الذهاب إلى حقل من حقول الفول السودانى، حيث يمكن للملك أن يأكل منه ويبرأ من مرضه.



وقبل أن تنتهى الحيوانات من حديثها ظهر الخدم ومعهم الأرنب. فزأر الأسد قائلا:

- حسنا أيها الأرنب، هيا اقترب هنا! فما إن أنشب أظافرى فى جسمك سوف تدرك إن كان ملكك شابا أم عجوزا!

- ومن الذى قال إن الملك عجوز؟

- لقد نقل الضبع كلماتك تلك التى قلتها.

- عفوا أيها الملك! لقد تعجل الضبع ولم يفهم شيئا مما قلته، وقام بتحريف حديثى! فإنكم جميعا تعرفون أنه ليس فطنا بالدرجة الكافية. وما قلته هو أننى لا أستطيع الذهاب على الفور، حيث إن الدواء لداء الملك لا يعرفه سوى حكيم يعيش بعيدا عن هنا. ولم يمكننى القدوم إلى الملك دون الحديث مع الحكيم، ولهذا أسرعت إليه قبل حضورى.

- وما الذى أخبرك به؟

- أخبرنى بأن الملك ينبغى عليه أن يتناول مخ الضبع بعد أن يخلطه بالملح، وحينئذ سوف يشفى على الفور.

انتفض الضبع من مكانه كى يفر من المكان، لكن الوحوش أمسكت به وحطمت رأسه، ثم أخرجت منه المخ وخلطته مع الملح. وأعطته للأسد الذى التهمه وشفى من مرضه بعد ذلك.

لا يوجد فى العالم شىء يفوق الذكاء.

٨٥ـ الأرنب والفيلة:

يحكى أنه كانت هناك عجوز تعيش بمفردها، فلم يكن لديها أطفال ولا أحفاد، بل كانت فقط تسعد بحقلها الذى ينبت به القرع على نحو جيد. وكان كل شىء يسير على ما يرام، إلا أن الفيلة أصبحت تتسلل إلى الحقل وتأكل منه ثمار القرع. لم تعرف العجوز ما ينبغى فعله لمنعهم من القيام بذلك. فقد كانت هرمة للغاية، ولم يكن بوسعها السهر ليلا وحراسة الحقل.

فى إحدى المرات وصل إلى الحقل أعداد كبيرة من الفيلة قامت بالتهام محصول القرع، ولم تترك منه سوى القليل. وعندما استيقظت العجوز فى الصباح رأت الحقل خاليا تقريبا من الثمار. فجلست تبكى مصيبتها وتولول على حالها. وفى ذلك الوقت مر الأرنب بالقرب منها. وعندما شاهد العجوز تبكى سألها:

- لماذا تبكين أيتها الجدة؟ ولماذا تنهمر دموعك؟

ردت العجوز عليه:

- وكيف لى ألا أبكى بعد أن قمت بزراعة القرع ورعايته، ثم تأتى الفيلة بعد ذلك لتأكل كل جهدى المبذول؟

وهنا صاح الأرنب:

- حسنا، غدا سوف أريهم نتيجة سرقة خير الآخرين!

حمل الأرنب سكينه، وقطع به أكبر ثمرة قرع من الثمار التى تبقت، وأخرج ما بداخل الثمرة، ثم قام بجرها إلى الدرب الذى تسير به الفيلة، وقفز بداخلها مختبئا، ولم يترك سوى فتحة صغيرة من الخارج.

ذهبت الفيلة فى الليلة التالية لتلتهم ما تبقى من الحقل. فشاهدت ثمرة القرع الكبيرة فوق الممر الذى سارت به. فقام الفيل الذى سار فى المقدمة برفعها بزلومته وابتلعها والأرنب بداخلها.



وما إن وصلت الفيلة إلى الحقل حتى بدأ الأرنب فى الصراخ والصياح. خافت الفيلة وتوقفت عن الأكل، وأخذت تصغى نحو مصدر الضوضاء الصادرة. وأخذ الأرنب يصرخ أعلى فأعلى.

تملك الرعب من الفيلة فأطلقت سيقانها للريح، وركضت إلى الغابة، ثم توقفت وصارت تصغى من جديد. وصدر صوت الصراخ مرة أخرى، فواصلت الفيلة الركض بعيدا إلى عمق الغابة. وبعد أن توقفت حزرت أن أحدا من بينهم هو الذى يصدر تلك الجلبة.

تفرقت الفيلة وقد شحذت آذانها لتعرف مصدر تلك الضوضاء، حتى أدركت أن الصوت ينبعث من داخل قائدهم الفيل. فهجم الجميع عليه ومزقوه أشلاء، وشاهدوا ثمرة القرع راقدة فى بطنه ورأس الأرنب تطل عليهم من فتحة بها. فأمسكت الفيلة به من أذنيه وسألته:

- أأنت الذى قمت بترويعنا؟! لقد قتلنا رفيقنا بسببك! هيا قف، فسوف نرغمك على التهامه بالكامل أمام أعيننا.

قال الأرنب:

- حسنا، أعطونى فقط الفرصة للعثور على بعض الحطب لإشعال النار كى أشوى عليها اللحم.

أجاب أحد الفيلة عليه:

- لن نسمح لك بالطبع! فلو أننا تركناك فسوف تفر هاربا على الفور. ونحن نعرف ما أنت قادر عليه!

رد الأرنب بدوره قائلا:

- أتركوني أجمع الحطب، ولو كنتم تخشون فراري فأحضروا حبلا طويلا واربطوني به، ولن يمكنني الذهاب لأي مكان بعيدا عن أنظاركم.

عثرت الفيلة على حبل طويل، وربطت به الأرنب من رقبته، وأخبرته أن يجذب الحبل بعد عثوره على الحطب حتى يسحبوه إليهم.

انطلق الأرنب مربوطا بالحبل، فصادف الضبع الذي سأله:

- ما لك تتجول في الغابة أيها الصديق وأنت مربوط على هذا النحو؟

رد الأرنب عليه:

- من الأفضل أن تنظر إلى كمية اللحم التي جمعتها هناك وأعددتها للشواء. أما هذا الحبل فإنه حبل خاص أربط نفسي بأحد طرفيه وبالطرف الآخر أصدقائي، وذلك كي أجذبه لدى رؤيتي للأعداء، فيسرع أصدقائي نحوي على الفور للمساعدة.

تشمم الضبع الهواء الذي حمل إليه رائحة اللحم من مكان قريب، ثم قال للأرنب:

- أيها السيد الأرنب أظنك قد أكلت حتى الشبع.

- وأي شبع! آه لو أنك تعرف كمية اللحم التي أكلتها حتى امتلأت معدتي، وأصبحت أقدامي تعجز عن العودة إلى أصدقائي الذين ينتظرونني، وسوف يغضبون إن لم أعد إليهم.

قال الضبع للأرنب:

- نعم، إنى أراك تسير بصعوبة حقا. ومن الأفضل لك أن تشرب بعض العصير من الشجرة كى تخفف عليك. ولو أردت أن أساعدك فيمكننى حل وثاقك وربط نفسى مكانك.

رد الأرنب:

- حسنا، وأنا موافق.

وكان هذا ما فعلاه. فحل الضبع وثاق الأرنب، وربطه الأرنب بدلا منه، ثم قام بجذب الحبل كما أمرته الفيلة. وجذبت الفيلة أسيرها حتى وصل إليه. ونظروا فإذا بالأرنب قد تبدل تماما. وكبر حجمه وتغيرت هيئته. ولم تعلق الفيلة على ذلك بل قالت:

- هيا هيا ابدأ فى تناول الطعام بسرعة.

كان هذا ما ينتظره الضبع. فأخذ يأكل ويأكل حتى أصابه التعب وأراد الشرب. فطلب من الفيلة إطلاق سراحه ليذهب إلى النهر ويشرب منه. فربطوه من رقبته وأطلقوه. وصل الضبع إلى النهر وأخذ يعب الماء فى جوفه بنهم. ومضى يشرب ويشرب والفيلة تنتظر حتى مرت ساعة وساعتان. فقامت الفيلة بجذب الحبل، وشاهدت الضبع وقد لفظ أنفاسه الأخيرة.

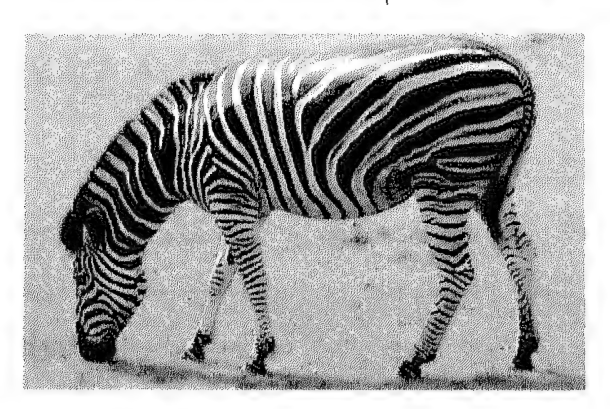
ومنذ ذلك الحين لم تذهب الفيلة ثانية إلى حقل العجوز، ولم تسرق ثمار القرع منه.

٨٦ـ الأرنب والحمار الوحشي:

كان ياما كان صديقان يعيشان فى مكان واحد، هما الأرنب والحمار الوحشى. كان الأرنب أعزبا، والحمار متزوجا، وكان ينتظر مولودا فى ذلك الوقت. وكان على الحمار الذهاب إلى أهل زوجته كى يزف لهم هذا الخبر. لكن أهل الزوجة كانوا يعيشون فى منطقة بعيدة عنهم، ولم تكن لديه الرغبة فى الذهاب إليهم بمفرده. لهذا طلب من صديقه الأرنب:

– أيها الصديق، أتذهب معى إلى أهل لزوجتى؟

وافق الأرنب وأعدا نفسيهما للرحيل على وجه السرعة، حتى إن الوقت لم يسعفهما لحمل بيضة الدجاجة معهم.



انطلق الاثنان فى الطريق حتى وصلا بسلام. وقام الأهل باستقبالهما على وجه طيب. وقدموا الطعام إليهما: إناء كبير مملوء بالجعة، ودجاجة كبيرة وعنزة. فقاموا بتقسيم الدجاجة والعنزة إلى قسمين بالطول. وأخذ الأرنب نصفهما والحمار النصف الآخر. التهم الأرنب على الفور كل نصيبه من اللحم، أما الحمار فأكل نصف الدجاجة، ووضع لحم العنزة فى جرابه كى يحمله إلى بيت زوجته.

حان الوقت للعودة إلى البيت، فانطلق الاثنان عائدين. وشعر الأرنب في أثناء الطريق أن مزاجه سيئ. وكان الحسد يعتصره، وذلك بسبب أن الحمار يحمل لحما إلى بيته، أما هو فلا يحمل شيئا معه. واشتدت به الرغبة لأكل هذا اللحم. فسبق الحمار إلى الأمام، وسقط على الأرض متحولا إلى ملعقة. نظر الحمار فشاهد ملعقة جميلة ترقد على الأرض. فأدرك على الفور أن الأرنب تحول إلى ملعقة وقال:

- أنت تريدني أن أحملك وأضعك في الجراب بجانب اللحم، وذلك كي تأكله. ولكن هذه الحيلة لن تنطلي علي.

مضى الحمار مواصلا طريقه دون أن يلتفت للملعقة. فعاد الأرنب إلى هيئته السابقة وركض عبر الأدغال وسبق الحمار على الطريق، ثم سقط ثانية متحولا إلى سكين. وعندما وصل الحمار وشاهد السكين على الطريق، أدرك على الفور أنه الأرنب:

- أيها الأرنب الخبيث! إنك ترغب بشدة في التهام اللحم الذي أحمله!

لم يلتفت الحمار إلى السكين وواصل طريقه. حينئذ عاد الأرنب إلى هيئته السابقة وركض مسرعا إلى بيت صديقه. وأسرع إلى الحقل حيث كانت زوجة الحمار تحرث الأرض، واختبأ هناك متحولا إلى صبيين توأمين. لم تلاحظ الزوجة شيئا، وذهبت إلى البيت. وعندما وصل الحمار ذهب على الفور إلى الحقل، ظنا منه أن زوجته تعمل في الحقل. وهناك رأى التوأم ففرح بهما كثيرا. وأجلسهما في الجوال وأعطاهما اللحم، ثم تركهما وانطلق إلى البيت. وعندما وصل الحمار إلى البيت سأل زوجته:

- لماذا تركتِ الطفلين ولم تصطحبيهما معكِ إلى البيت؟

لم تفهم الزوجة شيئا من حديثه عن الأطفال.

عندئذ لاحظ الحمار أن زوجته ما زالت حاملا، وأدرك أن الأرنب قد تحول إلى توأمين. فركض مسرعا إلى الحقل وشاهد الأرنب يقفز من الجوال ويفر هاربا بعد أن التهم كل اللحم.

صاح الحمار على الأرنب:

- كيف يمكنك أن تفعل هذا بى بعد ما فعلته معك؟

ركض الحمار يطارد الأرنب. لكن الأرنب تسلق إحدى الأشجار، فصعد الحمار من خلفه وأمسك الأرنب من قدمه.

قال الأرنب:

- إنك تمسكنى بصورة غير مريحة، فاتركنى قليلا كى أعدل قدمى.

أفلت الحمار قدم الأرنب الذى تملص بعد ذلك وفر هاربا بين الأحراش. وانطلق الحمار من خلفه، حتى أمسك به من قدمه مرة أخرى.

قهقه الأرنب ضاحكا وقال:

- أيها الأحمق! أنت تمسك بغصن جاف وتظنه قدمى.

صدق الحمار ما قاله الأرنب وأفلت قدمه. ففر الأرنب إلى جحر نمل مهجور أسفل الأرض (دائما ما تكون هناك أنفاق أسفل الجحر)، وقفز بداخله. وأراد الحمار أن يدخل إليه هو الآخر لكن فتحة الجحر كانت ضيقة فانحشر بداخلها ومات. وذهب الأرنب بعد ذلك إلى زوجة الحمار وقال لها:

- لقد مات زوجك، وسوف أتزوجك بدلا منه.

وتزوج الأرنب من زوجة الحمار.

وعليك أن تتذكر التالى: يمكنك الحصول على العديد من الأصدقاء، ولكن عليك ألا تمنح ثقتك لكل صديق.

٨٧ـ الأرنب والفزاعة (خيال المآتة):

كان ياما كان فلاح يعيش فى الأرض. وكان لديه حقل كبير يزرعه بالمكسرات. كانت المكسرات تنمو على نحو جيد وتطرح محصولا طيبا. لكن الأرنب كان يتسلل فى بعض الأحيان إلى الحقل ويسرق من المحصول. وذات مرة ذهب العجوز مع أبنائه ليلا لحراسة الحقل. وكان الأرنب يسرق بصورة ماكرة، فيحمل معه دلوين يذهب بهما إلى الحقل، ثم يأخذ فى الطرق على الدلوين والصراخ بصوته بصورة مفزعة، مصدرا جلبة عالية:

- أيها الناس! من منكم يعمل فى الحقل عليه الابتعاد عنه بسرعة، حيث إن عربات الأوروبيين سوف تمر منه!

ويركض العجوز مع أبنائه تاركين الحقل بلا حراسة. فيذهب الأرنب فى أمان ليجمع ما شاء من ثمار المكسرات، ويملأ بها الدلوين، ثم يفر هاربا. وعندما يأتى العجوز إلى الحقل يتفقد نمو المكسرات، فلا يجد شيئا! ويتكرر نفس الأمر فى كل عام.

بعد أن تعب العجوز من هذا الأمر، صنع فزاعة من الأغصان تشبه الإنسان فى هيئتها، ثم قام بدهنها بالصمغ ونصبها فى الحقل.



نضجت ثمار المكسرات وجاء الأرنب ثانية حاملا دلويه، وأخذ في الصراخ. ففر الجميع هاربين عدا الفزاعة التى تركوها بالحقل. وعندما وصل الأرنب إلى الحقل شاهد أحدا ما يقف به. فقال الأرنب:

- من أنت حتى لا تنصاع للأوامر؟! سوف أذيقك الآن ضرباتى وأريك ما أنا قادر عليه!

قفز الأرنب وضرب الفزاعة بقبضته ضربة شديدة، فالتصقت يده بها. وصرخ الأرنب قائلا:

- هيا اتركنى بسرعة! ماذا بك، هل فقدت عقلك؟ اتركنى وإلا سوف أضربك حتى لا تدرك ما حولك!

ضرب الأرنب الفزاعة بقدمه فالتصقت به هى الأخرى، ثم ضربه بقدمه الثانية التى التصقت كذلك. ولم يعد بوسع الأرنب فعل شيء بعد أن التصقت قوائمه بالفزاعة. فصرخ بها:

- هل أصابك الصمم؟! قلت لك اتركنى! والآن سوف أنطحك برأسى!

التصقت رأس الأرنب هى الأخرى. وبعد ذلك أصبح الأرنب عديم الحيلة فاضطر للاستسلام. وجاء صاحب الحقل فى الصباح، وشاهد الأرنب ملتصقا بالفزاعة. فذهب إليها وانتزعه من فوقها، ثم أعطاه لابنه كى يذهب به إلى البيت:

- اذهب بهذا الأرنب إلى البيت. وما إن تصل أخبر أمك أن تعده لى على العشاء كى آكله.

استمع الابن لكلمات أبيه وانطلق نحو البيت. وبعد أن قطع نصف الطريق سأله الأرنب:

- هل أصغيت جيدا لكل ما قاله لك والدك؟

أجاب الإبن:

- نعم، لقد أصغيت باهتمام.

ومضى يردد كل ما قاله والده. فقال له الأرنب:

- لا، أنت لم تصغ جيدا. فقد أمرك الوالد أن تذهب بالضيف الغالى إلى البيت، وتخبر أمك كى تذبح ديكا كبيرا على شرف الضيف. وبعد ذلك تذهب وتعد فراشا للضيف كى يرتاح به حتى عودته.

قال الصبى للأرنب:

- هذا صحيح! شكرا لك لتذكيرك ما قاله أبى!

وما إن وصل إلى البيت حتى أخبر الصبى أمه بما ردده الأرنب على مسامعه، وليس بتلك الكلمات التى أخبره بها والده.

فعلت الأم ما قيل لها. فأحضرت أكبر ديك لديها، وقامت بذبحه وإعداده وإطعامه للأرنب، ثم ذهبت بالأرنب إلى فراش وثير فى حجرة باردة.

بعد أن ظل الأرنب بمفرده بدأ فى الحفر على الفور، حتى وصل بحفرته إلى مخرج البيت. وفى تلك اللحظة وصل صاحب البيت وسأل زوجته:

- كيف الحال؟ هل انتهيت من إعداد الأرنب لآكله؟

ردت الزوجة عليه:

- أى أرنب؟ لقد أخبرنى ابنك أن أذبح الديك وليس الأرنب! ألم تأمر بإعداد الديك وتقديمه للضيف ليأكله، ووضعه بالفراش فى حجرة باردة؟

صرخ العجوز صرخة هائلة:

- أيتها الحمقاء! أين هو الآن؟!

ردت الزوجة:

- إنه يرتاح فى فراشه بالبيت.

ثار العجوز ثورة عارمة وحمل سكينا ضخما وركض مسرعا إلى الحجرة، لكن الأرنب كان قد خرج من الحفرة إلى الفناء، ومنه فر هاربـا واختفـى عـن الأنظار.

٨٨ ـ الظبى والثعبان والغزال الصغير:



خرج الظبى ذات مرة إلى الوادى ليرعى العشب. وبينما كان يسير سمع فجأة صوتا ينادى قائلا:

– أيها الظبى! أيها الظبى!

دُهش الظبى وقال:

– من الذى ينادينى؟

رد الصوت:

– إنه أنا، ثعبان الحجر أناديك.

فسأل الظبى:

– ولماذا تلح فى النداء على؟ وماذا تريد منى؟

توسل الثعبان:

– اقترب منى هنا كى تساعدنى.

– لا أيها السيد، لن أقوم بأية خطوة نحوك، لأنك سوف تمسك بى إن اقتربت.

– لا تخف، لن أمسك بسوء. اقترب وساعدنى فإننى أموت بعد أن وقعت تلك الشجرة فوقى.

قرر الظبى تقديم العون للثعبان فاقترب منه ورفع الشجرة التى سقطت على الثعبان. وعندما هم الظبى بمواصلة سيره انتفض الثعبان وهجم عليه حتى أمـسك به:

- والآن سوف ألتهمك بعد أن حانت نهايتك اليوم، فإنى صرت منهكا مـن الجوع بعد مرور ثلاثة أيام علىّ لم أتناول خلالها شيئا.

صاح الظبى قائلا:

- هكذا إذًا! يا لى من أحمق كى أقوم بمساعدتك! لقد عرفت منذ البداية أنك سوف تمسك بى، على الرغم من وعدك لى ألا تمسنى بسوء.

فى ذلك الوقت ظهر غزال صغير، واقترب منهم وسأل الثعبان عما يريـد فعله بالظبى فشرح الثعبان:

- إن الشجرة التى تراها قد وقعت فوقى وكادت أن تهرس جسدى. وعندئذ طلبت المساعدة من الظبى. فقام برفع الشجرة وتخليصى منها. وهأنـا الآن أستعد لالتهامه لأن الجوع قد اعتصرنى.

قال الغزال الصغير فى دهشة:

- هذا هو الأمر إذًا! هل من المعقول أن هذا الظبى بمفرده اسـتطاع رفـع تلك الشجرة.

- نعم، نعم، لقد رفعها بمفرده.

طلب منه الغزال الصغير قائلا:

- إن كنت تريد أن أصدقك فارقد كى نضع الشجرة فوق ظهـرك ثانيـة، وأشاهد الظبى وهو يرفعها من عليك بمفرده.

وافق الثعبان، فحمل الظبى مع الغزال الصغير الشجرة ووضعاها فوق ظهر الثعبان. وهتف الغزال الصغير قائلا:

- حسناء، ما الذى تنتظره؟ هيا بنا من هنا.

وفر الاثنان إلى قلب الغابة، بينما مات الثعبان الأحمق بعد يومين.

٨٩ـ كابولوكو[1] والفهد والظبي لوسومبي والتمساح:

عاش في الغابة صديقان مع أسرتهما – الفهد والغزال الصغير كـابولوكو. ولم يكن لديهم أرض في الغابة يمكن زراعتها بأي محصول. وذات مـرة تـسلل الجوع إليهما بصورة غير ملحوظة، مثلما يتسلل الأسد إلى حظيرة الخنازير.

كان الظبي لوسومبي يمتلك ثلاثة حقول كاملـة. وكـان أحـدها مزروعـا بالكُسافا[2]، والآخر بالذرة، والثالث بالفاصوليا. لذلك كان لديه مخزون كاف مـن الطعام. وعرف كابولوكو عن هذا الأمر فقال للفهد:

– إن أبناءنا وزوجاتنا يموتون جوعا، بينما لوسومبي يمتلـك الكثيـر مـن الطعام.

سأل الفهد:

– أحقا هذا الأمر؟

صاح كابولوكو:

– وهل كذبت عليك من قبل؟

قال الفهد:

– إذاً، ينبغي علينا التفكير في شيء ما يمكننا من الحصول على بعض ذلك الطعام.

---

(١) كابولوكو – أصغر أنواع الغزلان حجما، وهو من الأبطال المحببين في الفلكلور الشعبي.

(٢) الكسافا – نوع من الجذور تشبه جذور البطاطا، وهي تجفف وتطحن للاستخدام في الطعام ولهـا قيمـة غذائية جيدة. (المترجم)

اقترح كابولوكو قائلا:

- فلنفعل التالى: أذهب أنا إلى لوسومبى وأقول له: "ألا تريد شـــراء كلـــب منى؟" ولو وافق فسوف آتى إليك ونذهب إليه معا.

جرى الأمر كما خطط له كابولوكو تماما. فعندما وصـــل إلـــى لوسـومبى عرض عليه شراء كلب منه. وعندئذ رد عليه لوسومبى:

- نعم أيها العزيز، إننى أرغب فى الحصول على كلب جيد منذ فترة بعيدة. فكم يساوى ثمنه؟



رد كابولوكو:

- إنى لا أحتاج إلى مال، بل أعطنى أفضل عشر سلال من الكسافا، وعشر سلال من الذرة، وعشر سلال من الفاصوليا.

قال لوسومبى:

- أحضر الكلب أولا.

عاد كابولوكو إلى البيت، وألبس الفهد زيا تنكريا، ثم انطلـــق إلـــى الظبـــى لوسومبى.

عندما رأى لوسومبى الكلب الضخم فرح كثيرا، وأعطى كابولوكو كل مـــا طلبه.

أخذ كابولوكو سلال الغلال وقال قبل أن يعود إلى بيته:

- أود أن أخبرك شيئا حول هذا الكلب.

صاح لوسومبى قائلا:

- نعم نعم، أخبرنى.

- عندما تذهب مع هذا الكلب إلى الصيد، وتراه يمسك بالطريدة ويأكلها فلا تمنعه من ذلك حتى لا تسوء الأمور.

عندما سمع الفهد كلمات كابولوكو، أدرك المغزى مما قاله.

بعد حصوله على الكلب أصبح الظبى لوسومبى كثيرا ما يخرج للصيد، وفى كل مرة كان يعود بالطرائد التى يصيدها. وهكذا، استمر الحال للعديد من الأيام، حتى مر شهران تقريبا.

ذات مرة خرج لوسومبى مع الكلب للصيد. وفجأة، بدأ كلبه فى التهام الفرائس التى صادها، حتى وصل عدد ما التهمه إلى خمسة عشر فريسة. وعندما شرع فى التهام الفريسة التالية لوح الظبى بالعصا نحوه. عندئذ قام الفهد؛ المتنكر فى هيئة الكلب؛ بالهجوم عليه والتهامه. وبعد أن قتل الفهد الظبى لوسومبى حمل ما تبقى من فرائس، وعاد إلى البيت. وهناك اقترح كابولوكو عليه اقتسام الفرائس مناصفة بينهما، لكن الفهد قرر أن يمكر به قائلا:

- دعنا لا نقتسم اللحم وليبق كله لدى. وعندما تحتاج زوجتك لبعضه فلتحضر إلىّ وتأخذ منه.

وافق كابولوكو، ولكن عندما جاءت زوجته إلى الفهد تطلب اللحم ذات مرة، أخذ يتوعدها ويهددها. فشكت الزوجة إلى كابولوكو الذى كان فى ذلك الوقت قد صادق التمساح. ذهب كابولوكو إلى التمساح وقال له:

- اذهب معى لتأخذ الكلب الذى أملكه. لكن، عندما نصل إلى هناك عليك أن تمسك به بقوة.

أسرع كابولوكو إلى الفهد وقال له:

- أستطيع الحصول لك على كلب رائع، ولكن عندما أريه لك عليك الإمساك به بنفسك.

وصل التمساح فى اليوم التالى، فأصطحبه كابولوكو إلى البيت، ثم ذهب إلى الفهد وقال له:

- إن الكلب فى بيتى بالفعل، فاذهب وخذه من هناك.

ذهب الفهد إلى البيت، وما إن أصبح بالداخل حتى أغلق كابولوكو الباب عليه وفر بعيدا عن المكان.

أخذ كل من الفهد والتمساح يحاولان الإمساك ببعضهما بعضًا. وكل منهما يفكر فى نفسه: "سوف أحصل على هذا الكلب". وبعد صراع دام بينهما قتل التمساح الفهد.

وهكذا، فكل ما يحصل عليه المرء بوسيلة غير شريفة، ينتهى به إلى الموت.

٩٠ـ الفهد والظبى نجولونجو وكابولوكو:

عاش صديقان متجاوران فى قرية واحدة: الظبى نجولونجو والغزال الصغير كابولوكو. كان كابولوكو أخبث بكثير من الظبى نجولونجو.



ذات مرة أعلن كابولوكو قائلا:

- أريد أن ينام كل من أطفالى على فراء الفهد الخاص به.

وقام بإعداد وجبة شهية أضاف إليها زيت النخيل، حتى سال لعاب كل من نظر إليها وتشمم رائحتها الطيبة. وحمل كابولوكو الطعام ووضعه فوق رأسه، ثم انطلق إلى الغابة باحثا عن الفهد. وبعد أن طاف أرجاء الغابة سرعان ما صادف الفهد الذى كان جالسا أسفل إحدى الأشجار. فاتجه كابولوكو صوبه مباشرة، وتصنع كما لو أنه يمر بجانبه مصادفة. وعندما تشمم الفهد رائحة الطعام الزكية التى تفوح منه، أوقف كابولوكو سائلا:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إنى أحمل الطعام إلى الأسد، وأريد تقديمه إليه عربونا للصداقة.

عندئذ قال الفهد مقترحا:

- فلنبق هنا ونأكل معا هذا الطعام عربونا للصداقة بيننا.

رفض كابولوكو عرض الفهد قائلا:

- إنك تخدعنى وتريد أن تأكلنى.

رد الفهد:

- ما هذا الذى تقوله؟ لن آكلك فأنت صديقى!

كان الفهد قد سال لعابه وتحركت أمعاؤه من رائحة الطعام. فأعطاه كابولوكو قليلا من الطعام ليتذوقه وهو يقول:

- أيها السيد، إن مخالبك تثير الفزع لدى.

أخذ الفهد سكينا وقطع به مخالبه.

غير أن كابولوكو لم يعطه شيئا يأكله بعد ذلك، بل صاح قائلا:

- لا، لا، سوف أمضى لسبيلى أيها السيد، فإن لديك أسنانا تخيفنى وتجعلنى أرتعد من الرعب.

عندئذ أمسك الفهد بصخرة وحطم بها أسنانه.

لكن كابولوكو هتف قائلا:

- إن عينيك دمويتان وتجعلنى أرغب فى الفرار من فرط الرعب.

كان الفهد نهما للطعام بصورة كبيرة، فاستجاب لطلب كابولوكو، واقتلع عينيه. وعندما رأى كابولوكو أن الفهد يقف بالكاد على قوائمه، قام بقطع رأسه وسلخ فروته، ثم عاد إلى البيت.

وهكذا، مات الفهد بسبب خفة عقله ونهمه. وكرر كابولوكو فعلته هذه عدة مرات حتى حصل على فراء الفهود لكل من أطفاله.

عرف نجولونجو هذا الأمر فتملك الحسد منه. وقرر أن يقتل كابولوكو كي يحصل على ما لديه. لكنه لم ينجح فى تحقيق هذا الأمر. وعندما فقد الأمل فى قتل كابولوكو، قرر تقليد ما قام به الغزال الصغير. فذهب إلى الفهد، ووضع وجبة شهية بالقرب من أنفه قائلا:

- كل.

أخذ الفهد يلتهم الطعام، وطلب الظبى منه قائلا:

- والآن عليك إعطائى فراءك.

أصاب الذهول الفهد، فأمسك بالظبى والتهمه.

وهكذا، قتل الجشع والطمع الظبى نجولونجو.

لا ينبغى أن يصبح المرء نهما وأحمق مثل الفهد، ولا حسودا ولا غيورا مثل الظبى نجولونجو.

٩١ـ كابولوكو والفهد:

يحكى أنه فى أحد الأيام نادى الفهد على الغزال الصغير كابولوكو وقال له:

- هيا بنا نذهب لصيد ثعابين الماء.

ذهب الاثنان إلى الغابة، وبعد أن نالا قسطا من الراحة، أقاما كوخا صغيرا من أغصان النخيل.

قال الفهد لكابولوكو:

- اذهب واجلب بعض الماء كى نسلق نشيما[١].

كان الماء بعيدا للغاية. فرحل كابولوكو لجلبه، أما الفهد فخرج من الكوخ يتجول، وشاهد بالقرب منه جدولا من الماء. فرح الفهد وقام بجمع بعض الماء، وأعد به الطعام. وبعد أن أكل أطفأ النار وألقى بالحطب بعيدا، وجلس كما لو أن شيئا لم يحدث.

وصل كابولوكو أخيرا إلى الماء بعد أن أصابه التعب والإنهاك، فجمع منه ما استطاع، وسار فى طريق العودة. وعندما اقترب من الكوخ شاهده الفهد، فقام بفرد الحصيرة متظاهرا بالمرض. وجاء كابولوكو فقال الفهد له:

- عزيزى الغالى، أشعل النار وأعد لنا الطعام، فقد مرضت عندما صرت بمفردى فى أثناء غيابك، ولم أستطع فعل شىء.

صدقه كابولوكو، فأشعل النار ووضع فوقها الماء يسلق به نشيما. وعندما أصبح الطعام جاهزا اقترب الفهد من النار فاصطدم بالوعاء وسكب ما به.

---

(١) نشيما (Nshima) – وجبة طعام يتم إعدادها من حبوب الذرة أو دقيق الذرة. كانت نشيما – وما زالت – هى الأكلة الشعبية الأولى فى زامبيا، وترتبط هذه الأكلة بالعديد من الحكايات والروايات الشعبية والطقوس المتنوعة للضيافة والكرم والأغانى. (المترجم)

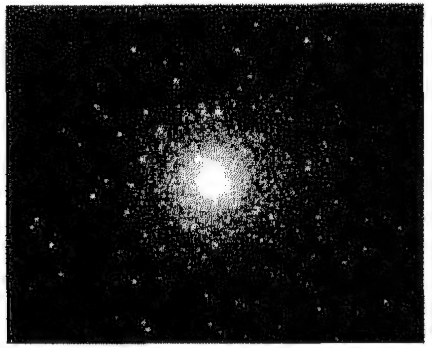
حزن كابولوكو حزنا كبيرا، وذهب للنوم جائعا.

فى اليوم التالى أرسله الفهد ثانية لجلب الماء. فقد أراد أن يظل كـــابولوكو جوعانا لفترة أطول.

ما إن رحل كابولوكو حتى كرر الفهد ما فعله فى الليلة الـــسابقة. واســـتمر الحال على هذا المنوال لسبعة أيام كاملة.

وصادف كابولوكو عجوزا ذات مرة. فقالت له المرأة العجوز:

- أتأتى إلى هنا لجلب الماء طوال هذه الأيام، بينما الفهد يعد الطعام ويأكله بمفرده؟ هناك جدول ماء بالقرب من الكوخ الذى تقيمـــان بـــه. ولكـــى تستطيع الأكل أنت الآخر سوف نقوم بالتالى: سوف أغطى جسمك كله بالنجوم حتى يخاف الفهد منك عندما يشاهدك مضيئا تتلألأ.



قامت المرأة العجوز بتغطية جسم كابولوكو بالنجوم، وألصقت القمر فـــوق جبينه.

عاد كابولوكو إلى البيت. وعندما شاهده الفهد تملكه الخوف دون أن يخطر بباله أنه هو نفسه رفيقه. واقترب كابولوكو من الفهد وسأله:

- أين كابولوكو؟

رد الفهد بصوت يرتجف من الخوف:

- لقد رحل كابولوكو لجلب الماء.

أمره كابولوكو بلهجة صارمة:

- هيا أعد لى الطعام على وجه السرعة!

أخذ الفهد الخائف فى سلق نشيما. وعندما هم بتناول مغرفة كى يقلب بها الطعام قال له كابولوكو:

- اترك المغرفة، وقلب الطعام بيديك.

وضع الفهد يديه فى الوعاء الساخن على النار.

أخذ الفهد فى البكاء والنحيب قائلا:

- لقد رحل كابولوكو تاركا إياى أعانى هنا بمفردى!

لم يدرك الفهد أن كل هذا الأمر أعده كابولوكو. وعندما بدأت نشيما فى النضج أراد الفهد تقليبها بالمغرفة مرة أخرى، لكن كابولوكو قال له:

- لا، قلبها بذيلك.

غمس الفهد ذيله فى الطعام المغلى، فاحترق الذيل على الفور.

وقال له كابولوكو آمرا:

- خذ ثعابين الماء التى لديك وأطهها لى مع الحساء، ولا تقترب من ثعابين كابولوكو.

اضطر الفهد لتنفيذ ما قيل له. واستمر كابولوكو فى إصدار الأوامر قائلا:

- والآن أرحل من هنا، واذهب بعيدا كى لا يرانى أحد وأنا آكل. ويمكنك العودة عندما تسمعنى أضرب على الطبل.

خرج الفهد بينما نزع كابولوكو النجوم من فوق جسمه عندما أصبح بمفرده، وشرع فى تناول الطعام. وعندما أكل حتى شبع وضع النجوم على جسده مرة أخرى وبدأ فى الضرب على الطبل.

ظهر الفهد لدى سماعه الصوت فقال له كابولوكو:

- حسنا، يمكنك البقاء، أما أنا فسوف أرحل.

وبعد أن ابتعد قليلا نزع كل شيء من حول جسمه كله، وعاد إلى الفهد حاملا الماء. وما إن اقترب حتى أخذ الفهد يقص عليه ما جرى:

- عزيزى، لقد حدثت معى اليوم أشياء غريبة. وأمرونى قائلين: "اسلق الطعام واطعمنا". وقد فعلت ما أمرت به. أترى كيف احترقت يداى؟

كاد كابولوكو أن يموت من الضحك، بينما واصل الفهد قائلا:

- فلنذهب غدا إلى البيت، وكفانا من هذه الثعابين التى اصطدناها هنا. فهناك شيء غريب يجرى هنا.

فى اليوم التالى قاما بجمع أغراضهما وانطلقا نحو البيت. وعندما وصلا إلى مفترق الطرق افترقا وذهب كل منهما فى طريقه.

وهنا لم يتمالك الفهد نفسه وصرخ قائلا:

- كابولوكو، أتعرف إنى كنت أخدعك؟! لقد كنت أعد الطعام فى أثناء غيابك ولا أترك لك شيئا!

صاح كابولوكو ضاحكا:

- هاهاها! وما الذى جرى ليديك؟! لقد كنت أنا الذى فعل بك هذا الأمر.

ثار الفهد ثورة عارمة عندما سمع ما قاله كابولوكو. وقرر فى المساء الذهاب إلى كابولوكو وقتله. أما كابولوكو فقابل بعض النسوة اللاتى كن يصطدن القريدس (الجمبرى) فى أثناء عودته إلى البيت، فأخذ واحدة من الجمبرى وبعضا من الطعام. ووضع كل هذا على الطريق الذى يمر منه الفهد. وعندما كان الفهد فى أوج ثورته الغاضبة شاهد كابولوكو فصاح به:

- آه، أنت هنا إذًا!

رد كابولوكو فى هدوء:

- الأفضل لك أن تنظر جيدا إلى هنا أيها الصديق.

نظر الفهد فشاهد الطعام وسأل:

- من أين حصلت على كل هذا يا عزيزى؟

- اقترب منى أكثر كى أقص عليك.

اقترب الفهد منه وقال كابولوكو:

- اذهب واطلب أن يربطوا أقدامك، ثم اتركهم يلقون بك فى الماء، وحينئذ سوف تحصل على كل شيء.

قاموا بتلبية طلب الفهد، فربطوه وألقوا به فى الماء. وعندما أوشك على الغرق أنقذوه من الموت. فقرر على الفور فى حسم:

- سوف أقتل كابولوكو غدا!

فى اليوم التالى خرج الفهد وشاهد كابولوكو يصيد الجراد، ثم يقوم بتحميره ووضعه على الطريق. وعندما هم بالإمساك بكابولوكو سأله الأخير:

- أيها العم، هل تعرف ما هذا؟

- من أين حصلت عليه؟

- خذ وعاءً واذهب إلى أكثر الأحراش كثافة واطلب منهم أن يحرقوا الغابة، وسوف تشاهد الجراد وهو يقفز بسرعة إلى الوعاء على الفور.

صدق الفهد وفعل ما قاله كابولوكو. وشاهده الجميع وهو يقفز ويتأرجح بين ألسنة اللهب. وأخيرا استطاع الفرار بعد أن اكتسى بالحروق. وقرر الفهد صارخا:

- غدا لن تشرق الشمس على كابولوكو!

في فجر اليوم التالى ذهب إلى كابولوكو وشاهده يجمع العسل فى زجاجـــة. وعندما اقترب منه قال له كابولوكو:

- تذوق من هذا الذى جمعته.

تذوق الفهد من العسل وسأل:

- من أين لك هذا؟

عندئذ أعطاه كابولوكو وعاءً مملوءًا بالنحل وقال له:

- اذهب واطلب منهم أن يغلقوا عليك البيت، ثم اضرب بقـــوة علـــى هـــذا الوعاء، وسوف تحصل على العسل.

فعل الفهد ما قاله كابولوكو. وهجم النحل عليه ولدغه. ففر مسرعا من البيت وهو يرتجف من شدة الغضب ويصيح: "لن يعيش كابولوكو حتى الغد!"

كان كابولوكو فى ذلك الوقت قد حفر حفرة واختبأ بها عدا رأسه التى ظلت خارجها. وعندما جاء الفهد سأله:

- أين كابولوكو؟

- لقد ذهب كابولوكو لشرب بعض نبيذ البلح مع نفيدى موكولـــو[1]، ولـــم يترك فى البيت سوى رأسه.

ما إن سمع الفهد هذا الكلام، حتى عاد مسرعا إلى البيت وقال لزوجاته:

- إن كابولوكو الخبيث ذهب لزيارة نفيدى موكولو بنفـــسه فلتقطعـــوا لـــى رأسى لأنى أريد مشاهدة نفيدى موكولو أنا الآخر.

أخذت الزوجات تحاولن إقناعه وإثناءه عن طلبه:

- أيها الأحمق إنك سوف تموت!

---

(١) نفيدى موكولو- هو روح الأسلاف.

لكن الفهد أصر على طلبه:

- هيا اقطعوا رأسى كما قلت لكم!

قامت الزوجات بقطع رأسه. ومات الفهد نتيجة غبائه. وتملك الغضب الشديد الزوجات على كابولوكو.

٩٢ـ كابولوكو والفهد وإجوانا:

يحكى أنه ذات مرة خرج الغزال الصغير كابولوكو مع الفهد يتجولان فـــى بلاد الله خلق الله. واصطحبا معهما عنزة وجديا. وشاهدا فى أثناء سيرهما شـــجرة نامية على الطريق، فطلب الفهد من كابولوكو:

- تسلق هذه الشجرة واقطف لنا بعض الثمار منها لنأكلها.

وظل الفهد أسفل الشجرة مع الحيوانين.

أخذ كابولوكو يقطف الثمار ويقذف بها على الأرض، ويقطف ويقذف لأســفل. وسقطت بعض الثمار على ظهر عنزة كابولوكو التى وضعت عنزة وجديا على الفور.

هتف الفهد قائلا:

- عزيزى كابولوكو، إن جديى قد أنجب!

قهقه كابولوكو ضاحكا:

- لم ير أحد حتى الآن أن الجدى يمكنه الإنجاب! وإذا بهذا الأمر يحدث اليوم!

غضب الفهد وقال:

-ما الذى تقوله أيها المتخلف؟ التزم الصمت وإلا لطمتك وأخرستك!



هبط كابولوكو من فوق الشجرة، وذهب الاثنان يبحثان عن أحد يحل النزاع القائم بينهما. وصادفا الظبى نجولونجو فسألاه:

– نجولونجو، هل يلد الجدى أم لا؟

رد نجولونجو:

– نعم، نعم إن الجدى يلد.

هتف الفهد بكابولوكو:

– أرأيت؟ لقد صدق ما قلته لك!

واصل الاثنان طريقهما حتى قابلا الظبى لوسومبى. فسأله الفهد:

– لوسومبى هل تلد العنزة ؟

رد لوسومبى بثقة:

– لا، لا إن الجدى هو الذى يلد.

صاح الفهد:

– حسنا يا كابولوكو، لقد انتهى أمرك وسوف أقضى عليك اليوم.

سارا الاثنان وسارا حتى صادفا الظبى تشينتو مبيندى فسأله الفهد:

– عزيزى تشينتو مبيندى! هل يمكن للعنزة أن تلد؟

– لا، إن الجدى فقط هو الذى يلد.

صاح الفهد مجددا:

– هل سمعت بأذنيك؟ أرأيت صدق ما قلته؟

عندئذ قرر الاثنان الذهاب إلى الظبية إجوانا التى كانت تعمل بالبيت على إعداد زيت النخيل، فتوجه الفهد إليها مباشرة وقال:

– هل تنجب العنزة؟

دعتهما إجوانا إلى الجلوس قائلة:

- تفضلا واجلسا.

جلس الضيفان بينما قامت إجوانا بتقديم المكسرات إليهم. وأعطت أفضله إلى كابولوكو وأسوأه إلى الفهد. وبعد أن أكلا قالت إجوانا:

- والآن يمكنكم أن تحكوا لى عن الأمر.

نهض الفهد قائلا:

- إجوانا، هل يمكن للعنزة أن تلد؟

ردت إجوانا فى هدوء:

- إن العنزة فقط هى التى يمكنها الإنجاب أما الجدى فلا يمكنه أن يلد.

هجم الفهد على إجوانا بعد سماعه قولها، لكنها لم تتراجع بل أمسكت بفم الفهد الذى تراجع متألما وقال:

- اتركينى يا إجوانا. إن كابولوكو على حق. والعنزة والجدى الصغيران يعودان إليه.

بعد ما سمع كابولوكو اعتراف الفهد أمسك بعنزته وصغيريها وفر مسرعا.

٩٣ـ لماذا لا يهجم الفهد على إجوانا؟

زرع الفهد شجرة فاكهة ترعرعت وطرحت ثمارها. وذات مرة سار بالقرب من الشجرة الغزال الصغير كابولوكو. فاقترب كابولوكو وقطف منها بعض الثمار التى التهمها، ثم حمل معه أربعا منها كى يعطيها للظبى. وعندما تذوق منها الظبى أعجبه مذاقها وقال:

– عزيزى كابولوكو، أرنى المكان الذى تنمو به هذه الثمار الرائعة.

سأله كابولوكو:

– هل أعجبك مذاقها؟

– نعم، نعم!

– إذاً، فلنذهب غدا إليها معا.

فى اليوم التالى ذهب الظبى إلى كابولوكو، وانطلقا معا على الطريق. وعندما وصلا شاهدا الشجرة تفيض بالثمار اليانعة الناضجة، فقال كابولوكو للظبى:

– ما إن أهتف قائلا: "اقذف بى إلى الحفرة!" عليك أن تلبى طلبى على الفور.

تسلق الاثنان الشجرة وشرعا فى العمل. وفجأة شاهد كابولوكو الفهد يسير. فصاح على الظبى:

– اقذف بى إلى الحفرة!

قذف الظبى رفيقه إلى الحفرة، ثم شاهد الفهد يقترب منه. وسأل الفهد:

– من هناك بالأعلى؟

رد الظبى:

- إنه أنا الظبى.

انقض الفهد على الظبى ومزقه إربا.

أما كابولوكو فصاح من مكانه قائلا:

- أيها العم، لقد جئت إليك أطلب منحى بعض الثمار وقليلا من الأوراق.

رد الفهد:

- أيها العزيز كابولوكو، انظر لما فعلوه بمحصولى من الثمار. لقد نجحت فى الإمساك بلص واحد منهم، وينبغى إخراج أحشائه.

- أيها السيد، ليس من المعقول أن تنشغل بهذا الأمر التافه.

- إذًا فلتقم أنت بهذا الأمر.

أخذ كابولوكو سكينا وحذر الفهد قائلا:

- انتبه أيها العم، إن لحم هذا الحيوان سريع التلف.

ظل كابولوكو يعمل طويلا، وعندما انتهى لطخ اللحم بالقاذورات والسباخ. ولم ير الفهد شيئا مما فعله. وأخيرا ذهب كابولوكو إلى الفهد وسأله:

- أيها العم، ما الذى سوف نفعله باللحم؟ إن رائحته تثير الغثيان! ومن المؤكد أن اللحم قد فسد بالفعل!

تشمم الفهد رائحة اللحم التى كانت مقززة بالفعل فقال:

- أعط هذا اللحم لكلبك كى يأكله.

صاح كابولوكو مذكرا:

- أيها العم، أين الثمار التى طلبتها منك؟

أعطى الفهد الثمار له.

وهكذا، ذهب كابولوكو عدة مرات مع العديد من الحيوانات إلى الشجرة المثمرة، وكان الفهد يمسك بهم جميعا.

وذات مرة دعا كابولوكو الظبية إجوانا:

- فلنذهب إلى الفهد من أجل ثمار الفاكهة.

وافقت إجوانا، وذهبا معا إلى الشجرة المثمرة. فقال كابولوكو كعادته:

- ما إن تسمعى عبارتى وأنا أقول: "ألقى بى إلى الحفرة"، حتى تفعلى هذا على الفور.

ردت إجوانا:

- حسنا.

وعندما شاهد كابولوكو أن الفهد يقترب منهم صاح قائلا:

- هيا اقذفى بى بسرعة كى أرتب نفسى.

لكن إجوانا قالت:

- انتظر.

فتعجلها كابولوكو هاتفا:

- هيا أسرعى.

فأجابت إجوانا:

- رتب نفسك هنا.

وهنا سأل الفهد:

- من هناك بالأعلى؟

همس كابولوكو لإجوانا:

- أجيبي وقولي: "إنه أنا إجوانا". فمن المحظور عليَّ أن أعرف نفسي لأن الفهد عمي. فاهتفي أنت وقولي: "إنه أنا إجوانا".

لكن إجوانا أجابت على الفهد قائلة:

- إننا نحن هنا.

سأل الفهد:

- وكم عددكم؟

أجابت إجوانا:

- اثنان، إجوانا وكابولوكو.

هتف الفهد آمرا:

- اهبطا إلى هنا!

ردت إجوانا:

- انتظر فنحن مشغولان في التهام الطعام.

وهنا قفز الفهد فوق الشجرة وهجم على إجوانا التي هاجمته هي الأخرى. واحتدم الصراع بينهما، وتبين أن إجوانا هي الأقوى، فاستطاعت قتل الفهد. ومنذ ذلك الحين امتلكت شجرة الفهد المثمرة.

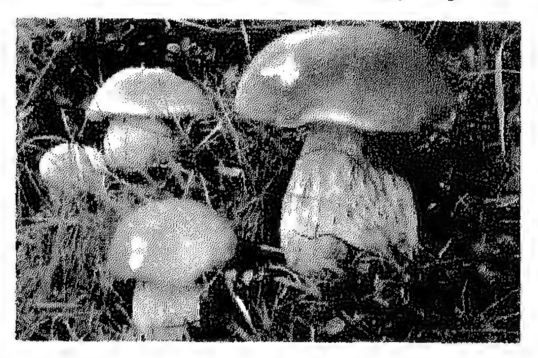


وهكذا، ظل هذا الحال إلى وقتنا هذا، وما زالت الشجرة قائمة هناك، والفهود لا تهاجم إجوانا أينما تشاهدها. وكلما ظهرت إجوانا يفر الفهد هاربا منها قائلا في نفسه: "إن إجوانا يمكنها قتلي مثلما قتلت سلفي!".

٩٤- إجوانا والفهد:

خرجت الظبية إجوانا ذات مرة إلى الغابة لجمع الفطر والجنادب. وبينما كانت تسير شاهدت فطرا ناميا. كان الفهد قد شاهد نفس الفطر من قبل وقرر قطفه فى الصباح التالى. كان هذا الفطر يسمى "ماتوبوتوبو". وجاءت إجوانا فقطفت الفطر ورحلت. وفى منتصف اليوم وصل الفهد ولم ير الفطر، فثار غاضبا وصاح:

- آه لو أمسكت بمن سرق فطرى! سوف ألتهمه بدلا من الفطر!



وهنا شاهد فطرا آخر ضخما مثل الأذنين، فقام بقطفه، ثم حفر حفرة رقد بها، وحمل الفطر بين أسنانه منتظرا ظهور اللص وهو يفكر فى نفسه: "ما إن يقترب من الفطر حتى أمسك به على الفور".

ولكن عندما ظهرت إجوانا وشاهدت أرضا خصبة حمراء فكرت: "يا للعجب! إن هذه الأرض لم تكن موجودة بالأمس! فمن أين ظهرت اليوم يا ترى؟" وحملت عصا وأخذت تضرب بها الفطر حتى حطمت أسنان الفهد الراقد فى الحفرة. قفز الفهد وفر هاربا وهو يصرخ. وعندما وصل إلى البيت أخذ يحكى ما جرى:

- لقد حطمت إجوانا أسنانى، فهيا نفعل التالى: نبدأ فى الغناء والرقص الآن، وعندما تجىء إجوانا نقوم بالتهامها.

بدأ الفهد فى الغناء مرددا:

عندما نمسك بكِ يا إجوانا فسوف نلتهمك.

لأنكِ حطمتِ أسنان الزعيم!

سوف نمسك بإجوانا ونلتهمها،

إجوانا حطمت أسنان الزعيم!

سوف نمسك بإجوانا ونلتهمها،

إجوانا حطمت أسنان الزعيم!

سمعت إجوانا الأغنية فتملكها الرعب: "من يمكنه أن يخفينـــى عـــن الأعـــين؟" ومضت تبحث عن أحد يساعدها حتى صادفت عجوزا وافقت أن تخفيها، ووعدتها قائلة:

- لو أعطيتنى دجاجتين من الدجاج الأبيض، فسوف أخفيكِ بمكان لا يخطر ببال أحد، ولا يمكن لأحد أن يراكِ به.

أحضرت إجوانا الدجاج إلى العجوز، التى قامت بإخفائهـــا داخـــل الوعـــاء الخاص بها ووضعت الوعاء أسفل إبطها.

وعندما سمعت صوت الطبل ذهبت مباشرة إلى مصدره وهى تغنى:

لدى شىء ما هنا،

لدى شىء ما هنا.

عندما سمعوها سألوا قائلين:

- ماذا هناك؟

ردت عليهم قائلة:

- إجوانا تجلس داخل إنائى.

- رائع! ها هى قد وقعت!

رفعوا غطاء الإناء حيث كانت هناك إجوانا بالفعل. فصاحوا قائلين: "الموت لإجوانا!" عندئذ قالت إجوانا:

- لو قمتم بقتلى على الأرض فلن أموت، ولكن لو قتلتمونى أعلى تلك الشجرة النامية فوق الماء فسوف أموت على الفور.

ذهبوا إلى الماء، وألقوا إجوانا لأعلى كى تصطدم بالشجرة النامية فى قلب الماء. وهنا اختفت إجوانا فى الماء. ومنذ ذلك الحين وهى تعيش فى الماء.

٩٥ـ الفهد والأسد وإجوانا:

يحكى أنه ذات مرة سأل الأسد الفهد:

- من فى عالم الوحوش ذائع الصيت مثلنا؟

رد الفهد:

- أنا وأنت فقط.

عندئذ قال الأسد:

- فلتأخذ الطبل وتضرب عليه.

- وماذا أضرب عليه؟

- اضرب وغن على هذا النحو: "لا يوجد فى الغابة سوى اثنين من الجبابرة، هما الأسد والفهد، ونريد معرفة ذلك الذى يجرؤ على منافستنا".

وهكذا، ظل الاثنان يضربان على الطبل لأيام بأكملها.

واجتمعت الوحوش ذات مرة وقالت:

- ما معنى تلك الأصوات التى يصدرونها؟

رد كابوندى[1] عليهم قائلا:

- إنهما الأسد والفهد يضربان على الطبل ويغنيان: "نود لو نعرف إن كان هناك أحد مشهور مثلنا".

---

(١) كابوندى- هو حيوان صغير طويل الظهر يشبه فى حجمه الهرة البرية، ذو فراء أحمر اللون. وهو من الشخصيات الرئيسية فى الفلكلور الشعبى.

اعترت الدهشة الوحوش وقالوا:

- ألسنا مشهورين مثلهما؟

ضحك كابوندى لدى سماعه ما قالوه وصاح:

- يوجد من بينكم السيد الجاموس، وغيره من السادة الوحوش المحترمين، فمن الذى يعير هذين المتكبرين اهتماما؟

ردت الوحوش التى توجه إليها بحديثه كابوندى:

- لو أنك تعد نفسك قويا بما فيه الكفاية، فلتصنع طبلا وتضرب عليه أنت الآخر.

أجاب كابوندى:

- أتخافون وأنتم ضخام الحجم؟ وتطلبون منى أنا الصغير!



كانت إجوانا هى الوحيدة التى لم تعرف شيئا عن هذا الأمر. لكنها سمعت ذات مرة ثناء الفهد على نفسه وهو يقول: "لا يوجد فى الغابة سوى اثنين من الجبابرة، هما الأسد والفهد، ونريد معرفة ذلك الذى يجرؤ على منافستنا". فصاحت إجوانا:

- كيف جرؤ هذان الرفيقان على الغناء على هذا النحو؟! احضروا لى طبلا!

وأخذت إجوانا تضرب على الطبل وتغنى: "لا يوجد فى الغابة سوى ثلاثة من الجبابرة، هم الأسد والفهد وأنا - إجوانا".

سمع الفهد غناء إجوانا فقال:

- إنى أضرب على الطبل منذ وقت طويل، ولم يجرؤ أحد أن يقبل التحدى حتى هذا الوقت. ولكن يبدو أن أحدا ما قد قبل التحدى اليوم.

وخرج من الأحراش فشاهد إجوانا فسألها:

- من الذى يضرب على الطبل هنا؟

أجابت إجوانا:

- أنا.

هجم الفهد على إجوانا التى انقضت عليه هى الأخرى. وتصارع الاثنان طويلا. وانتصرت إجوانا على الفهد.

نهض الفهد من على الأرض منكس الرأس، وعاد إلى بيته. وحمل الطبل وصار يضرب عليه ويغنى: "هناك ثلاثة جبابرة فى الغابة: الفهد والأسد والسيدة المحترمة إجوانا".

٩٦- لماذا تعيش إجوانا فى الماء فقط؟

ذات مرة قام نزاع بين الجاموس والتمساح، فيقول أحدهما:

- إن إجوانا شقيقتى.

ويؤكد الآخر:

- إن إجوانا شقيقتى أنا.

وذهبت إجوانا ذات مرة إلى الجاموس فى ضيافته، ثم خرجا معا للحصول على المكسرات، وشاهدا فرعا تنمو عليه الثمار الناضجة، فقال الجاموس:

- عزيزتى إجوانا، أترين هذا الفرع؟ إن بوسعك الوصول إليه وإحضاره.

ردت إجوانا:

- إذًا، انتظر هنا.

وتسلقت الشجرة وقطعت الفرع، ثم ألقت به مع السكين إلى الأرض. وعندما همت بالهبوط من فوق الشجرة وطأت بأقدامها على فرع جاف فجأة، فسقطت وهوت إلى الأسفل. وعندما سقطت تظاهرت بالموت. وفكرت وهى راقدة: "فلننظر إن كان الجاموس شقيقا لى حقا".

ظن الجاموس أن إجوانا قد ماتت بالفعل، وفكر قائلا فى نفسه:

- "فلأسلخ جلد إجوانا من الذيل، كى أغلف به تميمتى". وما إن اقترب من الذيل حتى عطست إجوانا:

- آتس! يا للهول! إنهم يريدون سلخ جلدى منى، أنا إجوانا الميتة! فيا للهول!

تملك الذهول والرعب من الجاموس، بينما عادت إجوانا إلى البيت وقالــت لزوجها:

- فلنذهب إلى التمساح فى الماء. كنت أظن أن الجاموس شقيقى، لكن ظنى خاب.

ذهب الاثنان إلى التمساح فى الماء، والذى كان سعيدا للغاية.

مر شهر وقال التمساح مقترحا:

- فلنذهب للحصول على المكسرات.

انطلق الاثنان إلى الغابة. وتسلقت إجوانا أعلى قمة فى الشجرة، وتعثــرت ووقعت على الأرض متظاهرة بالموت وصاح التمساح قائلا: "يا للمــصيبة!"، ثــم حمل سكينا وأراد قتل نفسه من فرط حزنه عليها. وهنا قفزت إجوانا وهتفت:

- إن التماسيح هى إخوتى فى واقع الأمر، ولن تكون هناك علاقــة بينــى وبين أى أحد آخر غيرهم طوال الدهر. وسوف أبقى هنا فى الماء. ولن يعيش أبنائى ولا أبناء أبنائى بين الوحوش التى تحيا على الأرض.

لهذا السبب لا يمكنكم مشاهدة إجوانا إلا فى الماء فقط. فهل صادفتم إجوانــا تولد أو تعيش على الأرض؟ أبدا أبدا!

٩٧ـ الفيل وكاتيندى:



جلس الفيل يرتاح فى الظل فشاهد كاتيندى[١] زعيم الطيور. وقام كاتيندى بتحيته قائلا:

- مرحبا أيها الفيل ذو النابين!

رد الفيل:

- مرحبا يا زعيم الطيور.

صاح كاتيندى:

- أيها السيد الفيل، أريد أن أقترح عليك شيئا ما.

- تفضل وقل، فأنا أستمع إليك.

- أريد عرض صداقتى عليك.

- إن الصداقة أنواع كثيرة. فأى منها تعرضها على؟

- أعرض عليك تلك الصداقة التى تجعل كلا منا يمنح الآخر الهدايا.

وافق الفيل، فقال كاتيندى:

- فلتمنحنى إذاً شيئا ما علامة للصداقة بيننا كى أرحل بها. وأقترح عليك أن تعطينى قطعة من جلد ظهرك كعلامة لتلك الصداقة.

---

(١) كاتيندى – هو طائر يسمى بالملك الصغير، وباللاتينية: ***Regulus***، وهو طائر مغرد صغير ينتشر فى أفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية (انظر الصورة). (المترجم)

عرض الفيل ظهره أمام كاتيندى وأعطاه سكينا قائلا له:

– اقطع الجزء الذى تريده.

قطع كاتيندى من ظهر الفيل السميك شريطا كاملا يمتد من الرقبة حتى آخر الذيل. وعندما قام بوداع صديقه قال الفيل له:

– حسنا، فلترحل الآن، وبعد مرور عشرين يوما سوف آتى لزيارتك.

وصل كاتيندى إلى البيت، وقام بسلق قطعة الجلد بأكملها مع زوجته، والتهمها الاثنان حتى آخرها!

بعد مرور عشرين يوما قرر الفيل الذهاب إلى كاتيندى لزيارته. وخطر ببال كاتيندى فكرة قالها لزوجته بلهجة آمرة:

– انزعى كل الريش من على جسمى.

نزعت الزوجة كل الريش بحرص حتى آخر ريشة. وطلب منها كاتيندى:

– والآن ادهنى جسمى كله.

وعندما انتهت الزوجة من دهن الجسم قال لها:

– أعطى الفيل هذا الريش عندما يأتى إلى هنا وأخبريه: " لقد طلب صديقك أن تحمل هذا الطفل تحت حماية تعويذتك".

جاء الفيل فجلس وسأل:

– أين ذهب كاتيندى؟

أعطت الزوجة للفيل ما طلبه منها الزوج. فقال الفيل:

– إذا، فلنذهب إلى بيتى.

انطلق الفيل إلى الطريق ومعه زوجة كاتيندى حاملة الطفل المزعوم.

وفى أثناء ذلك الوقت أخذ ريش كاتيندى فى النمو ثانية. وعندما عادت زوجته قال لها:

- اذهبى بى إلى الفيل واتركينى لديه، ثم اخرجى لجلب الماء. وسوف أهرب منه وآخذ معى ديكا من البيت وأريه للفيل قائلا له: "هأنا قد أحضرت لك ديكا، ولكنى لن أعطيك إياه بعد أن فقدت طفلى وانتهت بذلك صداقتنا".

ذهبت الزوجة حاملة كاتيندى إلى الفيل وقالت له:

- احمل طفلى أيها الوالد ريثما أجلب الماء كى أنظفه به.

حمله الفيل كاتيندى الذى أخذ فى البكاء. ولم يستطع الفيل تهدئته فوضعه فوق كتفه. وفى نهاية الأمر زحف "الطفل" من فوق كتفه وسقط فوق العشب. وأخذ الفيل يبحث عنه دون جدوى. فجلس يجتر حزنه عليه بينما كان كاتيندى قد ابتعد عن المكان.

عادت زوجة كاتيندى حاملة الماء، وقالت للفيل:

- أيها الوالد أعطنى الطفل كى أغسل جسمه.

رد الفيل:

- لقد فقدته أيها الأم، وسقط منى بين الأعشاب هنا، ولم أستطع العثور عليه. ولكن ربما عاد إلى البيت.

أخذت زوجة كاتيندى فى البكاء عندما سمعت قول الفيل.

سرعان ما وصل كاتيندى، ومن خلفه سار الأربعة حاملين سلة ضخمة بها ديك كبير يصيح مثل الخنزير.

جاء كاتيندى وقال لصديقه:

- أخبرنى، لماذا تبكى هذه المرأة؟

اضطر الفيل لشرح الأمر برمته، فقال كاتيندى عندئذ:

- إنها نهاية صداقتنا. لقد أحضرت إليك ديكا كبيرا عربونا للصداقة، والآن لن أعطيك إياه ثانية بعد أن سببت لى مثل هذا الحزن وجعلتنـــى أفقــد طفلى.

وقال لزوجته:

- توقفى عن البكاء أيتها الحمقاء ولنذهب إلى البيت، وهيــا أيهــا الرفــاق احملوا الديك واذهبوا جميعا إلى البيت.

٩٨ـ كابومبو والوحوش:

ذات مرة اجتمع كابومبو[١] بجميع الوحوش وقال:

- ليس من بينكم أحد يمكنه التهام الطعام أكثر منى. فقد شبعتم جميعا، أما أنا فسوف أظل آكل وآكل وآكل.

عندئذ نهض الأسد وقال:

- أستطيع التبارى معك فى هذا الأمر.

بدأ الاثنان فى الأكل، وظلا يأكلان طويلا حتى توقف الأسد، واستمر كابومبو فى التهام الطعام كما لم يأكل من قبل.

حينئذ نهض الفهد قائلا:

- إذا كان الأسد قد فشل فسوف أنجح أنا.

لكن الفهد سرعان ما استسلم أمام منافسه، ولم ينجح أحد فى التهام الطعام أكثر من كابومبو.

وعندما خرجت الوحوش الضخمة من اللعبة نهض الجدى وقال:

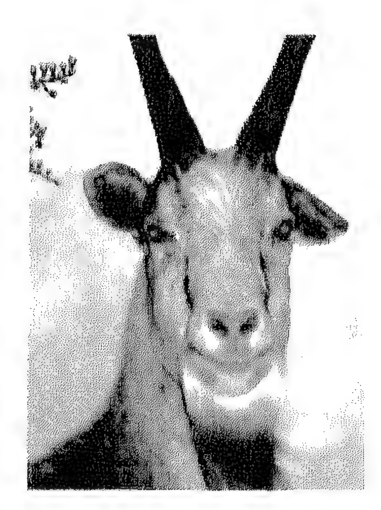
- أتسمح لى أن أجرب حظى أيها السيد كابومبو؟ فربما يمكننى هزيمتك.

رد كابومبو:

- حسنا، فلتجرب حظك. ولكن جميع الوحوش الكبيرة لم تتمكن من هزيمتى، فهل بوسعك أنت التغلب على؟

---

(١) كابومبو- أحد الأسماء التى تطلق على الفيل فى الفلكلور الشعبى.



طلب الجدى قائلا:

- أرجو أن تمنحنى الفرصة لأجرب على أية حال.

بدأ الاثنان يتباريان فى التهام الطعام. وانتصف النهار والجدى ما زال يواصل المضغ. واستمر الحال حتى حلول المساء والجدى لم يستسلم بعد. وعندما هبط الليل وحان وقت الذهاب إلى البيت قالت الوحوش:

- كفاكم، لقد حل وقت النوم، ويمكنكم المواصلة غدا، فاذهبا للنوم فى الكهف حتى الغد. فقد التهمتم ما يكفى من الطعام لإغراقنا به جميعا.

رحل الاثنان وظلت الوحوش هناك.

نام كابومبو والجدى. واستيقظ كابومبو فى الليل على صوت مضغ الجدى. فاعترته الدهشة وتساءل فى نفسه: "ما الذى يمكن مضغه فى هذا الكهف غير الصخور؟" وسأل كابومبو الجدى:

- أما زلت تأكل؟

أجاب الجدى:

- فلتنهض وتأكل أنت الآخر. ألم تقل بنفسك أن أحدا لا يمكنه تناول الطعام أكثر منك؟ فلماذا توقفت إذاً؟

وهنا فكر كابومبو فى نفسه: "ما دام هذا الرفيق يمضغ الصخر، فما الذى يمنعه من التهامى أنا الآخر؟".

وما أن قفزت تلك الفكرة فى رأسه حتى فر هاربا من الكهف، وذهب للنوم بعيدا عن الجدى.

وفى الصباح التالى عثرت عليه الوحوش فسألته:

- ألنت هنا يا كابومبو منذ الصباح الباكر؟ ما الذى منعك من النوم هناك؟

رد كابومبو:

- لقد ذهبنا بالأمس إلى هناك حيث أشرتم إلينا. وعندما رقدنا للنوم استيقظت على صوت مضغ الجدى، فسألته: "هل تأكل فى الليل أيضا؟"، وأجابنى: "وما الذى تظنه؟ فلتنهض وتأكل أنت الآخر، فلا ينبغى أن تنام بعد أن دعوتنى للتنافس معك فى الأكل، وبما أن المكان هنا خال من العشب فأنا أقرض الصخور". وبعد أن قال عبارته هذه حتى فكرت فى نفسى: "آخ! عندما ينتهى من التهام الصخور فسوف يأكلنى بأنيابى ويبتلعنى فى جوفه". ولهذا السبب خرجت من الكهف وقضيت الليل هنا.

ضحكت الوحوش مقهقهة وقالت:

- لقد تباريت معنا، وتفاخرت بنفسك حتى استطاع الجدى هزيمتك رغم ضخامتك وأنيابك. ومن الآن فصاعدا سوف نطلق عليك اسم الفيل، ونمنح اسم كابونبو إلى الجدى ونطلق عليه - الجدى كابونبو.

وهكذا، انتهت المباراة، وتفرق الجميع إلى بيوتهم.

٩٩ـ كيف انتصر الديك على الضبع؟



تصادق الضبع مع الديك. وذات مرة أعد الضبع الجعة، ودعا الديك لزيارته. وشرب الاثنان من الجعة. وبعد ذلك قام الديك هو الآخر بإعداد الجعة، ودعا الضبع ليحل ضيفا عليه. وشرب الاثنان من جعة الديك، ثم قام الضبع بإعداد الجعة ثانية ودعا الديك لشربها معه. وقال الديك وهو يغادر بيت صديقه: -

- فلتحضر إليَّ غدا كى نحتسى الجعة معا.

وفى البيت قال الديك لزوجته:

- عندما يحضر الضبع غدا أخبريه بأنكِ قطعتى رأسى، وقد ذهبت الرأس لشرب الجعة، وذلك حتى لا يظل الضبع جالسا عندنا.

جاء الضبع فى الصباح إلى البيت وهتف قائلا:

- مرحبا أيها الديك!

لم ينطق الديك بأى صوت وقالت الزوجة:

- لقد قطعت رأسه! وذهبت الرأس لشرب الجعة، أما الجسم فقد ظل هنا بمفرده. فانتظر حتى تعود الرأس.

جلس الضبع وطالت جلسته، ثم أخرج الديك رأسه من أسفل جناحيه ونفضها كما لو أنه يضعها بمكانها، ثم قال:

- مرحبا أيها الضبع!

- مرحبا أيها الديك!

- متى حضرت؟

- لقد جئت منذ وقت طويل، وجلست بانتظارك.

- لقد أمرت زوجتى بقطع رأسى حتى يمكنها الذهاب لشرب الجعة.

وجلس الاثنان يحتسيان الجعة مرة أخرى.

رحل الضبع بعد ذلك إلى البيت وأعد الجعة، ثم أرسل دعوة إلى الديك يقول فيها: "احضر إلى غدا لشرب الجعة".

جاء الديك فى اليوم التالى، واحتسى الاثنان الجعة، ثم دعى الضبع قائلا:

- احضر لزيارتى غدا!

رقد الضبع للنوم، ثم ذهب فى الصباح إلى الديك، حيث رآه بلا رأس ثانية.

قالت زوجة الديك:

- لقد قطعت رأس الديك حتى يمكنها الذهاب لشرب الجعة.

جلس الضبع لبعض الوقت، ثم أخرج الديك رأسه فوضعها فى مكانها قائلا:

- مرحبا أيها الضبع!

- مرحبا أيها الديك! من أين حضرت رأسك؟

- لقد ذهبت لشرب الجعة، وها هى عادت لتوها. إن السير مع الجسم يمثل عبئا على، لذلك أمرت زوجتى بقطع رأسى كى تذهب وتعود مسرعة وهى خفيفة الوزن.

وجلسا معا مرة أخرى يشربان الجعة، ثم قال الضبع:

- ما زال لدى بعض الجعة، فاحضر إلى غدا!

رحل الضبع، وعندما وصل إلى بيته قال لزوجته:

- اقطعى رأسى بالسكين، وعندما يحضر الديك غدا أخبريه أن رأسى قد ذهبت لشرب الجعة وسرعان ما تعود.

فى الصباح أحضرت زوجة الضبع سكينا وقطعت به رأسه التى هوت على الأرض.

وصل الديك وقال:

- مرحبا أيها الضبع!

لم ينطق الضبع بكلمة.

- مرحبا أيها الضبع!

ظل الضبع ساكنا وقالت زوجته للديك:

- أخ. أخ! لقد أمرنى زوجى بقطع رأسه كى تذهب لشرب الجعة. ونفذت ما طلبه وقطعتها. وها هى الرأس راقدة على الأرض هنا ولم تذهب لأى مكان!

- لقد قتلت صديقى العزيز! وسوف أضربك بفعلتك هذه!

صرخت زوجة الضبع مولولة:

- ما الذى على فعله الآن؟!

أمرها الديك قائلا:

- هيا انهضى ولنذهب إلى بيتى!

أخذ الديك زوجة الضبع وضمها لزيجاته.

والآن إليكم هذه الكلمات الطيبة. ربما تحلمون بالزواج من بقرة، بينما أحلم أنا بالزواج من العنزة، وفى النهاية فكل منا يحلم بما يحلو له.

١٠٠ـ اللبؤة والبقرة والديك:

فى قديم الزمان كانت اللبؤة تصادق البقرة. وعاش الاثنان فى سلم ووئام، حتى وضعت البقرة عجلا صغيرا، ووضعت اللبؤة شبلا. وخرج الوليدان إلى العالم وترعرعا معا فى نفس الوقت، وصارا يلهوان ويلعبان معا.



وذات مرة كان العجل الصغير يلعب مع رفيقه الشبل، فرفسه العجل دون قصد رفسة أدت لموته. لم تكن اللبؤة بالقرب من المكان عندما جرى هذا الأمر، فقد خرجت إلى الصيد. وعندما شاهدت البقرة تلك المصيبة التى وقعت أصابها الذعر لمصير صغيرها وهى تقول فى نفسها: "ما الذى سوف تفعله اللبؤة معه بعد عودتها من الغابة؟".

قالت البقرة للعجل الصغير:

– ما الذى سوف نفعله الآن؟ لقد قتلت شبل اللبؤة دون قصد منك، وما فعلته قد يكلفنا حياتنا. ولو قامت اللبؤة باقتفاء آثارنا فقد يمكننى النجاة والهروب منها، أما أنت فما زلت صغيرا ولن يمكنك الفرار منها. وينبغى عليك الاختباء فى مكان لا يمكنها العثور فيه عليك.

رد العجل الصغير:

– هيا بنا نفر من هنا بسرعة، فأنا الآخر أستطيع الهروب معك.

عادت اللبؤة من الصيد، ونظرت فلم تر أحدا فى المكـــان: لا البقـــرة، ولا العجل الصغير، ولا شبلها المحبوب. بل فقط آثار الحوافر على الأرض.

ركضت البقرة مع العجل الصغير، وظلا يركضان ويركضان حتى صـــادفا قطيعا من الظباء.

طلبت البقرة منهم قائلة:

- أعزائى الأشقاء أنقذونى من محنتى!

رد القطيع:

- ما الذى حدث لكِ أيتها البقرة؟ وما لكِ تطلبين المساعدة بمجرد رؤيتــك لنا! عليك أن تمتعى عينيكِ بمنظر قروننا أولا وتبدين إعجابك بها، ثـــم تحدثى بعد ذلك حول محنتك.

تمعنت البقرة فى القرون الجميلة للقطيع وهى تبدى إعجابها، ثم طلبت ثانية:

- أرجوكم أنقذونا من غضب اللبؤة.

وافق القطيع قائلا:

- حسنا.

مر وقت قصير حتى تردد فى الأرجاء صوت زئير مرعـــب. كـــان ذلـــك الصوت للبؤة التى تطالب بالهاربين. واستمروا يركضون وظلت اللبؤة تزأر وتزأر مرددة:

- أنا اللبؤة الملكة المتوجة! أنا اللبؤة الملكة التى تحكم العالم بأسره!

سمع القطيع صوت زئير اللبؤة فسأل البقرة:

- هل تهربين من صاحبة ذلك الزئير الذى نسمعه؟

- نعم، إنها هى التى أهرب منها.

أصاب الخوف القطيع فأخذ يدفع البقرة قائلا:

- ما دامت هى التى تهربين منها فهيا اركضى بعيدا عنا. إن أبداننا ترتعد لمجرد سماع صوتها، فما الذى يحدث لو أنها لحقت بنا؟

ركضت البقرة مع العجل الصغير بعيدا عنهم. وظلا يركضان حتى قابلا قطيعا من الآيائل. فطلبت البقرة منهم:

- ساعدونى أيها الإخوة للخروج من محنتى! وأنقذونى من غضب اللبؤة.

رد عليها القطيع:

- عليك أن تبدى إعجابك بقروننا فى البداية، ثم اطلبى المساعدة بعد ذلك! ونحن نوافق على انضمامك للقطيع.

اندست البقرة مع صغيرها بين أفراد القطيع، بينما ظلت اللبؤة تركض مقتفية آثارها، وهى تزأر بأعلى صوتها. وسرعان ما سمع القطيع صوت الزئير يتردد بالقرب منهم:

- أنا اللبؤة الملكة المتوجة! أنا اللبؤة الملكة التى تحكم العالم بأسره!

سألت الآيائل البقرة:

- هل تفرين من صاحبة ذلك الصوت الذى نسمعه؟

- نعم، إنها هى بعينها التى أهرب منها!

تملك الخوف القطيع، فطرد البقرة من بين صفوفه قائلا:

- ابتعدى عنا أيتها البقرة. إننا نرتعد خوفا من سماع صوتها، فما بالك لو أنها ظهرت بيننا! دبرى أمرك كيفما ترين بمفردك.

فرت البقرة مع العجل الصغير بعيدا عن القطيع. وسارت تطلب العون لدى جميع من يصادفها. وكانوا جميعا يدعونها في بـادئ الأمـر للانـضمام إلـيهم، ويعدونها بالمساعدة، وما إن يصل إليهم صوت اللبؤة حتى يطردوها من بينهم.

ظلا يركضان طويلا طويلا، حتى قابلا الديك أخيرا. كان الديك جالسا أمام دجاجه مزهوا بنفسه. وطلبت البقرة الحماية لديه، فوافق الـديك مرحبـا بطلبهـا. وأمرها بالاختباء هي وصغيرها مع دجاجه والبقاء معه. فاستمعا له وجلـسا بـين الدجاج، ولم يلتقطا أنفاسهما بعد حتى تردد صوت زئير اللبؤة بالقرب منهم:

- أنا اللبؤة الملكة المتوجة! أنا اللبؤة الملكة التي تحكم العالم بأسره!

سأل الديك:

- هل صاحبة هذا الصوت الذي أسمعه هي التي تطاردكما؟

ردت البقرة قائلة:

- نعم، إنها هي.

لم يخف الديك، ولم تهتز له ريشة، وقال للبقرة:

- حسنا، إني أعرف ما الذي يمكن فعله معها، وعليكما الجلـوس والتـزام الهدوء.

وصلت اللبؤة إلى حظيرة الدجاج، ونظرت فلم تر أحدا لكن آثـار البقـرة والدجاج كانت تؤدي إلى هناك. فأخذت تضرب على الباب:

- افتح الباب يا صاحب الحظيرة!

فتح الديك الباب وقال للبؤة:

- مرحبا بك أيتها الأم! هل جئت لمجرد الزيارة أم لأمر ما؟

ردت اللبؤة قائلة:

- لقد فرت منى جارتى البقرة، وها هى آثارها تنتهى إلى بيتك.

سأل الديك:

- نعم، نعم، هل هى تلك البقرة السوداء؟

فرحت اللبؤة وقالت:

- نعم، إنها سوداء بالفعل!

أجاب الديك عليها:

- لدى هنا بقرة سوداء مثل بقرتك، فلا تقولى إنها هى التى تبحثين عنها!

زأرت اللبؤة قائلة:

- قلت لك إنها هى بقرتى!

صاح الديك صيحة لم يصحها من قبل:

- لا داعى للنزاع معى أيتها الخالة، فلست من ذلك النوع الذى يمكن خداعه واحترسى منى، فقد صارعت بالفعل سبعة أسود لأنهم تنازعوا معى وأرادوا الاستيلاء على بقرتى. وقتلت بالأمس آخرهم وهو الثامن، وذلك فى الحقل الذى كانت البقرة ترعى فيه. فانتبهى لنفسك كى لا تودعى فراءك دون رجعة!

فكرت اللبؤة ثم قالت للديك:

- فلتحضر إلى فراء تلك الأسود التى قتلتها لأنظر إليها، ولا تنس ذلك الأخير الذى صرعته بالأمس!

دخل الديك إلى البيت حيث لم يكن لديه سوى فراء واحد قديم لأحد الأسود. فأخرجه إلى الضوء وعرضه إلى اللبوءة، ثم عاد به إلى البيت. وسار يحمله إليها ويعود به راكضا هنا وهناك سبع مرات، حتى أتت المرة الثامنة ليعرضه عليها. فدخل إلى المنزل وبلل الفراء كى يبدو طريا ولم يمر عليه وقت طويل، وأسرع عائدا إلى اللبوءة وقال لها:

- والآن سوف أحضر فراء الأسد الذى صرعته بالأمس، وعليك التأكد أن الموت سوف يكون من نصيبك لو أننا تصارعنا معا!

أسرع إلى البيت وحمل الفراء المبلل بالماء، ثم تجهز بالعتاد من القوس والأسهم والرمح وخرج إليها. وما إن شاهدت اللبوءة الديك حتى فرت هاربة ! فألقى الديك كل ما يحمله على الأرض ومضى يضرب الهواء بجناحيه ويصيح بكل صوته عاليا. فأخذت جميع الديكة الأخرى فى الصياح من حوله. عندما سمعت اللبوءة ضجيج صياحهم أخذت تسرع فى الفرار بأقصى قوتها، دون أن تلتفت وراءها من فرط الخوف.

ومنذ ذلك الحين صارت البقرة على عداوة مع اللبوءة، وما إن تشاهد اللبوءة البقرة حتى تطاردها وهى تريد تمزيق جسمها.

١٠١ـ حكمة الكلب:



ذات مرة خرج تسعة كلاب للصيد. وفى الأحراش قابلت الكلاب الأسد الذى خرج للصيد هو الآخر. وعرض الأسد على الكلاب الصيد معا، فوافقت الكلاب على طلبه. وظل الأسد والكلاب يصطادون طوال اليوم. وعندما هبط الليل فوق الأرض صادفوا عشرة ظباء. فقال الأسد:

- ها هى الفرصة قد واتتنا، وأصبحت الفرائس فى متناول أيدينا، ولا نحتاج إلا لأحد يتمتع بقدر كاف من الحكمة حتى يقوم بتقسيمها فيما بيننا.

اعترض أحد الكلاب على الأسد قائلا:

- وهل لا يمكننا تقسيم الظباء علينا بأنفسنا؟! فهناك عشرة ظباء، وعددنا عشرة أيضا. فأين الحكمة هنا إذاً؟ كل واحد منا يمكنه اصطياد أحد الظباء الموجودة هنا.

ما إن أنهى الكلب عبارته حتى قفز الأسد ولطمه بكفه فوق رأسه، حتى أصابه العمى من قوة الضربة.

فرت بقية الكلاب هاربة من الخوف ومن ثورة الأسد عليها. لكن واحدا منها هتف قائلا:

- توقفوا، توقفوا إن شقيقنا كان مخطئا. الأسد هو ملك الوحوش، وينبغى علينا منحه تسعة ظباء. وعندئذ يصبح العدد عشرة، أما عددنا فهو تسعة، ولو أخذنا لأنفسنا ظبيا واحدا، فسوف يصبح العدد عشرة أيضا. وهكذا، ينبغى تقسيم الفرائس على هذا النحو.

أعجبت الأسد هذه القسمة، وهتف بصوت جهورى:

- إنك لست أحمق مثل شقيقك. فمن الذى علمك هذه الحكمة؟

رد الكلب:

- لقد تعلمت هذه الحكمة مما جرى لشقيقى الذى أصابه العمى على يديك يا ملك الوحوش.

١٠٢- كيف ساعد الظبى والعنكبوت بعضهما بعضًا؟

عاش الظبى نجولونجو وترعرع بين الظبية الأخرى: كان الوالد والأم والأبناء الآخرين من الظباء أيضا.

وكان أقارب العنكبوت من العناكب مثله. فكان أبوه وأمه عناكب مثله.

وعلى الرغم من أن أولئك وهؤلاء عاشوا فى غابة واحدة، فإنهم لم يتقابلوا معا.

فى صباح أحد الأيام سمع الظبى صوتا ما يتردد بالقرب منه. فخفق قلبه من الخوف وانتصبت أذناه كى يسمع الصوت أفضل ويفسر الكلمات التى قالت: "هيا أمسكوا بها، اصطادوها، اصطادوها". كانت الأصوات للصيادين الذين يقودون كلابهم ويقتربون من هنا. وهتفوا قائلين:

– هناك ظبى ما بالقرب من هنا، وها هى آثاره على الأرض.

فكر الظبى فى أنهم ما زالوا بعيدين عنهم. لكنه عندما استرق السمع ارتعد بدنه من الرعب. فقد كان الصيادون قريبين منه للغاية. وهتف الظبى قائلا:

– أخ، يبدو أنى قد ضعت!

وأطلق قدميه يسابق الريح آملا ألا تلحق الكلاب به. أما الكلاب فقد قررت فى نفسها: "لن ينجح الظبى فى الفرار منا".



قال الصيادون:

- لقد أصبحت الفريسة فى متناول أيدينا تقريبا، وعلينا اللحاق بالكلاب.

أسرع الصيادون يركضون خلف الكلاب، والظبى يركض بكل ما أوتى من قوة. وظل الصيادون يطاردونه طوال الليل صباحا ومساءً بلا توقف. وحاول الظبى التخلص من المطاردة، لكن الصيادين استمروا فى اللحاق به. وعندما وصل الظبى إلى العشب الطويل شاهد العنكبوت هناك. فتوسل إليه قائلا:

- أنجدنى أيها العنكبوت!

اعترت الدهشة العنكبوت وقال:

- ماذا؟ كرر ما قلته مرة أخرى.

- أنقذنى أيها العنكبوت!

أشار العنكبوت للظبى إلى جحر يتسع له، واستطاع الظبى الاختباء بداخله.

وقال العنكبوت:

- والآن احك لى عما جرى لك.

رد الظبى وهو يرتعد من الخوف:

- إن الكلاب والصيادين يطاردوننى. فما الذى يمكننى فعله الآن؟

- لا ترتجف واهدأ، فبما أنك قد جئت عندنا نحن العناكب، فسوف تظل آمنا معافا.

قال العنكبوت عبارته، وبدأ مع أبنائه فى العمل. فأخذوا ينسجون خيوطهم حول آثار الظبى. وظلوا يتتبعون آثاره وينسجون خيوطهم عليها حتى قابلوا

الصيادين. وعندما شاهد الصيادون آثار الظبى مغطاة بخيوط العناكب، توقفوا عن المطاردة وعادوا أدراجهم قائلين:

- إن الظبى الذى نطارده قد أصبح خلفنا. وهذه ليست آثاره، بل هى للظبى الذى مر من هنا فى الشهر الماضى حيث إن خيوط العنكبوت تغطيها.

وعندما حل الظلام حل التعب بالصيادين فعادوا إلى بيوتهم.

بعد مرور يومين استجمع الصيادون قواهم وقرروا قائلين: "بما أن الظبى قد اختبأ هنا بأحد الأماكن، فهيا بنا نحرق هذا الجزء من الغابة. وعندئذ سوف يضطر للخروج - لو أنه هنا بالفعل- فنمسك به".

وافق الجميع وقاموا بإحراق الغابة من جوانبها الأربعة.

وهنا قال الظبى لصديقه:

- يبدو أن اليوم سوف يكون سيئا لنا.

أجاب العنكبوت بثقة:

- عزيزى الظبى، إن بوسعك النجاة لو أنك لم تخش القفز عبر النار.

عندئذ قال الظبى:

- أيها الأخ يبنغى علينا النجاة معا. سوف أقفز عبر النار لأنقذ نفسى وأنقذك معى، ولن تقتلنا هذه النار التى أشعلوها فى الغابة، وسوف ننجو معا.

لكن العنكبوت أخذ يولول باكيا:

- أوه، سوف أموت، سوف أموت!

صاح الظبى مرة أخرى:

- لن تموت، أزحف إلى أذنى وسوف تسير الأمور على ما يرام.

تسلق العنكبوت جسم الظبى وزحف إلى أذنه. واستجمع الظبى قواه وقفـز قفزة هائلة مثل السهم عبر النار. واستطاع الفرار بعيدا فى قلب الغابة بينما ظـل الصيادون ينتظرون ظهوره.

عندما أصبح الظبى فى مأمن منهم توقف وقال للعنكبوت:

- والآن أرنى إن كنت ما زلت حيا أم ميتا؟

خرج العنكبوت من أذن الظبى سليما معافا، وكان ممتنا له غاية الامتنان.

١٠٣ـ الضفدع البرى والحرباء:

كان ياما كان ضفدع برى يعمل فى حقله عندما جاءت الحرباء تتطلع إلى أرضه. فشاهدت ثمار المكسرات نامية فوق إحدى الأشجار. ونظرت لأعلى فرأت الثمار وقد نضجت. وقالت الحرباء للضفدع البرى:

- أيها الصديق، كيف يمكنك أن تظل ساكنا على حالك، بينما ثمار المكسرات قد نضجت وأنت لم تجمعها بعد؟

رد الضفدع قائلا:

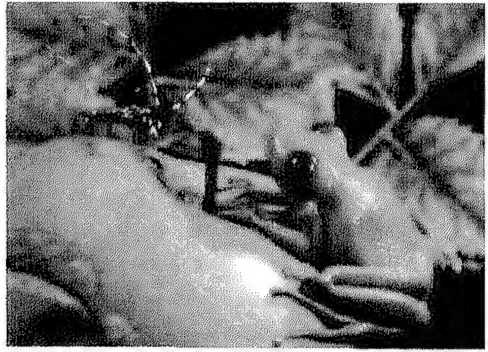
- من السهل عليكِ الحديث! فأنا لا أستطيع التسلق لأعلى الشجرة. فكيف يمكننى جمع محصولى إذاً؟

عندئذ قالت الحرباء للضفدع:

- دعنى أتسلق الشجرة بدلا منك وأجمع محصول المكسرات.

وافق الضفدع، وتسلقت الحرباء الشجرة حتى وصلت لأعلى قمتها، ثم أخذت تقطف ثمار المكسرات وتضعها فى حقيبة كانت تحملها.

نظر الضفدع لأعلى وهو يفكر: "كم أنى أتوق لتذوق تلك المكسرات ولكنى لا أستطيع".



طلب الضفدع من الحرباء قائلا:

إنكِ فوق الشجرة منذ وقت طويل، ولم تلق لى بعد بثمرة واحدة من المكسرات.

وهنا ردت الحرباء:

- إن الحرباء مثلى ما إن تصعد لأعلى حتى لا تتعرف على أحد ممن يقبعون بأسفل.

غضب الضفدع لدى سماعه عبارتها، وأمر أبناءه:

- اجمعوا الأعشاب الجافة وضعوها حول هذه النخلة، ثم أشعلوا النار بها.

وأشعلوا النار أسفل النخلة، فصرخت الحرباء مستنجدة:

- صديقى العزيز، اطفئ النار وسوف أهبط إليك.

لكن الضفدع رد عليها قائلا:

- عندما أشعل النار فلا أعير اهتماما لأولئك الذين يقبعون فى الأعلى.

ارتفعت ألسنة النار إلى أعين الحرباء التى هوت من فوق النخلة، وسقطت ميتة فى شعلة النار.

١٠٤ـ لماذا يمتلك الضفدع أقداما مفلطحة؟



كان لدى الضفدع قطعة كبيرة من الأرض. وعندما آن وقت تنظيف الأرض وإعدادها للزراعة ذهب الضفدع إلى القرية يطلب العون من الناس، لأنه لم يكن بوسعه تدبر الأمر بمفرده. كان الناس متعاونين للغاية. وكان سكان القرية يساعدون بعضهم بعضًا دائما فى أوقات البذر والحصاد.

حضر الجميع لمساعدة الضفدع. وعندما انتهوا من تنظيف الحقل وحرثه، قدم الضفدع إليهم الطعام وشكرهم على عونهم.

وأخيرا بدأ العاملون يغادرون المكان. كانت أعداد المساعدين للضفدع غفيرة للغاية، حتى إن طوابيرهم امتدت لمسافة كبيرة. وفكر الضفدع فى نفسه:

– كيف يمكننى التعبير عن شكرى لأولئك الناس نظير عونهم؟ آه، لقد عرفت كيف أشكرهم! سوف أشد على يد كل من ساعدنى منهم.

قفز الضفدع فى أثر الناس حتى سبقهم، ووقف فى المقدمة ينتظر.

عندما وصل أول المساعدين قبض الضفدع على يده بقوة قائلا:

– إنى شاكر! شكرا لك!

وبنفس تلك الكلمات قبض بيده على يد الثانى مرددا:

- شكرا لك! إنى شاكر لك!

وقبض على يد الثالث وهو يهتف:

- شكرا لك! إنى شاكر لك!

كان من بين العاملين بعض الأقوياء الذين ضغطوا بقوة على يدى الضفدع.

بعد ذلك أصاب المرض يدى الضفدع التى صارت مفلطحة تماما. وقـــرر الضفدع الذهاب إلى نياما رب السماء ليشكو له علته.

استمع نياما للضفدع ونظر إلى أياديه المفلطحة، ثم قال:

لقد سعيت جاهدا لتقديم الشكر. وفى المستقبل عندما تود تقديم الشكر للعديد من الناس عليك أن تبعث رسولا لينقل امتنانك للجميع.

رحل الضفدع. ومنذ ذلك الحين ظلت أياديه مفلطحة كما نراها الآن.

١٠٥- لماذا لا يمتلك الضفدع ذيلا؟

يحكى أنه فى قديم الزمان لم تسمح الوحوش للضفدع بالمرور فى الغابة، لأنه لم يمتلك ذيلا. فغضب الضفدع من الوحوش، وذهب إلى نياما رب السماء يطلب منه ذيلا.



استمع رب السماء إلى الضفدع. وفكر قليلا ثم قال:

- لدى بئر لا ينفد الماء منه أبدا. وأحتاج لحارس يحرس ذلك البئر. وسوف أمنحك ذيلا لو أنك وافقت أن تعمل حارسا عليه.

- حسنا، سوف أحرسه لو أنك أعطيتنى ذيلا.

منح نياما الضفدع ذيلا، وأرسله إلى البئر قائلا:

- يمكنك البدء فى العمل. وعليك الحفاظ على البئر نظيفا، حتى يتمكن كل مسافر أن يروى ظمأه.

انطلق الضفدع إلى البئر واستقر بداخله.

ولكن ذات مرة حل الجفاف بالأرض، وشح سقوط المطر، وجفت جميع الآبار عدا بئر نياما الذى ظل ممتلئا بالماء. وأصبح الضفدع مزهوا بنفسه للغاية وصار متباهيا وغير محتمل السلوك.

وعندما خلت جميع الأماكن من الماء ذهبت الوحوش إلى نياما تطلب الماء منه. فأرسلهم إلى بئره الذى لا تجف المياه منه أبدا.

كان الجاموس هو أول الواصلين للشرب. وعندما سمع الضفدع صوت أقدام الجاموس نقنق قائلا:

- من الذى يسير ويعكر ماء بئر نياما؟

رد الجاموس:

- إنه أنا، الجاموس.

صاح الضفدع به:

- هيا ارحل من هنا! فليس هناك ماء لك. وقد جفت مياه البئر!

رحل الجاموس ولم يرو ظمأه.

جاءت العنزة بعد ذلك إلى البئر، فنقنق الضفدع ثانية يقول:

- من الذى يسير ويعكر ماء بئر نياما؟

أجابت العنزة:

- إنها أنا العنزة.

صاح الضفدع قائلا:

- اغربى عن هنا! فليس هناك ماء لك. وقد جف ماء البئر!

رحلت العنزة وهى تحترق من الظمأ.

بعد ذلك جاء إلى بئر نياما كل من الغزال والخنزير والبقرة والفيل. وقام الضفدع بطردهم جميعا من عند البئر.

- ارحلوا من هنا! فلا يوجد ماء هنا. فقد جفت مياه البئر!

أخيرا أصاب العطش الجميع، ولم يعد بوسعهم حيلة لشرب الماء. وعندما وصلت الأخبار إلى نياما، وعرف أن الوحوش تموت من العطش، ذهب بنفسه إلى البئر يتفقد الأمور هناك.

سمع الضفدع صوت خطواته فنقنق:

– من الذى يسير ويعكر ماء بئر نياما؟

هتف نياما بنبرة حازمة:

– إنه أنا، نياما!

لكن الضفدع رد عليه كما اعتاد:

– أغرب بوجهك عن هنا، فلا يوجد ماء هنا، والبئر قد جف!

ما إن سمع نياما تلك الكلمات حتى استشاط غضبا، فأمسك بالضفدع من ذيله وقام بقطعه. وفر الضفدع هاربا من المكان.

وظل الضفدع بلا ذيل.

والآن يعيش الضفدع دائما فى الماء متذكرا أيامه الطيبة عندما كان يحرس بئر نياما بنفسه.

لكن نياما يتذكر الضفدع دائما بكل الأحزان التى تسبب بها.

تولد الضفادع وهى تمتلك ذيولا. لكن نياما يقوم بقطع ذيولها عندما تبدأ فى النمو عقابا لما فعله الضفدع حارس البئر.

١٠٦ـ دواء أوكرامين:

كان الكلب أوكرامين جائعا على الدوام. وكان يأكل أى طعام يمكنه العثور عليه. ففى بعض الأحيان يكون الطعام خاصا به، وفى الأحيان الأخرى يكون طعاما غريبا، لكن الأمر سيان له فى جميع الأحوال. فعندما كان يشتد به الجوع لم يكن يعنيه صاحب هذا الطعام. ولم يستطع أوكرامين العثور على زوجة له فى قريته بسبب ذيوع صيته كلص شهير للطعام. فلم يرغب أحد فى مصاهرته.



وهكذا، رحل أوكرامين إلى مدينة بعيدة، حيث لا يعرف أحد هناك شيئا عنه. واستطاع العثور على زوجة له فى تلك المدينة.

اصطحب زوجته الصغيرة إلى قريته، وصارا الاثنان يعيشان معا.

ذات مرة ذهبت زوجة أوكرامين إلى مدينتها لزيارة أهلها.

مر وقت قصير، وبدأ أوكرامين يشعر بالوحدة وهو بمفرده، فأرسل إلى زوجته يخبرها برغبته فى زيارة أهلها هو الآخر.

عندما وصل الخبر إلى صهر أوكرامين أخذ قوسا ورمحا وخرج إلى الغابة للصيد والحصول على اللحم، حتى يمكنه الاحتفال بأوكرامين على نحو لائق.

قتل العجوز ظبيا وذهب به إلى البيت، حيث قام بسلخه ووضع لحمه فوق النار فى فناء البيت.

وصل الضيف أوكرامين، وما إن شاهد اللحم يشوى حتى سال لعابه على الفور.

ذهب الجميع للنوم عند حلول الليل. أما أوكرامين فقد جافاه النوم، بل ظل يستمع[1] إلى رائحة لحم الظبى التى تنبعث من شوائه فوق النار.

نهض متسللا بحذر من فوق الحصيرة، ثم خرج من البيت، واقترب من موقد النار ينظر إلى اللحم. ومضى يتمعن إلى قطرات الدهن الذائبة فى النار، ثم عاد أوكرامين أدراجه إلى داخل الكوخ، ورقد للنوم ثانية. بعد ذلك نهض مرة أخرى وخرج ينظر إلى اللحم، ثم عاد ورقد على الحصيرة وأغلق عينيه. ونهض للمرة الثالثة وذهب إلى موقد النار يتطلع إلى اللحم. ولعق بطرف لسانه قطرات الدهن الذائبة، ثم قضم فى حذر قطعة صغيرة من اللحم بأسنانه الأمامية. لكنه لم يستطع التوقف عن الأكل، وأخذ يلتهم من اللحم أكثر فأكثر، وقطعة تلو الأخرى، ولم يتوقف حتى التهم اللحم كله.

عندئذ فقط عاد إلى الكوخ، ورقد فوق الحصيرة وراح فى النوم.

عند حلول الصباح خرجت زوجة أوكرامين تنظف الفناء، وشاهدت لحم الظبى وقد اختفى. فصرخت عاليا:

– لقد سرق اللحم أحد ما! لقد سرق اللحم أحد ما!

استيقظ أوكرامين على صوت الزوجة، وأصابه الخجل. شعر بالخجل لأكله لحم الظبى كله، ذلك اللحم الذى اصطاده صهره للاحتفاء والاحتفال به. أخ، أوكرامين أوكرامين الذى لا يستحق الاحتفال! غطى أوكرامين وجهه حتى لا يرى أحد تعابير الخجل المرسومة عليه، ثم فر هاربا من المدينة.

---

(١) "يستمع إلى رائحة اللحم"– تعبير مستخدم فى الفلكلور الشعبى بدلا من كلمة "يتشمم". (المترجم)

عاد أوكرامين إلى قريته، وسأله الأصدقاء:

- ما الذى تفعله هنا؟ فقد ظننا أنك فى ضيافة صهرك الذى يحتفل بك!

أجاب أوكرامين:

- لقد كنت هناك بالفعل، ولم أستطع البقاء أكثر من ذلك. فبالأمس نهضت من نومى فى الليل والتهمت اللحم كله. أكلت لحم الظبى الذى اصطاده خصيصا لى صهرى العجوز. فيا للخجل الذى أشعر به! إنى أريد العثور على دواء شاف يمكنه مساعدتى فى التوقف عن سرقة الطعام!

نصحه الناس قائلين:

- عليك الذهاب إلى الأرنب أدانكو، فإن لديه العلاج الشافى لمثل هذا المرض.

ذهب أوكرامين إلى الأرنب وقال له:

- أرجوك أن تساعدنى يا أدانكو! فإننى لص. وعندما أرى اللحم لا أستطيع تمالك نفسى كى لا أسرقه. وقد أخبرونى أن لديك دواء لمرضى هذا، فعالجنى به. وسوف أدفع لك مقابل ذلك مهما كلفنى الأمر.

قال أدانكو:

- يمكننى علاجك من مرض السرقة، بشرط أن تحضر لى لحم خنزير كى أعد الدواء منه.

خرج أوكرامين إلى الصيد، وقتل خنزيرا وأحضره إلى الأرنب. فقام الأرنب بقطع ما يكفى من اللحم منه لإعداد الدواء. وبشر البصل فوق اللحم وأضاف إليه التوابل والأعشاب العطرية، ثم نثر من فوقه الفلفل ووضعه فوق النار.

جلس أوكرامين يحرس اللحم. وأخذ يستمع إلى صوت اللحم وهو يقلى فوق النار، ويتشمم رائحته الزكية.

هبط الليل وقال الأرنب:

- أوكرامين، اذهب للنوم فى الكوخ. وعندما يشرق الصباح سوف أرفع اللحم من فوق النار، وأعد منه الدواء الذى سوف يشفيك من السرقة للأبد!

ذهب أوكرامين إلى الكوخ ورقد للنوم. كما ذهب الأرنب للنوم هو الآخر. راح أدانكو فى سبات عميق، أما أوكرامين فلم يغمض له جفن، بل ظل يتشمم رائحة اللحم ويستمع إلى حركته وصوت شوائه فوق النار.

لم يستطع أوكرامين أن يتحمل أكثر من ذلك فأيقظ الأرنب وقال له:

- أيها الوالد أدانكو، أيها الوالد أدانكو إن هناك فئرانا فى القرية وأخشى أن تأكل اللحم! أليس من الأفضل أن أذهب لحراسته، وأحضره وأضعه بالقرب منى؟

رد أدانكو:

- أحرسه كما تشاء، فالأمر سيان، المهم أن يكون اللحم جاهزا فى الغد حتى يمكننى إعداد الدواء منه لعلاجك.

خرج أوكرامين من الكوخ وحمل اللحم، ثم وضعه بالقرب من حصيرته. لكنه لم يستطع النوم، وأيقظ الأرنب مرة أخرى قائلا:

- أيها الوالد أدانكو! إن الفئران قد أتت إلى هنا فى الكوخ! أليس من الأفضل أن أضع اللحم أسفل الوسادة؟!

صاح أدانكو بغضب:

- لماذا تقوم بإيقاظى طوال الوقت؟ أفعل ما شئت، والمهم أن يكون اللحم هنا فى الغد حتى يمكننى إعداد الدواء لك منه!

وضع أوكرامين اللحم أسفل الوسادة ثم أغلق عينيه متظاهرا بالنوم. لكن النوم جافاه ولم يستطع أن يغفو. فقد كان يتشمم رائحة اللحم من أسفل الوسادة.

وأيقظ الأرنب ثانية:

- أيها الوالد أدانكو! أيها الوالد أدانكو! إن الفئران قد تسللت أسفل الوسادة! سوف أضع اللحم فوق رأسى، وأظل واقفا فى منتصف الكوخ حتى مطلع الصباح!

رد الأرنب بنفاذ صبر:

- حسنا، فلتقف، ضع اللحم فوق رأسك وقف به حتى الصباح. فالأمر سيان لى، والمهم أن أجد اللحم غدا كى أعد لك منه الدواء!

وضع أوكرامين اللحم فوق رأسه، وظل واقفا لفترة طويلة. وتساقطت قطرات من عصيدة اللحم فوق وجه، ووقعت فى فمه مباشرة! فلعقها ومضى يوقظ الأرنب:

- أيها الوالد أدانكو! إن الفئران تركض هنا وهناك فوق رأسى! أليس من الأفضل أن أضع اللحم فى فمى؟

ثار أدانكو غاضبا وصاح:

- ضع اللحم فى فمك واحمله كما تشاء ولا توقظنى ثانية!

وضع أوكرامين اللحم فى فمه وقبض عليه بأسنانه بقوة.

وهكذا، أخذ يسير فى الكوخ ويهز ذيله قابضا على اللحم فى فمه. ظل يسير ويسير ذهابا وإيابا، ثم صرخ بأعلى صوته:

– أيها الوالد أدانكو! دعنى أدفع لك ما تريد مقابل هذا اللحم!

أجاب الأرنب:

– لا، لا! إنى أحتاج لهذا اللحم كى أعد لك الدواء الذى يشفيك من السرقة!

لكن أوكرامين لم يتمالك نفسه بعد أن نفذ صبره. فقام بابتلاع قطعة صغيرة فى البداية، ثم تلاها بقطعة أخرى فأكبر وأكبر حتى لم يبق فى فمه شىء.

عندئذ رقد للنوم وراح فى سبات عميق.

ما إن طلع الفجر حتى نهض الأرنب وسأل أوكرامين:

– أين اللحم؟ أريد إعداد الدواء لك منه.

رد أوكرامين:

– أيها الوالد أدانكو، ألم أخبرك بأننى سوف أدفع لك مقابل هذا اللحم؟

– ولماذا تدفع لى؟

– لأن الفئران بالأمس تسللت إلى فمى، فقمت بابتلاع اللحم كى أمنعهم من التهامه!

عندئذ قال الأرنب:

– بما أنك أكلت اللحم فلن يمكننى إعداد الدواء وعلاجك من مرض السرقة.

لهذا، فما دامت الكلاب حية، فسوف تسرق اللحم وتأكل كل ما تسرقه.

وحتى يومنا هذا فهى تسلك هذا السلوك.

١٠٧ـ معركة الطيور مع الوحوش:

عاش الفيل مجاورا للديك. وذات مرة استند الفيل إلى دعامة خشبية فى كوخ الديك فتحطمت الدعامة. وأراد الديك الانتقام مما فعله الفيل، فجمع حزمة من القاذورات وألقى بها فى كوخ الديك. وعندما رأى الفيل ما جرى قال للديك:

– أيها الديك، لا بد أن نتعارك معا حتى نضع حدا لخلافنا هذا.

قال الديك:

– حسنا، فلينادى كل منا على أقاربه.

وهكذا، انطلق الفيل ليخبر جميع الوحوش بما جرى، وكذلك حكى الديك لجميع الطيور حول هذا الأمر. واستعد الجانبان للمعركة. كان الضبع من تزعم الوحوش، فقام بحشد رفاقه. أما من الطيور فتقدم الصقر إلى الديك قائلا له:

– أرجو أن تسمح لى بتولى قيادة المعركة.

وافق الديك. وقاموا بإرسال النعامة تستطلع استعدادات قوات الوحوش.

كذلك قرر الضبع هو الآخر القيام باستطلاع أحوال الطيور ومدى استعدادها. فتقابل مع النعامة وجها لوجه. وصاح الضبع قائلا:

– هاه، كيف حال قواتكم هناك؟ هل استعددتم بعد أم لا؟

ردت النعامة:

– نعم، وما هى أخبار قواتكم؟

– إنها جاهزة أيضا.

– حسنا، عد أدراجك وأخبر رفاقك بذلك، وسوف أعود أنا الأخرى وأعلم رفاقى بالأمر.

وعندما سارت النعامة فى طريق العودة نظر الضبع إلى اللحم المتكدس حول ساقيها مما أثار شهيته للطعام، فصاح مناديا عليها:

- انتظرى! ما رأيك أن نتصارع معا أنا وأنتِ كبداية للمعركة؟

ردت النعامة:

- حسنا، فلتضربنى ثلاث مرات وأضربك ثلاث مرات بعدها.

اقترب الضبع من النعامة وضربها ثلاث مرات، ثم قالت النعامة:

- والآن حل دورى لضربك.

ضربت النعامة الضبع ضربة قوية بمنقارها الحاد، وهوت عليه بضربات قوية من جناحيها، ثم أنشبت أظافرها فى جسمه. فصاح الضبع متألما:

- لقد انتهت المرات الثلاث.

اعترضت النعامة قائلة:

- هذه ضربة واحدة وليست ثلاث.



هتفت النعامة بعبارتها وهجمت على الضبع ففقأت عينيه. وبعد ذلك عاد كل منهما إلى قواته. وصاحت الوحوش على الضبع لدى رؤيتهم له ولعينيه المخزقتين:

- ما الذى جرى؟

رد الضبع:

- إن أعدادهم غفيرة للغاية، انظروا لما فعلوه بى!

على الرغم مما قاله الضبع، فإن الوحوش تقدمت للأمـام، حتـى أصـبح الجانبان وجها لوجه فى المعركة. وتقدم الصقر زعيم الطيور للأمام وقدم التحيـة للديك، ثم حمل بعضا من بيض الدجاج وألقى به فوق رأس الفيل. وصاح يقول:

- انظروا لرأس الفيل! لقد تحطمت!

عندما سمع الفيل تلك العبارة رفع زلومته متحسسا بها رأسه، ثـم صـرخ بخوف:

- يا إلهى! إنها الحقيقة!

وألقى الصقر بعد ذلك حبلا طويلا محاطا بحلقات مـستديرة علـى الأرض بالقرب من الفيل، ثم صاح قائلا:

- انظروا! لقد هوت زلومة الفيل وها هى تتدحرج على الأرض!

ما إن سمعت الوحوش ما قاله الصقر، وشاهدت الحبل ذا الحلقـات علـى الأرض، حتى شرعت فى الفرار.

عاد الديك إلى بيته بعد انتهاء المعركة، وأرسل مبعوثا إلى الصقر يخبـره بالتالى:

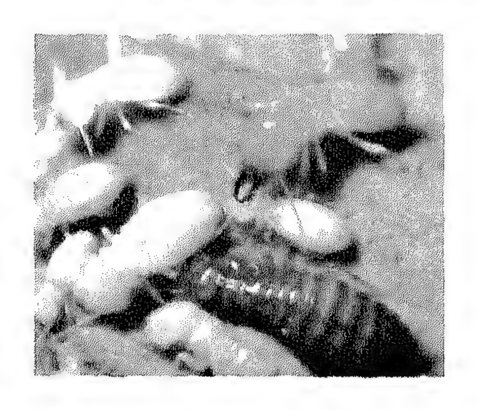
- أيها الصقر، لقد قررت أن أكافئك نظير ما حققته من نجاح فى المعركة، ويمكنك المجىء إلىَّ عندما تضع زوجاتى الأطفال، وتختار أى مولـود يعجبك منهم لتلتهمه، وهذه هى مكافأتى لك.

١٠٨ـ لماذا لا ينبغى العمل مع الأعداء؟

ولماذا يتميز حاج الأماكن المقدسة بالبطن الكبير؟

ذات مرة استعد أحد الفلاحين لزراعة الذرة فى أرضه. وذهب يطلب العون لدى جيرانه كالعادة. وهنا صاحت بذرة من بذور الذرة فجأة:

– اطلب العون ممن تريد، ولكن حذار أن تطلبه من النمل الأبيض، لأنه ما إن يرى الحَب فلن يتمالك نفسه عن أكله.



لكن الفلاح لم يعط اهتماما لكلمات الحبة.

وذهب إلى النمل الأبيض يطلب منه المجىء والعمل فى حقله.

– سوف أساعدك بكل سرور، ولكن عليك ألا تطلب العون من الكتكــوت. فمن الصعب علىَّ العمل مع الكتكوت، حيث إنك لن تحزر أبدا ما الذى يدور برأسه.



على الرغم من ذلك ذهب الفلاح إلى الكتكوت، ودعاه للعمل هو الآخر. فقال الكتكوت:

- سوف أحضر بكل تأكيد، ولكنى أرجوك ألا تدعو الثعبان.

لم يستمع الفلاح لما قاله الكتكوت، وذهب إلى الثعبان يدعوه. وافق الثعبان لكنه طلب من الفلاح قائلا:

- لكن أرجو ألا تطلب العون من العصا.



لم يستجب الفلاح لطلبه وذهب إلى العصا وقال لها:

- من فضلك، أرجو منك الحضور لمساعدتى فى زرع الذرة.

ردت العصا:

- سوف آتى بالطبع ولكن لا تطلب العون من النار.

على الرغم من طلبها، فإن الفلاح ذهب إلى النار وطلب منها الحضور لمساعدته. فوافقت النار لكنها قالت:

– سوف آتى لمساعدتك، ولكن لا تطلب العون من الماء.

ذهب الفلاح إلى الماء، فوافق الماء على العمل لديه، لكنه قال:

– أرجو أن تعدنى ألا تطلب الشمس.

لم يستطع الفلاح تدبر أمره من دون الشمس! وذهب إليها وطلب العون منها. فوافقت الشمس هى الأخرى.

وعندما حل يوم البذر والزرع، اجتمع جميع جيران الفلاح لديه فى الحقل. شاهد الحب النمل الأبيض، وشاهد النمل الكتكوت، ورأى الكتكوت الثعبان، وشاهد الثعبان العصا. كما رأت العصا النار. أما النار فشاهدت الماء، وشاهد الماء الشمس. وبذلك، اجتمع شمل جميع الأعداء فى حقل واحد.

بدءوا فى حرث الأرض. وفجأة ألقت النملة باللوم على الحبة قائلة إنها أهانتها. فدافعت الحبة عن نفسها:

– إنى لم أنطق بكلمة تغضبكِ.

– من الأفضل لك ألا تتنازعى معى، فأنت تعرفين أن النزاع معى ليس فى صالحك!

وأمسكت النملة بالحبة وابتلعتها.

لم يتمالك الكتكوت نفسه وسأل النملة:

– لماذا سلكتِ هذا المسلك مع الحبة؟

لم ينتظر الكتكوت ردا من النملة وابتلعها.

سأل الثعبان الكتكوت بغضب:

- لماذا تعاملت مع النملة الضعيفة بهذه القسوة الشديدة؟

وقام الثعبان بابتلاع الكتكوت.

عندئذ أخذت العصا تحدث الثعبان:

- ما الذى فعلته مع الكتكوت؟

وهوت العصا على الثعبان حتى قتله.

عاتبت النار فى البداية العصا بسبب قتلها للثعبان، ثم أمسكت بها حتى حرقتها. وشاهد الماء ما جرى فثار غضبه، واندفع نحو النار حتى أطفأها.

وفجأة اشتدت حرارة الشمس وتوهجت حتى تبخر الماء.

سار بالقرب من الحقل أحد الحجاج، فشاهد الخراب والدمار من حوله. فأصابه الفزع مما رآه وضرب بيديه على جانبيه وهو يهتف:

- يا للمصيبة!

وقد ضرب جانبيه بقوة شديدة حتى إن بطنه برزت للأمام، وأصبحت أسمك من السابق. وظل على حاله هذا حتى يومنا هذا.

١٠٩ـ لماذا ألفت القطة المطبخ؟

كان ياما كان قطة تريد بشدة معرفة مصدر القوة لـدى الجميـع، وسـبب ضعف هذه القوة لدى البعض، وضخامتها عند البعض الآخـر. وفكـرت طـويلا وفكرت، ونظرت من حولها وتطلعت، فلم تر أحدا أقوى من الأسد قط.

ذهبت القطة إلى الأسد، وتصادق الاثنان. ومرت الأيام يوما بعد الآخر وهما يعيشان فى سلم ووئام. وذات مرة خرج الأسد مع القطة إلـى الأرجـاء البعيـدة. وصادفهم قطيع من الأفيال. وعندما رأت الأفيال الأسد، ثارت غاضبة فأمسكت به، وألقته فوق إحدى الأشجار.

وعندما شاهدت القطة ما جرى اعترتها الدهشة الشديدة وفكرت: "آخ، لقـد اتضح أن الأسد ليس أقوى الأقوياء، بل إن هناك من هو أقوى منه!"

وخرجت تبحث عن الفيل حتى عثرت عليه وقالت له:

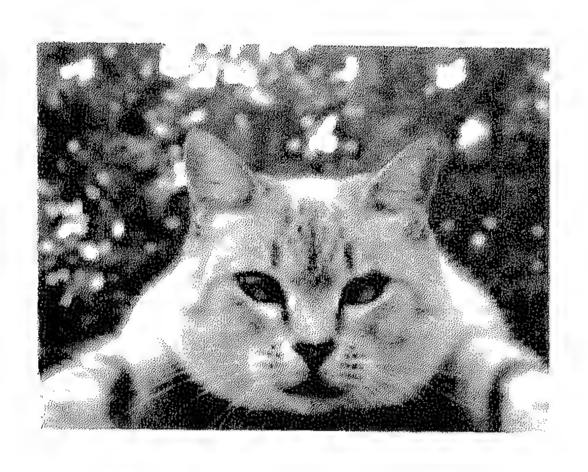
– فلنصبح أصدقاءً.

لم يعارض الفيل دعوتها للصداقة ورد قائلا:

– وأنا لا أمانع.

صار الاثنان يعيشان معا.

مر العديد من الأيام وهما يعيشان معا فى سلم ومحبة. وعندما كانا يتجولان ذات مرة صادفا صيادا. صوب الصياد سلاحه نحو الفيـل وأطلـق عليـه النـار فصرعه. وسقط الفيل ميتا على الأرض. فازدادت دهشة القطة: "آخ، بما أنه قتـل صديقى المحبوب، فهذا إذًا هو أقوى من جميع الأقوياء!". وأخذت القطـة تبكـى صديقها بمرارة شديدة.



ما إن همَ الصياد بالرحيل حتى اقتربت القطة منه قائلة:

- خذني معك أيها الصياد.

رأى الصياد أنها مجرد قطة بسيطة فرد عليها:

- حسنا، فلنذهب معا.

وصل الصياد إلى البيت، فأسرعت إليه زوجته وحملت السلاح والرصاص والبارود. وهنا تحيرت القطة تماما وفكرت فى نفسها: "إذاً، هذه هى الأقوى من كل الجميع! فقد أخذت السلاح من الصياد وهو ساكن لم ينطق بكلمة، بل جلس فى مكانه يستريح، فلا بد لى من الذهاب إليها".

سارت القطة خلف المرأة فى البيت، ودخلت معها إلى المطبخ وجلست بجوارها حتى أعدت المرأة الطعام لزوجها. وهكذا اعتادت الحياة فى المطبخ، مما اضطر المرأة إلى طردها كى تصيد الفئران وتحرس أوانى الطعام منها. وهكذا، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا والقطة لا تبتعد أبدا عن المطبخ.

المترجم فى سطور:

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

- مواليد عام ١٩٥٧.
- تخرج من كلية الآداب جامعة عين شمس.
- درس تاريخ الفن بجامعة موسكو فى الاتحاد السوفييتى.
- ترجم من اللغة الروسية إلى العربية بعض الأعمال المهمة مثل: محاكمة البريسترويكا، وأساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الأول والثانى)، والحكايات الشعبية الروسية، و"حيدر علييف" عن سلسلة سير العظماء، و"المصير الأسود للحديقة السوداء" و" قيام الدولة الأرمينية فى القوقاز"، وغيرها من الدراسات التاريخية.
- كتب العديد من المسلسلات الدرامية والأعمال التليفزيونية للأطفال، والتى نالت الكثير من الجوائز.

التصحيح اللغوى: سماح حيدة
الإشراف الفنى: حسن كامل



يضم هذا الكتاب مختارات من الخرافات والحكايات الشعبية السائدة لدى مجتمعات وشعوب أفريقيا وقبائلها، والتى تعكس نظرة تلك الشعوب إلى العالم الخارجى، وتصوراتها حول شتى مظاهر الحياة والموت، وحول خلق العالم وأصل الكون، والنجوم المتلألئة فى السماء، ومنبت البشر والحيوانات، الخبيث منها والمخادع، وأيضًا الحكايات التى تفسر سلوك كل منها، وتوضح السمات الخاصة بكل حيوان، وغيرها من الخيرات والمنافع. وتتبلور الفنون الشفهية لدى الشعوب الأفريقية فى أشكال عتيقة من فنون الفلكلور، لتمنح الفرصة بمادتها الرائعة لدراسة نشوء واتجاهات تطور الإبداع الشفهى. كما أن قدم الفلكلور الأفريقى يعد أحد ملامحه المميزة. وفى هذه الحكايات نلمس الطبيعة الرائعة الثرية لأفريقيا، بأحراشها المتفردة وحيواناتها المتنوعة. كما نرى الصلة الوطيدة بين شعوب القارة وتلك الطبيعة النزقة التى تقسو تارة، وتحنو تارة أخرى، لكنها تظل دائمًا الموطن والأرض الأم لشعوبها وقبائلها المختلفة.

تصميم الغلاف : نادية كشك